كتاب جمل

من

أنساب الأشراف

صنفه

الإمام أحمد بن يحيى بن جابر

البلاذري

المتوفى ٢٧٩هـ/٨٩٢م

الجزء الثامن

بنو عبد شمس (٤)

حققه وقدم له

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الدكتور رياض زركلي

بإشراف

مكتب البحوث والدراسات

في

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م

الطبعة الأولى



بيروت لبنان

حارة حريك - شارع عبد النور - برقيا: فكسي - ص.ب: ١١/٧٠٦١

تلفون: ٨٣٨٣٠٥ - ٨٣٨٢٠٢ - ٨٣٨١٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦١١٨٣٧٨٩٨

دولي: ٠٠٩٦١١٨٦٠٩٦٢ - دولي وفاكس: ٠٠١ - ٢١٢ - ٤٧٨٢٣٠٨

الجزء الثامن

بنو عبد شمس (٤)

أمر صالح بن مُسَرَّح[1] أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم :

قال الهيثم بن عدي : خرج صالح بن مُسَرَّح أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة وكان من مخابيث الخوارج ، وكان لا يرفع رأسه خشوعاً ، وكان يكنى أبا مالك ، فخرج ومعه فرسان من فرسانهم منهم ثور بن البطين بن سويد ، ومرة ، وخطامة ، وشوذب ، وشبيب ، وهم من بني شيبان ، فخرج بجوخى ، ثم أتى النهروان فصلى في مصارع أصحابه وقال : اللهم ألحقنا بهم فإنهم مضوا على طاعتك ، ثم أتى قرية بين الموصل والعراق وفيها قصر فنزله ، فبعث إليه بشر بن مروان زفر بن عمرو الفزاري فنكص عنه ، وبعث إليه الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني فواقعه فقتله ، وقتل للحارث ابنان ، وكان الذي طعن صالحاً فقتله : الأشعث بن الحارث بن عميرة .

---

١ ـ بهامش الأصل : مُسَرَّح بفتح الراء

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف : كان صالح بن مُسَرَّح أحد بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم ويكنى أبا مالك متخشعاً ، فأتاه شبيب بن يزيد الشيباني ، فقال له صالح : إن الحكيم السعيد إذا سمع الحق نَوَّر الله قلبه وجلا العمىٰ عن بصره .

ثم إن شبيباً أتى الموصل وهو يريد الشام في أمر من أموره ، فَقَدِم صالح بن مسرح الموصل وهو بها ، وصالح يريد نصيبين للقاء قوم من أصحابه بها ، فصار صالح إلى نصيبين ، ومضىٰ شبيب إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، ثم أتى دار صالح بن مسرح بها فقال لصالح : يا أبا مالك رحمك الله ، أخرج بنا فوالله ما تزداد السُّنَةُ إلا دُرُوساً ولا يزداد المجرمون إلا طغياناً واستجراحاً .

فبعث صالح الرسل إلى أصحابه فتواعدوا للخروج في صفر سنة ستٍ وسبعين ليلة أربعاء ، فاجتمعوا جميعاً للميعاد ، فقال شبيب لصالح : أرى أن نستعرض الناس فإنَّ الكُفْر قَدْ عَلَا وإنَّ الظلم قد فَشَا . فقال صالح : بل ندعوهم فإن الدعاء أقطع للحجة ، ولا نريد أَنْ نَعِيْبَ على قوم أعمالاً ندخل فيها ، وكان رأي صالح البسط بعد الدعاء ، فأقاموا بأرض دارا[1] بضع عشرة ليلة ، فتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار .

وكان خروج صالح في مائة وعشرين فأخذوا دواب من دواب محمد بن مروان كانت بقربهم ، وقد كان أمرهم بلغ محمداً فاستخف به وهو على الجزيرة ونواحيها من قِبَل أخيه عبد الملك بن مروان ، فوجَّه محمد إليهم

---

١ ـ دارا : بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين . معجم البلدان .

عدي بن عدي بن عميرة الكندي في خمسمائة ، ثم أَمَدَّهُ بخمسمائة فصار في ألف ، فأتى الخوارج وهم بِدُوغان[1] من حَرَّان ، وقد جعل صالح على ميمنته شبيباً وعلى ميسرته سُوَيْد بن سليم .

وكان عدي مُتَنسِّكاً مُتَوقياً للدماء ، فأرسل إلى صالح : إني لَسْتُ على رأيك ولكني أكره سَفْك الدماء ، فواقعه ، فكبَّ عديّ رايتَه وهرب فَحَوىٰ صالح عسكره فغضب محمد بن مروان ، وبعث مكانه الحارث بن جَعْوَنَة العامري في ألف وخمسمائة ، وبعث أيضاً خالد بن جزي السُّلمي في ألف وخمسمائة وقال : أيكُما سَبقَ فهو الأمير ، فتوافيا جميعاً ، فوجه صالح شبيب إلى [الحارث بن] جَعَوَنة العامري في شطر أصحابه ، وتوجَّهَ هو إلى خالد بن جزي في النصف الثاني ، فاقتتلوا بآمد[2] حتى حجز المساء بينهم وقد قتل من الخوارج ثلاثون ومن أصحاب محمد بن مروان سبعون ، وسار صالح فيمن بقي معه حتى أتى الموصل ثم أتى إلى الدَّسْكَرة .

ووجَّهَ بِشْرُ بن مروان الحارث بن عُمَيْرةَ بن مالِك بن حَمْزَة بن أَنْفَع بن زبيب بن شُرَاحِيْل ، وكان يقال لحمزة : ذو المِسْعَار الهمداني في ثلاثة آلاف من أهل الكوفة ، وصالح في تسعين ، ويقال بل وافاه في أربعة آلاف مِنَ مقاتلة أهل الكوفة وستة آلاف من الفُرض .

وكان على ميمنة الحارث بن عميرة أبو الرواع الشاكري من همدان ، وعلى ميسرته الزبير بن الأَرْوَج التميمي ، فثبت صالح فقُتل ، وضَارَبَ

١ ـ دوغان : قرية كبيرة بين رأس عين ونصيبين ، كانت سوقاً لأهل الجزيرة يجتمع إليها أهلها في كل شهر مرة . معجم البلدان .

٢ ـ آمد : بلد قديم حصين ركين ، مبني بالحجارة السود على نشز دجلة . معجم البلدان .

شبيب حتى صُرِعَ عن فَرَسِهِ فوقَع في الرَّجَالة ، فلما رأى صالحاً قتيلاً قال : إليَّ يا معاشر المسلمين . فلاَثُوا به واجتمعوا إليه وحامىٰ بعضهم على بعض حتى دخلوا حصناً بجواثا[1] فقال لهم شبيب : بايعوني أو من شئتم منكم ، ثم اخرجوا بنا حتى نبيتهم فإنّ الليل أخفىٰ للوَيْل ، وهُم آمنون لكم .

فبايعوا شبيباً وأتوا باللُّبود فَبَلُّوها بالماء ثم ألقوها على الجمر وخرجوا فلم يشعر ابن عميرة وأصحابه إلا والخوارج يضربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم ، وضارب الحارث بن عميرة حتى صُرِع فاحتمله أصحابه وانهزموا وخَلُّوا لهم العسكر وما فيه ومضوا إلى المدائن .

ومات ابن عميرة ، ويقال إن صالحاً جرح جراحات مات منها في ليلته ، وأمر أن يُبَايَعَ شبيب بعده واستخلَفَهُ والأول أثبت .

وكان قَتْلُ صالح بن مسرح في أيام بشر بن مروان ، وقال قوم : كان قَتْلُهُ في سنة ستٍ وسبعين يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، ويقال يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادىٰ الآخرة .

وقال الجعد بن ضمام :

أيا عَيْنُ فابكي صالحاً إنَّ صالحاً   شَرَىٰ نَفْسَهُ لله يَبْغي بِهَا الخُلْدَا
وقد كان ذا رأيٍ ثخينٍ ورأفةٍ   صَفُوحاً عنِ العَوْراءِ يَدْفَعُهَا عَمْدَا
وقد كان في الحرب العُوَانِ يُشِبُّهَا   ويُسْعِرُهَا بالخيلِ مَحْبُوكَةً جُرْدَا

في أبيات .

---

١ ـ المعروف أن جواثا حصن في البحرين ، ولم أقف على ذكر جواثا أخرى في الجزيرة ، أو العراق .

وقال أعشىٰ همدان ، وهو عبد الرحمن بن بسطام ، أحد بني مالك بن حاشد بن جُعشم بن خَيران بن نُوف بن همدان :

إلىٰ ابن عُمَيْرَة تَحْدِي بِنَا   عَلَىٰ أينها[1] القُلُصُ الضُمَّرُ
وَلاِبْنِ المُسَرَّحِ في جَحْفَلٍ   دَلَفْتُ وَفِرْسَانُه حُضَّرُ
شَبيبٌ وقَعْنَبُهم والبَطِينُ   وعَمْرُو وفارِسُهُمْ أَبْجَرُ
لَيوثُ عَرِينٍ هُمُ مَا هُمُ   إذا حَكَّمُوا وإذا كَبَّروا
فَلَمْ يُرَ تَحْتَ ظِلالَ السيو   فِ مِثْلُكَ محتسباً أَصْبَرُ
ولا مِثْلُ أشبالك الضاريا   تِ وَلا مِثْلُ مَعْشَركم مَعْشَرُ

وقال رجلٌ من بني تميم يرثي صالحاً ، واسمه المنهال :

أَمِنْهَالُ إنَّ الموتَ غادٍ ورائحُ   ولا خَيْرَ في الدنيا وقد ماتَ صالحَ
إذا قلتُ أنْسَىٰ صالحاً عادَ ذِكْرُهُ   جديداً لما انضَمَّتْ عليه الجَوَانحُ
لَئن كَانَ أَمْسَىٰ صَالحاً ثُلَّ عَرْشُهُ   لقد كانَ لاَ تُخْشَىٰ عليه الفَضَائِحُ

في أبيات .

وقال الحويرث الراسبي :

أقولُ لنفسي في الخَلاَءِ أَلُومُهَا   هُبِلْتِ دعيني قَدْ مَلَلْتُ مِنَ العُمْر
ومنْ عيْشَةٍ لاَ خيرَ فيها دَنيَّةٍ   مُذَمَّمَةٍ عِنْدَ الكرامِ ذَوِي الصَّبْر
سأركبُ حَدْبَاءَ الأمورِ لعلّني   أُلاَقِي التي لاَقى المُحرَّقُ في القَصر
وما كان غِمْراً صالِحٌ غَيْرَ أَنَّهُ   رَمَتْهُ صروفُ الدهر من حيث لا يدري

---

١ ـ الأين : الاعياء . القاموس .

أمر يزيد بن بَعْثَر

قال الهيثم : خرج يزيد بن بعثر السعدي من تميم بجوخى[1] ، فوجّه إليه بشر بن مروان خيلاً فقُتل . فقال عِمران بن حِطّان :

لقد كان في الدنيا يزيد بن بَعْثَرٍ حريصاً على الخيرات حُلْواً شَمائِلُه

في أبيات .

وقال الهيثم بن عدي : خرج في أيام ابن عربي وولايته اليمامة خوارج من السجن ، وكانوا مُقَيَّدِين فَحَكَّمُوا ، فقال لهم رجل منهم : اطلقوا قيودكم . قالوا : ولم؟ لسنا نريد الفرار. فلم يخرج إليهم إبراهيم بن عربي وأخرج رجلاً يقال له عطية بن جناب من أصحابه ، ومعه رجل من موالي آل أبي مرْثَد الغَنَوي فقاتلاهم فَقُتِل الخوارج .

---

١ ـ جوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد .

أمر هَدْبَة الطائي بن عمرو

من بني جَذْعَاء ، وأمه شيبانية وكان فيهم .

وقال : وخرج هدبة الطائي بجوخىٰ على بشر بن مروان في جماعة فقتله سيف بن هانىء ، وكان على مسالح جوخى والطريق ، وكان مُوكلاً بقتال الخوارج في نواحيه ، فقال أيوب بن سَعْفَة :

إنْ يَكُ خِلٍّ هُدْبَةُ اليومَ قَدْ مضىَ فإني بآلآءِ الفتىٰ أنَا نَادِبُـهْ

فيا هُدْبُ للهَيجَا وللسَّيْفِ والقَنَا ويا هُدْبُ يَوْماً للخَصِيْم يُجَاذِبُه

في أبيات .

ويقال : إنَّ هدبة شيباني وهو هدبة بن عبد عمرو من ولد قيس بن خالد الشيباني ، وقال المدائني : قَتَلَ هدبةَ سيفٌ في أيام الحجاج .

أمر شبيب بن يزيد الشيباني

قال ابن الكلبي عن لوط وغيره : غزا يزيد بن نُعَيْم بن قَيْس بن عَمْرو بن قَيْس بن شُرَاحيل بن همام بن مُرَّة بن ذُهَلْ بن شيبان بن ثَعْلَبَة بن عُكَابَة الروم فابتاع جارية من السبي ووقع عليها فولدت له شبيب بن يزيد في سنة خمسة وعشرين في يوم النحر ، فقال أبوه : ولد في اليوم الذي تُهْراق فيه الدماء ، وأحسَبه سيكون صاحب دماء ، وكان اسم أم شبيب جُمَيْرَة .

وقال الهيثم بن عدي : كان اسم أمه غَزَالة واسم امرأته جُهَيْزَة بنت عمرو .

قال الكلبي : وانتقل يزيد من الكوفة إلى الموصل وكان شبيب صاحب فَتْكٍ وغارات وكان يبيت الأكراد ، فقال الشاعر :

لَمْ أَرَ أياماً كأيام مالكٍ ولم أَرَ ليلاً مِثْلَ لَيْلِ شَبيْبِ

وكان مالك رجلاً يُغير بالنَهار فيأخذ ما اسْتطَفّ[1] له ، وكَان شبيب في الديوان فُرِضَ له حين أدركَ . ثم إنه تَنَسَّكَ وارتدع ، وذلك أنه سمع رجلاً

---

١ ـ خذ ما طف لك واستطف : ما ارتفع لك وأمكن ودنا منك . القاموس .

يقرأ : ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما * إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتِ من لَدُنْهُ أجراً عظيما * فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ إلى قوله : ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾[1] ، فقال : ما أغْفَلَ شبيب عما خُلِقَ له وعما يُراد به ، فأَعَجَب أباه ما رأى من حالِهِ .

ثم إن شبيباً حج فأتى الكوفة فنزل على القَعْقَاع بن شَوْر الذُّهْلي في بَدْأَتِهِ فَبَرَّه وأكرمَه ، ثم سار فلما قضى حجته وصار بالربذة أَيْدِعَ به[2] وانقَطِعَ بقوم معه أيضاً فمرت بهم هند بنت أسماء بن خارجة الفَزَاري فقاموا إليها فسألوها فأمرت لهم بزادٍ وحملان . ثم إن شبيباً قَدِمَ الكوفة فجعل يسأل عن أهل العبادة والصيام فَدُلَّ على صالح بن مُسَرح ، فسمع منه وقَبِل قولَه .

ومضى شبيب بعد أن لقي صالحاً إلى الموصل ، وسار صالح يريد نصيبين للقاء أصحاب له هناك ، ثم أتى دارا ومضى شبيب إلى عبد الملك بن مروان وقد كان اسمه سقط من الديوان لكثرة غيبته وتخلفه عن الإعتراض من العُرَّاض فَحُلِّقَ على اسمه فكلم الناس عبد الملك في الفَكّ عن اسمه وإدرار أرزاقه عليه فأبىٰ وقال إنّ بكر بن وائل وبني تميم حَيَّانَ كثيرٌ شرُّهما وما أُحبُّ أن يكثُروا بهذه البلاد . فأُخبِرَ شبيب بقول عبد الملك فقال : والله لأَسُوْءَنَّهُ ، فأَبْلِغُوه عني فَلَه مني يوم أرونان[3] .

---

١ ـ سورة النساء ـ الآيات : ٣٩ ـ ٤٢ .
٢ ـ أيدع الحج على نفسه : أوجبه . القاموس .
٣ ـ الأرونان : الصعب من الأيام . القاموس .

ثم قَدِمَ على صالح بن مُسَرّح وهو بدارا فكان منه ما ذكرنا ، وقُتل صالح فبايعه أصحابه .

وقال الهيثم بن عدي : كان بنو مروان لا يَفْرِضون لبَكرٍ ولا تميم بالشام فخرج شبيب يطلب الفريضة وقد سبقه صالح بن مُسَرّحٍ بالخروج والخوارج يرون من خرج منهم ، ثم خرج بعده آخران الثاني تَبَعٌ للأول فكان شبيب معه حتى قُتِلَ فبويع بَعْدَهُ فوجَّهَ إليه بشر بن مروان خيولاً فهزمها شبيب .

وأقام على ذلك نحواً من سنة حتى مات بشر بن مروان ، وقدم الحجاج العراق ، فأقام سنة لا يَعْرِضُ لشبيب حتى كثف أمره واشتدت شوكته .

وبلغ قطري بن الفُجاءة خروج شبيب في أيام الحجاج فقال : إن الله قد قَيَّضَ للفاسق أخي ثمود رجلاً من الصُّفرية سيشجيه ويُخزيه ، والله ما نُبالي في أيِّ الفريقين كان الفتح .

وقال ابن الكلبي : لما اعتَقَد شبيب ارتفع إلى أرض الموصل ، فدعا سلامة بن سيَّار الشيباني إلى الخروج معه ، وكان فَضَالَةَ بن سيار أخوه يقول : الفضل بن سيار قد خرج قَبْلَ خروج صالح بن مُسَرّح فقتلته عَنْزَةَ ، ففرض لهم عبد الملك وأنْزَلَهُم بانقايا من حَرَّةِ الموصل - فاختار سلامة من أصحابه ثلاثين فأغار بهم على عَنْزَةَ فقتل منهم بشراً ، وقال شعراً يقول فيه :

فَصَبَّحتُهُم قَبـلَ الشُّرُوقِ بِفِتْيَةٍ مَسَاعِيرُ لَا كُشْفُ اللِّقَاءِ ولا عُزْلِ
وَلَيْسَتْ دِمـاءُ اليَقْدُمِيِّـينَ بالَّتي تُوازي دِماءَ الحَيِّ شَيْبَانَ في القَتْلِ
لعَلَّ جيادي أَنْ تَعـودَ عَلَيْهُمُ فَتُنْزِلُهُمْ دار الصَّغَار مع الذُّلِّ

فيقال : إن سلامة كان معه ، ويقال إنه اعتذر بِشُغلٍ له .

وأقبل شبيب في أصحابه نحو زاذان[1] ومعه أمه في مظلَّةٍ من مظالّ الأعراب ، وكان حملها من الموصل معه ، وانضمّ إليه قوم ، منهم أبو الصقر ابراهيم المحلّمي وكان نازلاً في بني تميم بن شيبان ، وكان الحجاج قد ولى سفيان بن أبي العالية الخثعمي طبرستان فكتب إليه أن ينكفىء راجعاً لِمُوَاقَعَةِ شبيب ، ونادىٰ في جيش الحارث بن عميرة الهمداني بالكوفة والمدائن فساروا عليهم سَوْرَةُ بن أَبْجَر بن نافع بن العِرْباض أحد بني أبان بن دارم فلم يتخلف منهم كثير أحد .

وعَجل سفيان بن أبي العالية إلى محاربة شبيب بخانقين قبل مصير سورة إليه ، وأكمن شبيب لابن أبي العالية مصاد بن يزيد أخاه ، واستطرد لهم حتى ظنوا أنهم قد هزموه ، ثم خرج عليهم الكمين فقاتلوهم من ورائهم ، وكَرَّ شبيب فواجههم فانهزموا ، وثبت سفيان بن أبي العالية في نحوٍ من مائتين فقاتلهم فأحاط به أصحاب شبيب فقاتل دونه غلام له يقال له غزون .

وأقبل سفيان إلى مهروذ[2] فنزل بها وكتب إلي الحجاج بخبره ومواقعته شبيباً بخانقين ، وكتب الحجاج إلى سَوْرَة يُعَنِّفُهُ ويأمره أن يأتي شبيباً ، فبعث سورة إلى المدائن فانتُخُبَ له منها خمسمائة رجل من جندها فتوافوا إليه مع من معه وخرج لطلب شبيب وهو يجول (بجوخىٰ) وأتى شبيب المدائن فقتل من ظهر له وأخذ دواب من دواب الجند ولم يدخل البيوت .

١ ـ موضع قرب الرقة في ديار مضر .

٢ ـ مهروذ : من طساسيج سواد بغداد . معجم البلدان .

ثم إن شبيباً أتى النهروان فوقف أصحابه على قبور من قتله علي بن أبي طالب فاستغْفَرَ لهم وكان في مائة ، فلقيه سَوْرَة في نُخْبَةٍ مَنْ مَعَهُ فقاتله شبيب وهو يقول : «مَنْ يَنِكِ العِيْرَ يَنِكْ نَيَّاكَا» . فهزمه شبيب واتبعه حتى بلغ المدائن ودنا من بيوتها ، فرمي وأصحابه من فوق البيوت .

ثم أتى شبيب كلواذى[1] ، ثم أقبل يسيرُ إلى أرض جوخىٰ وصار إلى جبال تكريت ولحق الجند بالكوفة فغضب الحجاج على سورة بن أبجر وقال : والله لأَسُوْءَنَّه ، ووجَّه الجُزَل وهو سعيد بن شرحبيل بن عمرو بن الأرقم الكندي ، وبعضهم يقول سعيد بن عمرو . والأول أثبت .

وضم إليه أربعة آلاف مقاتل ، وأقبل الجُزَل يطلب شبيباً في أرض جوخىٰ وشبيب يُرِيْهِ الهيبة له فيخرج من طَسُّوجٍ إلى طَسُّوجٍ ، وكان يومئذٍ في ستين ومائة .

واستبطأ الحجاج الجزل فولَّى سعيد بن المُجَالد بن عمير بن ذي مَرَّان الهَمْدَاني ـ جَدّ المُجالد بن سعيد المُحَدِّث ـ جيشه وضَمَّهُ إليه فصار من تحت يَدِهِ وقال له : لا تفعل كما فعل الكندي يَطْلُبُ طَلَبَ السَّبُعِ ويَحِيْدُ حياد الضَّبع .

وأتىٰ شبيب براز الروز[2] فالتقوا وعلى ميمنة ابن المجالد عياض بن أبي لينة وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف الرؤاسي أبو حميد بن عبد الرحمن ، فهزمهم شبيب وحمل علىٰ سعيد بن المُجَالد فضربه ضربةً خالطَتْ دماغه فقتله شبيب .

---

١ ـ كلواذى : طسوج قرب بغداد . معجم البلدان .

٢ ـ براز الروز : من طساسيج السواد ببغداد . معجم البلدان .

وقاتل الجُزَل قتالاً شديداً حتى صُرِعَ فسقط بين القتلىٰ ، فَحُمِلَ إلى المدائن ولحق الجيش بالكوفة ، وكتب الجزلُ إلى الحجاج بالخبر فأجابه بجواب لطيف ، وفيه يقول بعض الكنديين :

جاؤوا بِشَيْخِهُمُ وجئْنَا بِالجُزَلْ   شيخٌ إذا ما لقيَ القَوْمَ نَزَلْ

ولم يلبث الجزل أنْ مات ، وقال المُحِلُّ بن وائل :

كيفَ رأيتَ يا بن ذي مِرَّان   جِلَادُنَا عِنْدَ قُرَىٰ الهَرْوَان
أذاقـك العَلْقَـمَ والـذِّيْفَـانِ   والمـوتَ أَسْـيَافُ بنـي شَـيْبَانِ

وبعث الحجاج إلى الجُزَل ابن أبجر الطبيب ليعالجه وبألف درهم ، وأقبل شبيب إلى كرخ بغداد ولم يعرض لأهل سوقها العتيق ، ثم سار شبيب جواداً حتى أتى الكوفة فنزل عند دار الرزْق وقد أمر الحجاج أهل الكوفة فعسكروا بالسَّبخة وعليهم عثمان بن قطن الحارثي .

ووجَّه الحجاج سويد بن عبد الرحمن السعدي للقائه فحمل عليه شبيب حملة منكرة ، ومضى حتى قطع بيوت الحيرة ، ثم مضى شبيب إلى الأنبار ثم أتى دقوقا ، ثم مضى إلى آذربيجان وناحية أرمينية ، فتركه الحجاج وخرج إلى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة .

ثم إن شبيباً أقبل يريد الكوفة وبلغ الحجاج ذلك فأقبل من البصرة جواداً إلى الكوفة وأتى شبيب حربى[1] وهي دجلة فعبر منها ، وقال لأصحابه : ليس الحجاج بالكوفة فما دون دخولها بإذن الله شيء .

---

١ ـ بليدة في أقصى دجيل بين بغداد وتكريت .

فخرج مُبادراً ونزل الحجاج الكوفة العصر ، ونزل شبيب السَّبْخة المغرب ، فلما صلى المغرب والعشاء الآخرة جاء حتى ضرب باب القصر بعمود وتَمثَّل

عاري الجواعرِ مِنْ ثَمُودٍ أَصْلُهُ عَبْدٌ وَيَزْعَمُ أَنَّهُ مِنْ يَقْدُمِ

ثم إنه اقتحم المسجد الأعظم وعلا المنبر وأُقعد غزالة وهي امرأته وهي من سَبيِ أصبهان على المنبر لئلا يصيبها الرمي ، ويقال بل كانت نَذَرتْ أن تصعد المنبر فصعِدتهُ .

وقال بعضهم : لم تكن امرأته ولا أُمُّهُ ولكنها كانت من الخوارج ثم خرج .

ونادى الحجاج في الناس فكان أول من أتاه : عثمان بن قطن بن عبد الله ، ثم وجَّه الحجاج بِشْر بن غالب الأسدي في ألفين وزائدة بن قدامة الثقفي وأبا الضريس مولى بني ثعلبة بن يربوع تميم في ألف ، وأَعْين مولى بشر بن مروان ـ ويقال مولى سعد بن أبي وقاص ـ في ألف ، ووجَّه محمد بن موسى بن طلحة التيمي ، وزياد بن عمرو العتكي فنزل هؤلاء الأمراء أسفل الفرات فتجنبهم شبيب وأخذ نحو القادسية .

وبعث الحجاج زحر بن قيس الجعفي في ألف وثمانمائة جريدةً وقال : اتْبعهُ فإن لم يعطف اليك فلا تقاتله .

وبلغ شبيباً خبره فأقبل إليه والتقيا فُهزِمَ أصحاب زحر ونزل فقاتل حتى صُرعَ ، فلما أَمْسى تحامل حتى دخل الكوفة وبه بضع عشرة ضربةً ، فأكرمه الحجاج وبَرَّه وقال : من أراد أن يرى شهيداً يمشي على الأرض وهو من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .

ويقال إن زائدة لقيهم وعلى ميمنته بِشْر بن غالب وعلى ميسرته زياد بن عمر العتكي ، فصيَّر شبيب سُويد بن سليم في كردوس حيال الميمنة ، وصيَّر أخاه حيال الميسرة ، ووقف بحيال القلب ، فشدَّ سويد على زياد فصابره ساعة ثم انهزم زياد وقد أحاط به ثلاثون سيفاً ، وقُتل زائدة ، وبلغ شبيباً مكان الأمراء بأسفل الفرات فسار إليهم ودافعهمُ وأُفرد بإزاء كل أمير منهم جماعة من أصحابه وعليهم رجل يسُوسهم ، فقتل زائدة بن قُدامة ، وقاتل زياد بن عمر العتكي من يليه فصابرهم ثم هزموه .

وقاتل محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقُتل ، ودخل أبو الضُرَيس جوسقاً هناك فقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف ، فبايعه قوم منهم عبد الرحمن بن جندب وأبو بردة بن أبي موسى ، ثم خرج شبيب بأصحابه إلى نفر[1] ثم أتى خانيجار[2] فأقام بها ، فوجَّه إليه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في كثف ومعه من كندة خمسمائة فارس فدخل على الجُزَل وهو يعالج الموت فقال له : إنك تقاتل قوماً كأنهم قد خلقوا من أضلاع الخيل وبنوا على ظهورها أسود غاب يستطعمون الموت ، إن هجهجوا[3] أَقدموا وإن كفَّ عنهم لم يكفُّوا .

فأقبل شبيب حتى نزل جولايا[4] ونزل ابن الأشعث بقربه وذلك في أيام

١ ـ نفر : بلد من نواحي بابل بأرض الكوفة . معجم البلدان .
٢ ـ خانيجار : بليدة بين بغداد وإربل قرب دقوقا . معجم البلدان .
٣ ـ هجهج بالسبع : صاح ، وبالجمل : زجره ، والهجهاج : النفور ، والشديد الهدير من الجمال ، والداهية . القاموس .
٤ ـ ليس في معجم البلدان .

العشر ، فبعث إليه شبيب : إن هذه أيام عيد فإن رأيت أن توادعنا حتى تمضي . وكان يُحِبُّ المطاولة فوادعَه فكتب عثمان بن قَطَن بذلك إلى الحجاج وبإقبال عبد الرحمن على الجباية واستيكاله الرعية ، فولَّاه جيش عبد الرحمن ، وولى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبه مكانه .

وكان ابن أبي عصيفير الثقفي على المدائن فعزله الحجاج وولى المدائن عبد الرحمن ، وخرج ابن أبي قطن فتسلم عسكر عبد الرحمن بن الأشعث ، وواقع شبيباً ، وهو في مائة وأحد وثمانين ، فترجَّل عثمان وكان على ميسرته عقيل بن شداد السَّلولي فجعل يقول :

لأَضربنَّ بالحسام الباتِرِ ضَرْبَ شجاعٍ بطلٍ مُغَاوِرِ

فحمل عليه شبيب فقتله ، ووقع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في نهر جولايا ، فدفع إليه رمح فتعلق به ، وقال له محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي : اركب . فقال : أينا الرِّدفُ ؟ . فبلغ الحجاج فقال : أَنخوةٌ وهو منهزم ؟

وظهر شبيب عليهم ، فأمر برفع السيف ، ودعا إلى البيعة فبايعة قوم من الرجَّالة ، وقُتل من كِنْدةَ يومئذ مائة وعشرون ومن سائر الناس ألفٌ ، وقُتل عثمان بن قطن ، قتله مصاد أخو شبيب ثم أتى شبيب سفح ساتيدما[1] فقتل قوماً من بكر بن وائل لم يتبعوه ، ثم أتى المدائن فناظر حذيفة بن اليمان فقال الحجاج لمن قبله : والله لتقاتلنَّ عن فيئكم أو لأبعثنَّ إلى قومٍ هُمْ أَسْمَعُ وأَطْوعُ وأصبر على الَّلأواء منكم ، فليقاتلنَّ عدوَّكم وليأكلنَّ فيئكم .

١ ـ جبل ساتيدما ميافارقين وسعرت قرب أرزن . معجم البلدان .

فقام زهرة بن حْويَّة التميمي فقال : إني كبير السنّ ضعيف ، ولكن أَبْعثُ رجلاً ، وأكون معه وأشيرُ عليه ، فقال الحجاج : جزاك الله خيراً عن أوَّل أمرك وآخره .

وكان زهرة ممن شهد القادسية ، فكتب إلى عبد الملك يخبره أنَّ أهل الكوفة قد عجزوا وضعفوا عن شبيب ، ويسأله أن يبعث إليه رجلاً ذا شجاعة ونصيحة ، فوجَّه إليه سُفيان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف ، وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ألفين ، ويزيد بن هبيرة المحاربي معهما ، وبعث الحجاج قبل قدومهم إلى عتاب بن ورقاء الرِّياحي وهو مع المهلب ، فقدم عليه فجعله على أهل الكوفة وضمَّ إليه زهرة بن حُويَّة .

وكان بشر بن مروان وجَّه عتَّاباً إلى المهلب وهو بالأهواز فحارب قطري بن الفجاءة ، وأتى شبيب بَهُرَسير[1] فنزل مدينتها ، وبعث إليه مطرف بن المغيرة أن ابعث إليَّ من أُناظره فكان من أمره ما كان مما قد ذكرناه في كتابنا هذا .

ووجَّه الحجاج عَتَّاب بن ورقاء ، وشبيب يومئذٍ في ستمائة فواقعه عتّاب فقاتل وصبر فقُتل عتاب ، قتله رجل يقال له عمرو بن عبد عمرو من بني تغلب ويقال الفضل بن عامر الشيباني ويقال عامر بن عمرو ، ووطىء زُهرة بن حوية فجعل يذب بسيفه وهو شيخ ضعيف البصر لا يستطيع القيام ، فجاء الفضل بن عامر الشيباني فقتله وذلك بسوق حكمة على ستة فراسخ من المدائن ، فلما رأى شبيب زُهرة قال : لئن كنت قُتِلتَ ضالاً لَرُبَّ

---

١ - بهرسير : من نواحي سواد بغداد قرب المدائن . معجم البلدان .

يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ، ولرب خيل للمشركين قد هزمتها ، وسريَّةٍ لهم قد ذعرتها .

واستمكن شبيب من أهل العسكر فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعاهم إلى البيعة فبايعوه ثم هربوا من تحت ليلتهم ، ودخل سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الكوفة فيمن معهما .

وخطب الحجاج أهل الكوفة فقال : لا أعز الله من أراد العزَّ بكم ، لا تشهدوا معنا قتال عدونا والحقوا بالنصارى واليهود .

وأقبل شبيب إلى الكوفة فقتل عامل سوراء[1] ، وأخذ ما كان عنده من المال ، وزحف إليه الحجاج نفسه ومعه سفيان بن الأبرد ، فجعل أهل الكوفة يقولون :

دبـــوا دبيبـــا واحـــذروا شـــبيبـاً

وسار شبيب إلى السبخة فوجَّه إليه الحجاج غلماناً له فقتلهم ، ووجه إليه عُمارة الطويل فاستعلى عليه ، فقال شبيب : قاتلني رجل ما أحسبه ولا أراه إلا طويل بني المجنون .

وأخذ أهل الكوفة بأفواه السكك وأشرعوا الرماح في وجوههم ، وقاتل خالد بن عتّاب بن ورقاء الخوارج فقتل مصاد أخا شبيب وجهيزة أم شبيب وكانت قد قاتلت قتالاً شديداً ، وقال الناس :

أُمُّ شبيب وَلَـدَتْ شبيبـاً هَـلْ تَلِدُ الذِّئْبَـةُ إلا ذِئْبَـاً

---

١ - سوراء : موضع إلى جانب بغداد . معجم البلدان .

وقُتلت غزالة واحتز رأسها فقال الحجاج : والله ما قوتل شبيب قبل يومه هذا وَمَرَّتِهِ هذه .

وهرب شبيب فبعث الحجاج في إثره حبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ثلاثة آلاف من أهل الشام فقاتله بالأنبار حتى كره بعضهم بعضاً .

وأتى شبيب واسطاً من ناحية أرض جوخى ، ثم أتى الأهواز وتجاوزها إلى فارس حتى إذا قوي واستراش عاد إلى الأهواز فلقيه سفيان بن الأبرد وحبيب والشاميون عند جسر دجيل بالأهواز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى اضطر الخوارج إلى الجسر فلم يجدوا عنه مَحِيصاً ، فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه مائة فقاتل أشد قتال ، فلما رأى سفيان صعوبة أمرهم أمر الرماة فرشقوهم بالنبل ، وكرَّ شبيب على الرماة فصرع منهم أكثر من ثلاثين ، ثم قال لأصحابه : اعبروا رحمكم الله . وقدَّمهم وبقي في أخريات الناس .

ورأى فرسُهُ رمكة[1] بعض أصحابه فتحصَّن[2] فزلَّت رجلُ فرسه فسقط في الماء وهو يقول : ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾[3] .

ويقال إنه لما قاتلهم قال لأصحابه في المساء : قد انصرف عنكم عدوكم فاعبروا بنا فإذا أصبحنا قاتلناهم ، ومرَّ وهو يركض فلما سار في وسط الجسر قطعه قوم من بني شيبان كانوا حقدوا عليه قتل من قتل في ساتيدما ، فغرق .

١ ـ الرمكة : الفرس الأنثى والبرذونة تتخذ للنسل . القاموس .
٢ ـ أحصن : تزوج ، والمحصن : الفرس الذكر والمقصود أن حصانه أراد أن ينزو . القاموس .
٣ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٤٢ .

ويقال إنه لما حجز بينهم الليل عبر شبيب الجسر ، وبصر بهم قوم من أصحاب سفيان فقطعوا الجسر فماج بهم فغرق شبيب وجماعة معه ، قالوا : فأمر سفيان فاستخرج شبيب بالشِّباك وشُقَّ بطنه فوجِد قلبه كأنه صخرة يُضرب به الأرض فلا يثبتُ وينبو عنها نُبُوَّ الحجر ، وكان غرقه ليلاً . والشراة يقولون كان على قلبه شعر وذلك باطل .

وقال معمر بن المثنى: خرج شبيب في أيام بشر بن مروان حين قُتل صالح بن مُسرّح ، وكان معه فلم يزل يتنقّل في جوخى حتى ولي الحجاج فبعث إليه عبيد بن المخارق القيني من أهل الشام ، فهزمه شبيب ، ثم بعث إليه زحر بن قيس فهزم أصحابه وارتثَّ وبه ثلاثون طعنة ، وضربه حتى حُمل في القطن ، ثم بعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزمه ، ثم عتَّاباً فقتله ، ثم الجُزَل الكندي فقتله ، ثم بعث إليه زياد بن عمرو العتكي فانهزم ، ثم بعث محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله فقتله ، فقال قطري حين بلغه أَمْرُ شبيب : إن الله قد قَيَّض للفاسق أخي ثمود رجلاً من الصُّفرية قد أشجاه ، والله ما نُبالي بأي الفريقين كان الفتح .

ووجه الحجاج إلى شبيب يزيد بن هبيرة المحاربي فهزمه .

وحدثني العُمري عن الهيثم بن عدي عن عوانة وابن عياش وغيرهما قالوا : لما قُتل صالح بن مُسرَّح وبويع شبيب بعده في ولاية بشر ، بعث إليه بشر خيلاً فَفَضَّها ، ومكث شبيب ينتقل بجوخى والسَّواد سنة ، ثم وجَّه الحجاج إليه عُبيد بن أبي المُخارق القيني فهزمه شبيب ، ثم وجَّه إليه يزيد بن هُبَيْرَة المُحاربي فهزمه ، ثم بعث إليه زحر بن قيس الجُعفي فهزمه وارتثَّ وبه ضربات وطعنات وكان يحمل في القُطن وكانت ضربة منها قد فلقت عينه ،

فقال الحجاج : من أَحبَّ أن ينظر إلى الشهيد الحيّ فلينظر إلى زحر بن قيس .

ثم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فهزمه ، ثم بعث عتّاب بن ورقاء فلقيه بالفلوجة فقتله شبيب ، ثم بعث إليه الجُزل الكندي فوجّه إليه شبيب المهذّب السكوني والبُطين الشيباني فقال شاعر أهل العراق :

جاؤوا بشَيْخِهِمُ وجئنا بالجُزَلْ شَيخاً إذا ما عَايَنَ الموتَ نَزَلْ

فقُتل الجزل ، ثم بعث إليه عثمان بن قَطَن الحارثي فقتله شبيب ، ثم بعث إليه طهمان مولى آل عُقْبَةُ بن أبي مُعيط بن أبي عَمْرو بن أُمية .

وقال غير الهيثم : هو مولى عثمان.وكان على فرس للحجاج فشَدّ عليه شبيب وهو يظنه الحجاج فقتله .

ثم بعث إليه أبا الورد مولاه فقتله ثم بعث إليه زياد بن عمرو العتكي فصابَرَهُ يوماً وليلة ثم انهزم زياد ، ومع زياد يومئذٍ النَّضْر بن القعقاع بن شَوْرِ الذُّهْلي . فلما رآه شبيب منهزماً كفَّ عن جري فرسه ليدٍ كانت لأبيه عنده ، ثم قال : أَيَا نَضْر ، لا حُكْمَ إلا الله ، قُلْهَا لتنجو ، فقال الخوارج : أتعصباً في دين الله ؟ قال : لا ، ثم حمل على النضر فقتله .

ثم بعث إليه محمد بن موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله فقتله شبيب ، ثم بعث إليه أبا الضُّرَيس مولى تميم فقتله .

ومكث شبيب أربع سنين ، ثم ضرب الحجاج البعث على أهل الكوفة ، وخرج حتى عسكر بالسَّبْخَة ، وجعل شبيب يتنقل فيما بين السَّواد والجبل ، وبعث إليه الحجاج عبدالله بن زُمَيْت فما شعر الحجاج وهو في

عسكره بالسَّبْخَة إلا وقد أقبلَ شبيب ، وقد سَبَقَ أصحابَه في ثلاثين فارساً ، ففرقهم في نواحي عسكر الحجاج ثم حَكَّموا ، فانذعر الناس ودخل عامتهم الكوفة ، وقُتل من أصحاب الحجاج نحوٌ من مائة وثلاثين ، ولم يُقتل من أصحاب شبيب إلاّ رجلان .

ثم انصرف شبيب فلقي أصحابه على الطريق فردَّهُم ، ثم أقبل فأتى الفلوجة فأقام بها خمس عشرة ليلة ، ثم أتى كُوثىٰ ، فبعث إليه الحجاج علقمة بن عبد الرحمن الحَكَمي فكَسَرَهُ ثم انحاز إلى الأنبار وكتب الحجاج إلى عبد الملك : «الغوثَ الغوثَ يا أميرَ المؤمنين ، وَجِّهْ إليَّ أهلَ الشام فإنه لا غَنَاء عند أهل الكوفة» . فبعث إليه أربعة آلاف رجل فقدموا عليه وشبيب بالأنبار ، فقال شبيب : لَنَذْعَرَنَّ ابن أبي رغال . فأقبلَ وقد قَرَّطَ[1] فرسه عِنَانَه ، وقَرَّط الخوارج خيلهم أعِنَّتَهَا حتى دخلوا الكوفة ليلاً بعدما صُلِّيَتِ العِشَاء الأخيرة ومعه مائة وخمسون رجلاً ، ومعه جَهِيْزَة امرأته وغزالة أمه وكانت من سبي أصبهان ، وفي المسجد أصحاب الأساطين والبرانس يُصَلون والأحراس في السِّكَك ، فقال شبيب لأصحابه : لِيَقم علىٰ كلِّ باب رجلان فلا يَمُرُّ بهما أحدٌ إلاّ قتلاه ، وقال لأمِّهِ وامرأتهِ : اقعدا على المنبر لا تُصِبْكُمَا مَعَرَّةٌ .

ثم اعترض من في المسجد فَقُتلوا ، وقَتَل أصحابُه من شَدَّ فأراد الخروج وقُتِلَ أبو سليم ، وهو أبو ليث بن أبي سليم المُحَدِّثِ في عدَّة من النُسَّاك .

---

١ ـ قرط الفرس : ألجمها ، أو جعل أعنتها وراء آذانها عند طرح اللجم . القاموس

وطلبَ حَوْشَب بن يزيد فاستخفىٰ ، وأخذ ميمون العذاب مولىٰ حَوْشب بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني ، وكان حوشب يومئذٍ على الشرطة والاستخراج ، وميمون خليفته على الاستخراج وطلب حوشباً فلزم منزله ولم يبرح ، وجعل أصحاب شبيب يضربون باب القصر ويقولون : يا عدو الله ، يا بنِ أبي رغال ، يا أخا ثمود ، أخرج . ففي ذلك يقول وُصَيلة بن عُتْبَان الشيباني :

لَعَمْري لقد نادىٰ شبيبٌ وصَحْبُهُ على الباب لَوْ أَنَّ الأميرَ يُجيبُ
فَأَبلَغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً وذو النُّصْحِ لَوْ تُصْغِي إليه قَرِيْبُ
أَتَذْكُرُ إِذْ دارتْ عليكَ رِمَاحُنَا بمَسْكَنَ والكلبيُّ ثَمَّ غَرِيْبُ
فلا صُلْحَ مَادامتْ منابِرُ أَرْضِنَا يقومُ عليها مِنْ ثَقيف خطَيبُ
فإِنَّك إلَّا تُرْضِ بَكْرَ بن وائلٍ يَكُنْ لكَ يومٌ بالعراق عَصِيْبُ
فَلا ضَيْرَ إنْ كانت قريشٌ عِدَىً لنا يُصِيْبُونَ مِنَّا مَرَّةً وَنُصْيبُ
فإن يَكُ منهم كان مروانُ وَابْنُهُ وعَمروٌ ، ومنهم هاشمٌ ، وحبيبٌ
فمنَّا سويدٌ والبُطَيْنُ وقَعْنَبٌ ومنَّا أميرُ المؤمنينَ شبيبُ
غزالةُ ذاتُ النَّذْرِ مِنّا حَمِيْدَةٌ لها في سِهَامِ المسلمينَ نَصِيْبُ

يقال إنها نذرت أن تصعد منبر الكوفة .

ومِنَّا سِنَانُ الموتِ وابن عُوَيْمِرٍ وَمُرَّةَ فانظر أَيَّ ذاكَ تُعِيْبُ

فقال عبد الملك : كلهم والله أعيب .

فلما طلع الفجر قال شبيب لبعض أصحابه : أَذِّنْ ، فَأَذَّنَ وأقامَ ، وتقدم شبيب فصلىٰ بهم الغداة وقرأ بهم بسورة البقرة وآل عمران حتى كادت الشمس تطلع ، ثم جلس وَسْطَ المسجد ساعة وأقبلتِ الخيول فقال

لأصحابه : اركبوا . ونادىٰ منادي الحجاج : يا خيل الله اركبي . وأقبل الناس فجالدَهم شبيب وأصحابُه في المسجد ثم خرج شبيب واصحابه واتبعه الناس واضطربوا في موضع السوق ساعة ثم زاحفهم الحجاج في أربعة آلاف من أهل الشام وقال : لا يخرجنَّ من أهل الكوفة أحد إلا خالد بن عتّاب بن وَرْقاء فإنه ثائر بأبيه ، وغير جَهْم بن زحر بن قيس .

وكان الحجاج أشد الناس انقطاعاً في الحرب إنما كان مولاه أبو كعب هو الذي يأمر وينهىٰ ، فصابرهم شبيب وأصحابه يومهم الأطول في السبخة ، وكان قتيبة يومئذٍ مع الحجاج ، وأحجم الناس عن شبيب ، وعلا شبيب مَزْبَلَةً كانت هناك يشرف منها على الكوفة فجالدوه حتى أزالوه عنها ، وصاروا جميعاً بالأرض فتقاتلوا حتى كثُرت الجراح في الفريقين ، وولىٰ شبيب وأصحابه منهزمين واتَّبَعَهُم علقمة بن عبد الرحمن الحكمي وأصحابه حتى انتهوا إلى القُرْبِ من دار الرزق ، وخرج شبيب من وجهه إلى الأنبار ، فقال عبد الواحد الأزدي من الخوراج :

يا ليتَني في الخيلِ وَهِي تَدُوْسُهُم في السوقِ يومَ الظَّفْرِ بالحجَّاجِ
بأخي ثَمودَ وقرب ما أَخطانه وَلَقَدْ بَلَغْنَ العُذْرَ في الإدْلاجِ
أَصْبَحْنَ بالأنبارِ ثُمَّ أَتَيْنَهُ مِثْلَ السَّعَالي تَحْتَ لَيْلٍ دَاجِ
فَبَطَحْنَ مَيْمُونَ العَذَابَ لِوَجْهِهِ وَتَركْنَهُ مُتَقَطِّعَ الأَوْدَاجَ
وَلَقَدْ تَخَطَأَتِ المَنَايا حَوْشَباً فَنَجَا إلىٰ أَجَلٍ ولَيْسَ بِنَاجِ[1]

وقال أسامة بن زيد الأَحْمَسي : ـ وقال بعضهم الأبيات لعمران بن حطان . فطلبَه الحجاج فهرب إلى الشام :

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٢ .

صَدَعَتْ غزالةُ قَلْبَهُ بكتيبةٍ تَركَتْ شَرَاسَتَه كَأَمْسِ الدَّابِرِ
أَسَدٌ عليَّ وفي الحروبِ نَعَامَةٌ خَرْجَاءَ تَنْفُرُ مِنْ صَفِيرْ الصَّافِرِ
هَلَّا خَرَجْتَ إلى غَزَالَةَ في الوغىٰ بَلْ كانَ قلبُكَ في جَوانحِ طَائرِ
أَلْقِ السِّلاحَ وَخُذْ وِشَاحَيْ مُعْصِرٍ واعْمَدْ لِمَنْزِلَةِ الجَبَانِ الكافرِ

فقال الحجاج : لا أمان له عندي .

وكان شبيب أصاب بجوخىٰ رَمْكَةً فحمل عليها رجلاً من أصحابه وقال : اركَبْهَا حتى يُقْسَمُ ثمنها ، فبلغ ذلك خوارج الكوفة فركب إليه مسلم بن أبي الجعد ، أخو سالم بن أبي الجعد الأشجعي ، ودجاجة الحنفي ، وكانا من رؤوس الخوارج حتى أتياه وهو بالأنبار فقالا : أعطيتَ مُسْلماً الغُلُول ، ما كان هذا من سيرة مَنْ مضى من المسلمين . فقال : إنما أعطيتُه إياها ليركبها ثم نقسم قيمتها . قالا : فلو نَفَقَتْ ، فَتُبْ فَكَرِهِ أن يتوب فيخلع . فَبَرِىءَ منه مُسْلِمٌ ودَجاجَةِ .

وبعث الحجاج إلى شبيب عَلقمة بن عبد الرحمن الحكمي وأمره بطلبه ، فلحقه واقتتلا يوماً وليلةً ثم وَلَّىٰ شبيب منهزماً فكان وَجْهُهُ بَادرَايَا وبَاكُسَايَا ، ثم توجه منها إلىٰ الأهواز .

ووجه الحجاج في طلبه سُفْيَانُ بن الأَبْرَدِ الكَلْبِي فطلبه حتىٰ بلغ إلى دُجَيْل الأهواز ، فأقبل شبيب نحوه وسفيان في ألفي رجل ، فلما ذهب لِيَجُوزَ إلى سُفيان أمر سُفيان بقطع جسر دجيل فاستدارت به السفن فغرقَ ، فاستخرجه سفيان بالشباك فَاحْتَزَّ رأسه ، وقُتلتْ أمُّه وامرأته وعدَّةٌ من أصحابه ، وانصرفت فرقة منهم إلى الجزيرة وتفرقت فرقةٌ في السواد .

قال الهيثم : فأخبرني مُخْبِرٌ[١] عن ابن عياش أنه حارب سفيان حتى حجز المساء بينهما ، فلما عاد سفيان إلى معسكره قال شبيب لأصحابه : اعبروا بنا ، فعبر فتحصن فرسه فسقط في دجيل فقال أصحابُه : غَرِقَ أمير المؤمنين .

ويقال : بل قطع الجسر قوم من بني بكر بن وائل وكانوا قد تبرأوا منه لما فعل بالرَّمْكَةِ التي حمل عليها صاحبه .

ويقال إنه لم يكن لهم هزيمة إلا على الجسر ، فقطعه سفيان ، فغرق شبيب ومن كان على الجسر . وقال أيمن بن خُرَيْم في قصيدة له :

رَأيتُ غَـزَالَـةَ إذْ طَـرَّحَتْ ... بمكَّـةَ هَـوْدَجَهـا وَالغَبْيـطَا
سَمَتْ للعراقين في سَوْمِهَا ... فَلاَقَىٰ العراقان منها أطِيْطَا
أبىٰ الجُبَنَاءُ مِنَ آهْلِ العِرَاق ... عَلىٰ الله في الحربِ إلاَّ قُسُوْطَا
أيَهْـزِمُهُمْ مـائتـا فـارسٍ ... من السَّافِكينَ الدماءَ العَبْيطَا
وخمسونَ مِنْ مَارِقَاتِ النِّساء ... يُجَرِّرْنَ للمُبْدِيَـاتِ المُرُوْطـا[٢]

في قصيدة طويلة .

وقال أعشىٰ بني أبي ربيعة :

صُبَّ أبو يحيىٰ علىٰ كُل مَارِقٍ ... كَمَا صَبَّ بَزْيَارٌ[٣] علىٰ صَيْدِهِ صَقْرَا
ألاَ انْظُرْ هَدَاكَ الله في شَأْنِ حَاجَتِي ... فَمِثْلُكَ أعطىٰ الخيرِ واحْتَسَبَ الأَجْرَا

---

١ ـ بهامش الأصل : غير واحد .
٢ ـ لم يرد هذا البيت في نسخة الأصل .
٣ ـ البازيار : مدرب البزاة .

وقال المدائني : دخل شبيب الكوفة ثلاث مرات ، واجتمع له ستمائة رجل فأتىٰ منبج وَذَعَرَ أهل الشام ، وأتى أرمينية .

ورثىٰ الفرزدق محمد بن موسىٰ بن طلحة فقال :

وإذا ذكرتُكَ يَا بن موسىٰ أَسْبَلَتْ عَيْنِيْ بدِمْعٍ دائِمِ الهَمَلاَنِ
مَا كُنتُ أبكي الهالِكِيْنَ لِفَقْدِهِم ولقد بَكَيْتُ وَعَزَّ ما أَبكاني[1]

وقال أعشىٰ همدان[2] :

أَعَيْنَيَّ مَا بَعْدَ ابنِ موسىٰ ذخيرةً فَجُوْدَا إِذَا أَبْعَدْتُما الدَّمْعَ بالدَّمِ

قال : وولىٰ الخوارج بعد شبيب : البُطَيْنَ ، فَغَلَبَ علىٰ سوقِ الأهواز فسار سفيان إلى البطين فقاتله أياماً فطلب أصحابه الأمان فَأَمَّنَهَمْ وتفرقوا ، وهرب البطين فظفَر به الحجاج بعد ذلك فقتله في دار قومه فقال جرير :

قَدْ نُصِرَ الحجاجُ والله نَصَرْ أَخْزَىٰ شَبيباً والبُطَيْنُ إِذْ كَفَرْ[3]

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنىٰ : لما صعدتْ غزالة منبر الكوفة قال أيمن بن خُرَيْم بن فَاتِكٍ الأَسَدِي :

أبىٰ الجبناءِ مِنَ أَهْلِ العراقِ على الله والناسِ إلاَّ قُسُوْطَا
أَيَهْـزِمُـهُـم مئتـا فـارسٍ مِنَ السَّافِكينَ الدِّمَاءَ العَبِيْطَا
وخَمْسُونَ مِنْ مَارِقَاتِ النِّسَاء يُجَـرِّرْنَ للمبديـات المُـرُوطَـا
وَهُمْ مائتا أَلْفِ ذي قونسٍ[4] يَئطُّ العِـرَاقَانِ منهـا أَطِيْـطَا

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٢٥ .
٢ ـ كذا وهو للفرزدق كما سيمر بعد قليل .
٣ ـ ليس في ديوان جرير المطبوع .
٤ ـ القونس : أعلى الرأس . القاموس .

رأيتُ غَزَالَةَ إذْ طَرَحَتْ بمَكَّةَ هَوْدَجَهَا والغَبِيْطَا
سَمَتْ للعِرَاقَيْنِ في سَوْمِهَا فَلاقَىْ العراقان منها البَطِيْطَا[1]
ألا يتَّقي اللهَ أهلُ العراق إذَا قَلَّدُوا الغانياتِ السُّمُوطا
وخَيْلُ غزالةَ تَعْتَامُهُم فَتَقْتِل مَنْ كانَ مِنْهُم وَسِيْطَا
وخَيْلُ غزالة تَحْوي النِّهَاب وتَسْبي السَّبايا وتَجْبِي النَّبِيْطا
وتَحْجُرُهُم في حِجَالِ النساء كما تَحْجُرُ الحَيَّةُ العَضْرَ فُوْطَا[2]
وقد قال أهل الوفاء اهبطوا نُقَاتِلْ فَلَمْ يَسْتَطِيْعوا هُبُوطَا
من الغِشِّ إمَّا شقَاقُ الأمير وإما نِفاقاً وإمَّا قُنُوطا
ولكنهم يَمْنَعُونَ الفِرَارَ إذا ما غزالةُ غَطَّتْ غَطِيْطَا
كَأَنَّهُمْ في الصُّعُودِ الكَؤُود نَعَامُ نَوافِرُ لاقَتْ حَطُوطا
أقامَتْ غزالةُ سُوْقَ الضِّراب لأهْلِ العِراقين حَوْلاً قَمِيطَا
وَأَنْتُم دَبَا الأرضِ عِنْدَ العَطَاء وفي الحرب تَأبونَ إلا شُطوطا
أَهَابُوا غزالةَ أَمْ قَدْ رَضَوْا غزالةَ إذْ خالَطُوها خليطا

في أبيات .

وقال عبيدة : قال حبيبُ بن حَذْرَةَ في قَتْلِ عَتّاب بن ورقاء :

أَلْوَتْ لِعَتَّابٍ شوازِبُ[3] خَيْلِنَا ثُمَّ انْثَنَتْ لكتائب الحجاج
لَأخي ثَمودَ فَرُبَّما أَخْطَأْنَهُ ولقد بَلَغْنَ العُذْرَ في الإدلاج

١ ـ بهامش الأصل : أمربطيط ، أي عظيم .
٢ ـ من دواب الجن وركائبهم . القاموس .
٣ ـ الشوازب : الضمر . القاموس .

حتى تَرَكْنَ أخا الضَّلَالِ مُسَهَّداً مُـتَـمَـنِّـعـاً بـحـوائطٍ ورِتَـاج
وَلَعَمْـرِ أُمِّ العَبْدِ لـو أَدْرَكْـنَـهُ لَسَقَيْنَـهُ صِرْفـاً بِغَـيْـرِ مِـزَاج
ولقـد تَخَطَّأَتِ المَنَـايَـا حَـوْشَبَـاً فَنَجَا إلى أجَلٍ وليسَ بِنَاجِ [1]

قال أبو عبيدة : وجَّه عبدالملك بن مروان محمد بن موسى بن طلحة بن عبيدالله أميراً على سجستان ، فمر بالكوفة فقال له الحجاج : إن هذا المارق قد أفسد البلاد وأخافَ السُّبُل وهو بالأهواز ، فقاتِلْهُ لعل الله يُظْفِرُكَ به فيكونُ أَجْرُ ذلك وذُخْرُهُ لكَ ، ثم تَسِيْرُ إلى عملك .

فمضى محمد إلى الأهواز وسار إلى شبيب فقال له شبيب : لا يَغُرَّنَكَ هذا العبد من نفسك ، فامْضِ لشأنِكَ وما بُعِثْتَ له ، فأبى إلا مباكرته بالقتال فقال شبيب : لا يَدَعُهُ صَلَفُهُ وعَجَبُهُ حتى يحارب .

فأمر البُطَين بالخروج إليه فخرج ، فقال له : قل لشبيب فليبارزني ، فبرز له شبيب فتجاولا ساعة لا يقدر أحدهما على صاحبه ، ثم إنّ محمداً غَفَلَ غَفْلَةً فضربه شبيب بعمودٍ على بيضته فهشم رأسه في البيضة ، وانهزم عسكر محمدٍ ، وأمر شبيب بالكفِّ عنهم . فقال الفرزدق يرثي محمد بن موسى :

نامَ الخَلِيُّ وَمَا أُغَمِّضُ ساعَـةً أَرَقاً وهاجَ الشوقُ لي أَحزاني
فإذا ذَكَرْتُكَ يا بن موسىٰ أَسبلتْ عَينيْ بـدمـعٍ دائم الهَمَـلَانِ
ما كنتُ أَبكي الهالِكِينَ لفَقْدِهِم ولقـد بكيتُ وَعَزَّ مـا أَبْكَاني
لا حَيَّ بَعْدَكَ يا بن موسىٰ فِيْهُمُ يَـرْجُـونَـهُ لِنـوائِبِ الحَـدَثـانِ
أَوْدَى ابنُ موسى والمكارمُ والندىٰ والعِـزُّ عنـد تحفظ السـلطانِ

---

١ - ديوان شعر الخوارج ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

جُمِعَ ابنُ موسى، والمكارمُ والندىٰ   في القَبْرِ بَيْنَ سبائب الكُتَّانِ
ما كانَ فيهمْ بَعْدَ طلحةَ مِثْلُهُ   لِلسَّائلينَ ولا لِيَوْمِ طِعَانِ
ولئنْ جيادَكَ يا بن موسى أصبحتْ   مِلْسُ الظُّهُورِ يُجِلْنَ في الأشطانِ
لَبِها[1] تُقَادُ إلى العدوِّ ضوامراً   جُرْدَاً مُجَنَّبَةً مَعَ الرُّكْبَانِ[2]

وقال الفرزدق :

أعَيْنَيَّ ما بعدَ ابنِ موسى ذخيرةً   فَجُودَا إذا أنْفَدْتُما الدمع بالدم
وَهِيْجَا إذا نامَ الخَلِيُّ وأسْعِدَا   عليهِ بِنَوْحٍ منكما كُلَّ مَأْتَمِ
كـريمٌ رأىٰ أن الحياةَ قليلةٌ   وأنَّ المنايا تَرْتقِي كُلَّ سُلَّمِ[3]

في أبيات .

وقال رجلٌ من بَجِيْلَة :

قَتَلْنا شبيباً واسْتَلَبْنا عُقَابَهُ   وأَفْلَتَنا فَوْتُ الرماح بُطَينُ

وقال بعض بني عُذْرَة :

لاقيْتَ مِنّا يا شبيبُ خَادِراً   وَفِتْيَةً يَهْدُونَ موتاً حاضرا
يُزْجَىٰ إليكَ رائِحاً وَبَاكِرَا   ضَرْبَاً هذاذيك وموتاً فاقرا[4]

حدثني أبو مسعود القَتَّات عن ابن كناسة عن أبيه ، أن قوماً من الخوارج تجمعوا والحجاج بواسط ، وعلى شرطة الكوفة حَوْشَب بنُ يزيد بنُ رويم الشيباني ، ودخلوا الكوفة فأخذوا على أهلها بأفواه السكك مما يلي

---

١ ـ بهامش الأصل : لها .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٣٢٥ .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٢٥٣ مع فوارق .
٤ ـ الفاقرة : الداهية وهذاذيك : قطعاً بعد قطع . القاموس .

الحيرة ، فقال إياس بن حصين بن زياد بن عُقفان بن سويد بن خالد بن أسامة بن العَنْبَر بن يَربوع بن حَنْظَلَةَ ، لبنيه وقومه : ليخرج إلى هؤلاء الخوارج عُدَّتُهم منكم . فخرجوا فقتلوا الخوارج إلا مَنْ هربَ منهم ، وبلغ الخبر الحجاج فَفَرَضَ لهم في ثلاثمائة . فقال :

ما في ثلاثٍ ما يُجَهِّزْنَ غازياً وَلاَ في ثـلاثٍ مُتْعَـةٌ لفقـير

فقال الحجاج : افرضوا له في شرف العطاء ؛ ففرضوا له في ألفين .

أمر أبي زياد المرادي

قال الهيثم : لما قُتل شبيب خرج أبو زياد ، وهو رجل من مُراد ، وكان بِنَهْرِ الملكُ من السَّواد فخرج بجوخىٰ ، وكان الجَرَّاحُ بن عبدالله الحَكَمِي يومئذ ببابل والفَلُّوجَتَيْنِ ، فبعثه الحجاج على محاربته في ثمانمائة فلما تواقفا قال الجراح لأصحابه : الأرضَ . فقال أبو زياد : نحن والله أَوْلىٰ بالأرض والصبر منكم يا فَسَقَةُ ، فعَرقَبَتِ الخوارج دوابهم ، فلما رأى الجراح ذلك قال لأصحابه : موتوا يا بَنِي الحرائر ، ثم شَدُّوا عليهم فقتلوهم جميعاً . وتَمَثَّل الجراح :

قالوا الركوبُ فقلنا تلك عادتُنا أَوِ النـزولُ فـإنَّـا مَعْشَرٌ نُـزُلُ

أمر أبي معبد الشني من عبد القيس

قالوا : ثم خرج بعد أبي زياد المرادي رجل من عَبْدِ القَيْس يُقَالُ له أبو مَعْبَد ، قدم من ناحية البحرين ، وكان خروجه بموقوع[1] ، فبعث إليه الحكم بن أيوب خليفةُ الحجاج على البصرة الشُّرطَ فقُتِلَ هو وأصحابُه .

قال أبو الحسن المدائني : يقال كان خروج أبي معبد في أيام عبد الملك ، ويقال في أيام الوليد بن عبد الملك .

وقال أبو الحسن المدائني : قال بعض الشُّرَطِ : مَا لَنَا والخوارج ؟ فقال له بعضُهم : وما لنا لا نقاتلهم ؟ أَلَيْسَتْ أعطياتنا دَارَّةً علينا ؟ فقال عمران بن حِطَّان :

فلو بُعِثَتْ بَعْضُ اليهودِ عَلَيْهِمُ يؤمّهـم أو بَعْضُ مَـنْ تَنَصَّرا
لقالوا رَضِينَا إنْ أَقَمْتَ عَطاءَنا وأجريتَ ذاكَ الفَرْضَ مِنْ بُرٍّ كَسْكَرَا[2]

١ ـ موقوع : ماء بناحية البصرة . معجم البلدان .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ١٧٥ ، وجاء بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله كل حمد .

خبر المُصَلّ الطائي

قال الهيثم بن عدي : لما هرب الناس من الحجاج أيام الجماجم ، تَجَمَّع ناسٌ من الخوراج بالفلوجة ، فقال رجل من جَديلة طِيءٍ يقال له المصل : لولا مكان ابنتي هذه لَسَرَيْتُ إلىٰ سيف بن هانىء وكان سيف على جوخَى وجولايا في رابطةٍ أُعِدُّوا للخوارج تَدْفَعُهُم عن الناس ، فقال له رجل من الخوارج : هيَ مع بناتي لا يَسَعُني بيتي وَيَعْجَزُ عنها .

قال : فاشترى حماراً ، وأعطي نفقته ، فخرج إلى راذان فرآه سيف في الصف الأول وعليه أطمار فاستراب به فقال لأصحابه : خذوه حتى أصلي . وفُتِّشَ فَوُجِدَ معه خنجر فضرب سيف عنقه وصلبه . ولما قُدِّمَ للقتل قال : الحمد لله لا حُكْمَ إلاّ لله ثم أنشد :

يا لَهْفَ نَفسي على سيفٍ وشيعتِهِ ... لو كنتُ أُلحقْتُ سَيفاً بالخبيْثينَا
أَبْرَا إلى الله من سيفٍ وشيعتِهِ ... ومِنْ عليٍّ ومِنْ أصحابِ صِفِّيْنَا
ومن معاوية الغاوي وشيعتِهِ ... أخزىٰ إلهُ الورىٰ تلكَ العَتَانينا

خبر خارجي من عبد القيس بالبحرين

قال علي بن محمد أبو الحسن المدائني : خرج رجل من بني مُحارِب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْز بن أَفْصَى بن عبدالقيس بالبحرين على محمد بن صعصعة ، في سنة ثمان وسبعين ، قَبْلَ أنْ يُقْتَلَ قَطري ، فكتب الحجاج إلى عبدالملك : «إنَّ قطرياً قد شَغَلَ مَنْ قِبَلِي من المقاتلة ، فإنْ رأى أمير المؤمنين أنْ يكتب إلى ابراهيم بن عربي في أمر هذا الخارجي» ، فكَتَب إلى إبراهيم وهو باليمامة : «أنْ سِرْ إلى البحرين ، فإنْ ظَفَرْتَ بالمحاربي فلا تَقْتِلْهُ وأَحسِنْ إليه ، واحْفَظْ له بَلاءَهُ ، عند أمير المؤمنين مروان ، فإنه لجأ إليهم يوم الجَمَلِ ، ثم تحولْ إلى بني هُميم» .

فخرج ابراهيم إلى البحرين في أَلْفَيْنِ فهزَمَ الخوارج وتفرقوا ، ورجع ابراهيم إلى اليمامة .

أمر الرَّيَانِ النُكْرِي

قال أبو الحسن : وخرج بعد هذا المحاربي على محمد بن صعصعة الكلابي : رَيَّان النكري ، نُكْرَةَ بني لُكَيْز بن أفصىٰ سنة سبع وسبعين على فراسخ من سوق الخط [1] . وقَدِمَ ميمون الخارجي من عُمَانَ في أصحابه فنزلوا دارين [2] ، فكتب إليه الريّان أن أَقْبِلْ إليَّ . فصارَ ميمون إلى الزارة [3] ، وأَتَاهُ الريان ، فَنَدَبَ محمد بن صعصعة الناس ، فأبطأ عنه العَبْدِيُّون ، وأتاه قوم من أهل الخط فَوَجَّهَ الى الخوارج رجلاً من الأَزْدِ . ويقال وجه إليهم عبدالله بن عبدالملك العُوذِي ، فهزمهم الخوارج وقتلوا أميرهم ، ورجع الفَلُّ إلى محمد بن صعصعة ، فخافَهُم محمد ولم يكُنْ معه جندٌ سِواهُم .

---

١ ـ الخط : خط عمان ، وهو سيف البحر ، خط عبدالقيس بالبحرين ، وهو كثير النخل ، وهو المراد هنا. معجم البلدان .

٢ ـ دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليها المسك من الهند . معجم البلدان .

٣ ـ الزارة : قرية كبيرة بالبحرين . معجم البلدان .

وخذله العبديون فخرج من البحرين ، وأقام ميمون بالبحرين أربعين يوماً ، ثم انصرف إلى عُمان ، وأقام الريان بالزارة .

وبلغ الحجاجَ الخبر فبعثَ يزيدَ بن أبي كبشة السَّكْسَكي وهو يزيد بن حيويل بن يَسَار بن حَيٍّ بن قَرْط بن شِبْل بن المقلد ، مَدَداً لمحمد بن صعصعة ، فسار يزيد وقَدِمَ محمد على الحجاج فَهَمَّ بقتله فقال : إنّ الناس خذلوني ولم يكن معي أحدٌ مِنْ أهل الشام ، وانهزمَ مَنْ وَجَّهْتُ إلى الخوارج وَفَرُّوا عن أميرهم حتى قُتِلَ ، فحبسه في السجن حتى مات .

وقدم يزيد بن أبي كبشة البحرين في اثني عشر ألفاً ، وكان الريان في ألفٍ وخمسمائة فالتقوا ، وقُتِلَ الريان وهُزِمَ أصحابهُ ، وأُسِرَ منهم أسرى فقتلهم يزيد وصلبهم ، وصلب الريان ، وكتب الى الحجاج بالفتح وبعث بالرؤوس ، فَوَلّى الحجاج زياد بن الربيع بن زياد على البحرين ، وقَدِمَ ابن أبي كبشة والشاميون على الحجاج .

أمر داود بن محرز العَبْقَسي

قال أبو الحسن : وخرج داود بن محرز أحد بني عبدالقيس ومعه جماعة ، فأنزلوا الريان وأصحابه ودفنوهم وأعانهم أهل البحرين على إنزالهم ودفنهم ، ثم أقام داود بالقطيف فلقيه أبو الفضل خليفةُ أبي البهاء صاحب الشرطة فَهَزَمَ داود أبا الفضل ، فخرج إليهم أبو الحر عبدالرحمن بن النعمان العوذي ، من الأزْد ثم من بني عوذ بن مَسْود بن الحجر بن عمران ، أخوة زهران بن الحجر ، فقاتَلَهُمْ في سوق القطيف في موقف الإبل وهو يرعى المراغة [1] ، فعُقِرَ بعبدالرحمن فَحَمَاهُ ابنُ عمه عَنْبَسَة بن عبدالرحمن ، وتحاجزوا فلما أصبحوا اجتمع الناس وكُثروا فقُتل الخوارج .

وكان أهل بيت عبدالرحمن قوم لهم نيةٌ في قتل الخوارج فَقَدْ لَقوهم مراراً ، فقال أبو البهاء في فرار خليفته :

---

١ ـ المراغة : الروضة ، أو الكثيرة النبات . القاموس .

لولا أبو الحُرِّ ولولا عَنْبَسَة أَوْدَى أبو الفضل وخَلَّ الطُّنْفُسَه
وَلَّى حثيثاً وهو يغزو الكَعْنَشَه (١) إِذْ كَثُرَتْ تحتَ السيوف الوَسْوَسَه

وغضب الحجاج على أهل البحرين ، وأَخَذَ عَمّ عبدالله بن سَوَّار العبدي وكان يقال له عميرة بن حصين ، وقال : لعن الله عبدالقيس قبيلتك فإنما أنتم لصٌّ أو خارجي أو نصراني فمر به زاني فقطع يده ، وأخذ يزيد بن الفضل فحبسه في قصر المُسَيَّرين .

وذكر بشر بن عاصم الليثي الخوارج فشتمهم ، فسمعه رجل منهم ، فمكث أياماً ثم أتاه فقال له : أَصِبْ لي سيفاً قاطعاً .

وكان لبشر غلام صَيْقَلِي ، ويقال عدة غلمانٍ صياقِلة ، فاشترى له من بعضهم سيفاً فتناوله الخارجي وهزَّه ثم قال لبشر : كيف ترى هذا في هامَةِ الشيخ الكافر؟ فوقَعَ في نفس بشر إنه أراده لِعَيْبِهِ الخوارج وشتْمِهِ إيَّاهُم. فقال : أرى فيه شيئاً يحتاج إلى إصلاحه فَنَاوِلْنِيْهِ . فلما أخذه أدخله في غمده ودخل البيت هارباً من الخارجي ، ثم ألقى إليه بسيفه فأخذه الخارجي وقال : أَوْلَى لك ، وحَكَّمَ على الناس وهو يقول :

وأَبْيَضُ من سر الحديدة صارمٌ يخبره اللَّيْثِيُّ بشْرُ بن عاصم
أَقُودُ جِيادَ الخَيْلِ قُبّاً بُطونَها أُرجِّي ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمَ التَّخَاصُمِ
إلى ابنِ زيادٍ خَيَّبَ الله سَعْيَهُ إلى شَرِّ والٍ من مَعَدٍّ وحاكِمِ (٢)

---

١ ـ تكعنش الطائر : نشب في الشبكة ، وفي الشيء غرق . القاموس .
٢ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٤ .

خبر الخَطَّار النمري من النمر بن قاسط

قالوا : وخرج الخطار النمري ، وكان نصرانياً فأسلم ، ودعته الخوارج فأجابها ، وخرج على سفيان بن هانىء الهمداني ، فحاربه سفيان فقتله وأصحابه ، فقال سلامة بن عامر القشيري :

ألا خَبِّراني باركَ الله فيكما   متىٰ العَهْدُ بالخَطَّارِ يا فَتَيَانِ
يُذَكِّرني الخطار كل مُنَطَّقٍ   يجولُ به عند اللقاءِ حصان
فَيَا حَزَني ألا أكونَ شَهِدْتُهُ   بـزاذانَ والخَيْلاَنِ تَصْطَفِقَانِ
فتىٰ لاَ يرىٰ نوم العَشَاءِ غنيمة   ولاَ يَنْثَني مِنْ رَهْبَةِ الحَدثَانِ
فما طَمِعَتْ عينايَ نوماً لِلَذَّةٍ   ومازالتا مِنْ ذِكْرِهِ تَكِفَانِ[1]

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٤ .

خبر داود بن النعمان العبدي

قالوا : كان داود بن النعمان أحد بني أنمار بن وديعة بن لكيْز بن أفْصَىٰ بن عبد القيس بن أفصىٰ بن دُعْمىٰ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، عابداً مجتهداً ، وكان يقول لأصحابه : إني مللتُ الدنيا والمقام في دار الكفر مع الظَلَمَةِ الكَفَرةِ ، وقد انقطع العذر . فقال له أصحابه : فما يمنعك من الخروج ؟ قال : مكان أبي بهذه البلاد .

ثم حَجَّ ورجع فقال لأصحابه : اخرجوا بنا إلى البصرة فإنَّ لنا بها إخواناً ، فأجابه أربعون رجلاً . وبلغ أباه أمره فقال : يا بنيَّ إني أخاف أن يشفي بك أمرك هذا على أمرٍ يُفْسِدُ دينَكَ ودنياك فاتَّقِ الله وانظُر لنفسِكَ فإن الناس قد اختلفوا ، فقال : يا أبت فإنَّ الله أكرمُ من أَنْ يُضِلَّ طالِبَهُ . فقال : يا بنيَّ إن لي مالاً كثيراً عَيْناً قد ذَخَرْتُهُ لك ، قال : لا حاجة لي فيه ، إن الله يقول : ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾[1] الآية .

١ ـ سورة التوبة ـ الآية : ٣٤ .

فقال : يا بني . إني أُصْرِمُ نخل أربعة آلاف جَرِيْبٍ . فقال : يا أبتِ إن في حائطك بَعُوضاً وأنا أريد حائطاً لا بعوض فيه .

ثم خرج ومعه أختُه ، وخرج معه أربعون رجلاً ، فودعه أبوه وهو يبكي ، فقدم البصرة فأقام بها حتى فرغ من جهازه ، ولقي من أراد ، ثم خرج إلى موقوع سنة ست وثمانين فوجه إليه الحكم بن أيوب عبد الملك بن المهلب .

وقال قوم : كان الحكم غائباً عن البصرة وخليفته عبد الملك بن المهلب ، فوجه إليهم عبد الملك : عبدالله بن كرمان الجهضمي ، فالتقوا فقال داود لأخته : تقدمي فإني أخاف أن تبقي بعدي فَتُسْبَيْنَ وتُسْتَرَقِّيْنَ ، فتقدمتَ فقاتَلتْ فَقُتِلَتْ ، وقُتل أصحابُه وبقي وحده وأحاطوا به قُرْبَ البلد وألجأوه إلى حائط ثم رموه بالنَّبْلِ وطعنه رجل وقال : ذُقْ بما قَدَّمَتْ يداك فقال : وَيْحَكَ ، حَرُّ النار أشدُّ من هذا ، ومات فقال زياد الأعسم :

سقىٰ الله أجساداً تَلُوحُ عِظَامُها بفرضة موقوع سحاباً غواديا
فإنْ يَكُ داودُ مضى لِسَبيْلِهِ فقد كان ذا شوقٍ إلى الله تاليا
وقد كانَ ذا أهلٍ ومالٍ وغَبْطَةٍ وكان لما يُغْنِي مِنَ العيش قاليا
كأن الفتى داود لم يَكُ فيكُمُ ولم نَرَهُ يوماً مِنَ الصوم باليا
أُقِيْمُ علىٰ الدنيا كأنيَ لا أرىٰ زوالاً لها أو أَحْسَبُ العيش باقيا[1]

وقال سعيد المرادي :

---

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٧ .

ألا يا في سبيل الله شالَتْ بِـداودٍ وإخـوتِـهِ الجـذوع
مضوا قَتْلاً وتشريداً وصَلْبَاً تَـظَلُّ عليهمُ طـيرٌ وُقُـوع
إذا ما الليلُ أظلمَ كابَدُوهُ فـأسْفَـرَ عنهُمُ وهُمُ رُكُـوعُ
يُعَالُونَ النَّحِيْبَ إليهِ شوقـاً وإنْ خَفَضُوا فَرَبُّهُمُ سميعُ[1]

قال أبو الحسن : يقال ان داود قُتل في أول سنة ست وثمانين قَبْلَ موت عبد الملك ، ويقال إنه قُتل في أيام الوليد بن عبد الملك في سنة سبع وثمانين .

وقال أبو الحسن : كان داود بالبصرة فكان يأتي سوق الإبل فينادي : لو تعلمون ما أعلمْ لبكيتم كثيراً ، إنكم لَفِي أمْرٍ مُريح . ثم يقول : مكذبين ورب الكعبة .

وطلب فرساً فقيل له : لا تشتره فإن بظهره شامة ولم يكن بظهر فرس شامة إلا قُتل فارسه فقال : وكيف لي بالقتل ؟ لقد رغبتموني فيه ، فاشتراه .

١ ـ نسب هذه الأبيات في ديوان شعر الخوارج ص ٧٠ ، إلى عيسى بن فاتك الخطي مع فوارق .

أمر مطر بن عمران بن شوْر

وهو ابن أخي القعقاع بن شوْر الذُهلي .

قال الهيثم بن عدي : خرج على محمد بن مروان ، وهو والي الجزيرة والموصل مطر بن عمران بالموصل ، فَقَتلْتهُ خيل الموصل ، وعليها ثَوْبَان الحَضْرمَي ، وقد انحاز إلىٰ بَاجَرْمَى ، فقُتل بباجرمىٰ وبعث ثوبان بأسراء من أصحابه إلى الحجاج فقتلهم ، وكانوا يكرهون أن يقتلوا خارجياً بالجزيرة والشام مخافة أن تتخذ الخوارج ما هناك دار هجرة .

وقال المدائني : خرج مطر قبلَ خروج صالح بن مُسَرّح ، فقتلته خيل محمد بن مروان بناحية باجرمىٰ أو بدقوقا من أرض الموصل ، فبلغ امرأته خبرُهُ وكان أهلها منعوها من الخروج فماتَتْ أسفاً ، فقال الجعْد بن أبي ضِمام الدوسي :

أرىٰ مطراً قَدْ باعَ لله نَفْسَهُ　　بمَا ظَلَّ يُعطِىٰ للشراةِ ويُوعَدُ
فأصبحَ قَدْ نَالَ الكرامةَ كُلَّها　　بما كانَ يَسعَىٰ في بَغَاها وَيَجْهَدُ
فإنْ يَكُ قَدْ لاقَىٰ مقاديرَ قومه　　فَقَدْ بان مِنّا الخاشِعُ المتعبِّدُ[١]

١ ـ ديوان شعر الخوارج ص ١٩٧ .

في قصيدة .

وقال محمد بن دثار :

عليٰ حَميدٍ صَلَواتُ الأَبْـرَارْ ومطراً فاغْفِـرْ لَهُ يـا غَفَّارْ
قد كانَ صَوَّاماً طَويلَ الأسحار

قال : وخرج عليٰ محمد في أيام عبد الملك خارجي يقال له : سُكَيْنٌ المجملي ، فوجه إليه قائداً من أهل الجزيرة فحاربه فأسره وأتىٰ به محمداً ، فبعث به إلىٰ الحجاج ليقتله . فقال له : أَجَمَعْتَ القرآن ؟ فقال : أَوَ كان متفرقاً فأُجْمَعُهُ ولكني أقرأه وأحفظُه . قال : ما تقول في أمير المؤمنين ؟

قال : ومن أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الملك ! قال : لعنة الله عليه وعليك معه . قال : إنك مقتول . قال : إذاً أُلقى الله بِعَمَلِي وتلقاهُ بدمي . فأمر الحجاج به فقُتل وصلبه .

قال الهيثم : وكان باليمامة رجل يكنىٰ أبا الحُرَيْرَةِ من بني حنيفة ، وكان متعبداً ، فرأىٰ قوماً يكلمون امرأة فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنَّا اكتريناها نهاراً وليلاً . فقال : هِبْكُمْ اكتريتموها نهاراً للخدمة فما بالُ الليلة ؟ قالوا : ننكحُها . ثم عمد إلى سيف له ثم هجم علىٰ القوم وهم سبعة عشر رجلاً وقال : ﴿إمَّا تَخافنَّ من قوم خيانةً فَانْبِذْ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾[1] .

فأخذوا سلاحهم وقاتلهم فقتلهم ثم حكَّم بسوق حجر فقَتَل عدةً ، ثم قُتِلَ .

---

١ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٥٨ .

أمر جَوَّاز الضَّبي

قال الهيثم : أتى جواز الضبي الشام ، وكان من رؤساء الخوارج ، مَعَ مَنْ شَهِدَ حصار ابن الزبير ، وكان هارباً من الحجاج ، فنزل بالشام على عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وكانوا يضيفون من يَعْرِفون ومن لا يَعْرِفون ، وكان عبدالله بن يزيد ، ورَوْحُ بن زِنْبَاع ، أكرمُ من بالشام إضافةً ، وكانا يتغديان مع عبد الملك ويتعشيان ، فإذا انصرفا دَعَوا بِطُرَفِ ما عندهما فأكلاه مع أضيافهما[1] .

وكتب الحجاج إلىٰ عبد الملك يُعَظِّم فيه أمر الخلافة ، ويذكر أن الخليفةَ أعظمُ منزلةً عند الله من الملائكة المقربين لأنه جعل آدم خليفته ، ثم أمر الملائكة بالسجود له ، وجعلهم رسلاً إليه .

فَحَسُنَ موقع ذلك من عبد الملك وأعجبه وازدهاه ، فقال : وددتُ أن عندي بعض الخوارج فأخاصمه بكتاب الحجاج ، فلما انصرف عبدالله بن

١ ـ بحاشية الملكية : قف،تعظيم الحجاج لعبد الملك على الملائكة والمرسلين ، وجواب جواز الضبي .

يزيد حَدَّثَ أضيافه بما كان ، فقال له جَوَّاز : تَوَثَّقْ لي منه ثم أَعْلِمْني . فراحَ إليه فتوثقَ له ثم أعلمه ذلك ، فلما أصبح جوَّاز اغتسل وتَحَنَّطَ ولبسَ ثوبين أبيضين ، وأدخله إلى عبد الملك فدعا بكتاب الحجاج فقال : اقْرأْهُ . فقال جَوّاز : جعلك : مَرَّةً مَلَكاً ، ومرة نبياً ، ومرة خليفةً ، فإنْ كنتَ مَلَكاً فَخَبِّرْنا متى نَزلت ، وإن كنتَ نبياً فأعلِمْنَا متى نُبِّئْت ، وإنْ كنتَ خليفةً فأعلمنا أَعَنْ مَلأ من المسلمين اسْتُخلفتُ أَمْ عن ابتزازٍ لأُمورهم ؟

وكان أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد حاضراً فقال : هو الله منهم . فقال جواز : يا أمية لو كنتُ منهم عَرَفْتَني يوم أبي فديك حين هَزَمَكَ .

فقال عبد الملك : قد أعطيناك عهداً ومَوْثِقاً فلا سبيل لنا إلى قَتْلِكَ ، ولكنك والله لا تُسَاكِنِّي في بلدٍ ، إلْحَقْ بحيث شئت . قال : فإني أختار مصر ، فنزل مصر وأتى المغرب فأفسَدَ أهله ، وكان يَرىٰ رأي الصُّفْرِية .

فلما مات عبد الملك كتب الحجاج إلى الوليد : «إنَّ ذمةَ أمير المؤمنينَ عبد الملك قد وَفَتْ ولا أمانَ لعدوّ الله جوّاز الضبّي ، فإنْ رأىٰ أميرَ المؤمنين أن يبعث إليّ به» ، وكانت بنو أمية لا تقتل خارجياً بالشام والجزيرة لئلا يُتَّخَذ دار هجرة .

فكتب الوليد إلى قُرَّةَ بن شريك : أَنْ ابعثْ إليَّ بجواز الضبي فبعث به إليه ، فلما دخل عليه قال : انطلقا به إلى الحجاج ، فقال : إني في أمان أبيك وذمته . قال : لابُدَّ من الحجاج ، فقال : مِثْلُكَ والله أخفرَ أباهُ ، واستخفَّ بذمته وأخفرها .

فلما قُدِم به على الحجاج قال : بلغَ من أمرك يا جواز أنْ تردَّ على أمير المؤمنين ؟ قال : ﴿اقْضِ ما أنتَ قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾(١) .

وكان صالح بن عبد الرحمن الكاتب السجستاني عدواً ليزيد بن أبي مسلم [كاتب](٢) الحجاج ، وكان جَبَلَة أخو صالح خارجياً ، فدعا صالحاً فأدخله في رأيه ، فأشار علىٰ الحجاج أن يأمر صالحاً بقتل جواز ، فقال له : يا صالح قُمْ فاقتله ، قال صالح : فَأَرَدْتُ أن أطرحَ السيف ثم خفْتُ الحجاج أن يَسْبِي بناتي فقتلته ، ثم لم يَزَلْ خائفاً من الخوارج .

فلما عذّبه عمر بن هبيرة أيام يزيد بن عبد الملك وطُرح على مَزْبَلَةٍ على باب دار العذاب وبه رَمَقٌ ، كان وهو على المزبلة يقول : لا حُكْمَ إلا الله ، استغفرُ الله من قَتْل جَوّاز ، اللهم اغفر لي ولا أراك فاعلاً .

وقال بعض الخوارج :

لا باركَ اللهُ في قومٍ أَجَازَ لَهُمْ حكامُهُم ان أَصَابُوا المَرْءَ جَوَّازا
إنْ يَقتُلوهُ فما فازواً بِمَقْتَلِهِ وَقَدْ أصابَ الذي رَجّى وَقَدْ فازا(٣)

وقال ابن الكلبي : خرج سُكَيْنٌ أحد بني محلم بن ذهل بن شيبان بدارا ، فأصابته خيل محمد بن مروان ، وهو يلي الجزيرة ، فبعث به إلى الحجاج ، فكلمه كلاماً شديداً ، فضرب الحجاج عنقه .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم الأعرج وهو بالمدينة يريد الحج :

---

١ - سورة طه - الآية : ٧٢ .
٢ - زيد ما بين الحاصرتين من تاريخ خليفة بن خياط ص ٤١١ حيث جاء عنده : «قالوا : وكاتب الخراج زاذان فروخ ، فمات فولى الحجاج يزيد بن أبي مسلم» .
٣ - ديوان شعر الخوارج ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

ما بالنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أَخْرَبْتُم آخِرتَكُم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب .

وقال أبو حازم لسليمان ـ وقال له لم لا تأتينا ؟ ـ : إن الأمراء كانت تأتي العلماء رغبة فيما عندهم ، فقد صار العلماء يأتون الأمراء فسقطوا من أعين الناس . فقال الزهري : إيّايَ تعني يا أبا حازم ـ وذلك أنه كان عند سليمان ـ فقال : ما تَعَمَّدْتُكَ ولكنه ما تسمع .

وقال سليمان : يا أبا حازم ، أيُّ الناسِ أكرمُ على الله ؟ فقال : أهلُ المروءة والنّهىٰ ، قال : فأيُّهم أَكْيَسُ ؟ قال : رجلٌ عمل بطاعة الله ودلَّ الناس عليها . قال : فكيف نحن يا ليتَ شعري ؟ قال : اعْرِضْ عملكَ على كتاب الله تَعْلَم ذلك . فبعث سليمان إليه بصلة فلم يقبلها[1] .

---

١ ـ بهامش الاصل : . . . ينبغي أن يكون في أخبار سليمان لا ها هنا . وجاء بهامش الملكية : من هنا إلى الترجمة لا مناسبة له بهذا المحل ، إنما ينبغي أن يكون في أخبار سليمان .

أمر الوليد بن عبد الملك بن مروان

أم الوليد : وَلّادَة بنت العباس بن جَزي بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس ، وأم ولادة سوداء .

قال القعقاع بن خُليد بن جزي للعباس : غششتَ أمير المؤمنين يا عدو الله حين زَوَّجْتَهُ ابنة السوداء . وكانت عند الوليد نفيسة بنت زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمها لُبابة بنت عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ، فتوفيت وهي حامل فجعل ولدُهَا يركضُ في بطنها . فَهَمّ الوليد بأن يبقر بطنها ، حرصاً على أن يكون له منها ولد يبقى بَعْدَهُ ، فلم يفعل .

وكانت عند الوليد : آمنة بنت سعيد بن العاص ، ثم تزوجها خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص . وأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وأمها ليلى بنت سهيل بن عامر من بني جعفر بن كلاب . وأم عبدالله بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وهي أم عبد الرحمن . وامرأة من بني فزارة وهي أم أبي عبيدة . وعاتكة بنت عبدالله بن مطيع .

قال المدائني : كان الوليد تزوج في خلافته ثلاثاً وستين امرأة ، فكان يطلق الثلاث والاثنتين والواحدة، فقالت عاتكة بنت عبدالله بن مطيع لما تزوجها : إنَّا اشترطنا على الحمالين الرجعة فما رأيك ؟ قال : أُقيمي . فصبر عليها أربعة أشهر ثم طلقها ، فولد الوليد بن عبد الملك : عبد العزيز ، ومروان ، وعنبسة ، ومحمد ، أمهم أم البنين بنت عبد العزيز ، وأمها ليلى بنت سهيل بن حنظلة بن طفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب . وعبد الرحمن أمه أم عبدالله بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

والعباس وكان أكبرهم وبه كان يكنى الوليد .

ويزيد ، وإبراهيم ، ورَوْحاً ، وبِشْر ، ومُبَشّر ، وصَدقَة ، ومسروراً وعمر ، ومَسْلَمة ، وخالداً ، وتَمَّاماً ، وجُزَي ، ويحيىٰ ، ومنصور لأمهات أولاد شتىٰ .

وأبا عبيدة أمه من ولد سَيَّار الفزاري . وأبا بكر .

قال المدائني : كان أبو عبيدة ضعيفاً ، وكان يقول الشعر ، فأرسل إليه هشام بن عبد الملك : لئن بلغني أنك قلت بيتاً لأزحمنَّك زحمة سوءٍ ، ويقال إنه قال لأحلقَنَّ جُمَّتَكَ جُمَّةَ السوء . وفيه يقول الشاعر :

أبو عبيدة سَرَّاقُ الفراريج

وكان أجمل ولد الوليد ، فلما كانت أيام أبي العباس لجأ إلى أخواله من فزارة فأُخذ فقُتل .

وأما إبراهيم بن الوليد فولي شهراً أو شهرين ثم خُلع وسنذكر خبره إن شاء الله .

وأما يزيد بن الوليد فإنه ولي أشهراً ثم مات وسنذكر خبره أيضاً .

قال المدائني : وأما يحيى بن الوليد فقتل حاجِب بن حُميضة الكلابي من ولد مُلَاعِبُ الأَسِنَّةِ ، وكان يشرب عنده فقال له : لم جلد الوليد أباك ؟ فسكتَ ، فأعاد عليه فقال له : في أُمِّكَ ، فأمر به فأُلقي من فوق البيت . فاستعدىٰ بنو كلاب هشاماً ، فكتب هشام إلى عامل دمشق : أَحْلِفْ خمسين رجلاً من بني الوليد بالله ما قتلوا ولا علموا قاتلاً ، فلم يحلفوا وحَملوا الدية .

قال أبو الحسين : ولم يُعقب تَمَّام ، وقال فيه الشاعر :

بنو الوليد كرامٌ في أُرومتهم نالوا المَكَارم قِدْماً غَيْرَ تَمَّامِ

وكان مسرور ناسكاً ، كتب إلى قتادة بن دعامة ، فجعل قتادة يقول : كتبَ إليَّ ابن أمير المؤمنين . وكانت عنده ابنة الحجاج .

وكان بشر من فتيانهم ، وكان رَوْح من غلمانهم ، وكان عمر بن الوليد من رجالهم ، كتب إلى عمر بن عبد العزيز فأغلظَ له ، فكتب إليه عمر ، فوضعَ ذلك منه ، فقال الفرزدق يمدح عمر بن الوليد :

إليكَ سَمَتْ يا بنَ الوليدِ رِكَابُنا ورُكْبَانُها كانُوا أَجَدَّ وأَجْهَدَا
إلى عُمَرٍ أقبلت مُعْتَمَدَاً بـه فَنِعْمَ مُنَاخِ الرَّكْبِ حين تَعَمَّدَا
فَلَمْ تَجْرِ إلا كنتَ في الخير سابقاً ولا عُدْتَ إلاَ كنتَ في العَوْدِ أَحْمَداً[١]

وقال الفرزدق :

كَفَىٰ عمرٌ ما كان يُخشىٰ انعتاقَهُ إذا نَزَلَتْ بالدِّينِ إحدىٰ البَوَائِقِ
يَلِينُ لأهلِ الدين مِنْ لين قلبه لَهُمْ وغَلْيْظُ قَلْبُـهُ للمُنَـافِقِ[٢]

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٤٨ مع فوارق واضحة .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٤١ ، وقال ذلك في مدح عمر بن هبيرة .

وكان لعمر بن الوليد ستون ابناً يركبون معه إذا ركب ، وكان يقال له : فَحْلُ بني مروان .

وقال المدائني : كان أبو بكر بن الوليد مائقاً ، قال يوماً لرجل من كلب : ما أحسَنَ الغرة التي في يد فرسك .

وكان العباس بن الوليد فارسهم ، وله يقول الفرزدق :

إن أبا الحارث العباسِ نأمله   مثل السماك الذي لا يُخْلفُ المطرا[1]

وله يقول جرير بن عطية :

إنَّ الندىٰ حالف العباس إنَّ لَهُ   بَيْتَ المَكَارِمِ يَنْمِي جَدُّهُ صُعُدَا
يعطي الجزيلَ بلا مَنٍّ وَلاَ نَكَدٍ   يكفي العيونَ إذا شُؤْبُوبُها وَقَدَا
إنَّ العـدوَّ إذا رَامُوا قَنَـاتَكُمُ   لم يَلْقَ مَنْ رَامَهَا وَصْماً ولا أَوَدَا[2]

فولد العباس : المؤَمَّلُ ، والحارث ، وأمهما ابنة قطري بن الفُجَاءَة ، فلما وُلِيَ عمر بن عبد العزيز الخلافة قال : خَلِّ سبيلها وإلا رَجَمْتُكَ أو تَزَوْجها . فتزوجَها ، وقد ذكرنا أمرها في خبر قطري .

قال : وكان محمد بن الوليد سخياً يقول : إني لا أُحبُّ أنْ أُسْأَلَ . وله عقب .

وقال المدائني : كان لبني الوليد غاشية يأتونهم فيعطونهم .

قالوا : وكان عبد العزيز سَيِّدُ ولد الوليد بن عبد الملك ، وأراد الوليد أن يبايعَ لعبدالعزيز بعد سليمان، وزَوَّجَهُ أم أيوب بنت سليمان، وزوّج بعضَ بني سليمان بعضُ بناته وقال له : اهْدِ ابنتك إلى عبد العزيز في داري لتكون

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٣٤١ ، وفيه «نائله» .
٢ ـ ديوان جرير ص ١٢٦ مع فوارق .

عندي ، وحَوِّلْ بيتكَ إليَّ لتضمَّ إليهم بناتي استعطافاً له ، فأبى سليمان عليه إرادتَهُ .

وقال الراجز : وهو من عُذْرَة للوليد :

يا ليتَها قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ إنّ وليَّ عَهْدَهُ ابنَ أُمِّهِ
ثُمَّ ابنُه وَلِيُّ عَهْدِ عَمِّهِ قد رَضِيَ الناسُ به فَسَمِّهِ
خليفةُ الله ولا تُعَمِّهِ أَبْرِزْ لنا يَمِيْنَه مِنْ كُمِّهِ
أَصْبَحَ فَيْضاً يُسْتَقَىٰ بِجَمِّهِ بِهِ استقامَ الأَمْرُ في أَسْطُمِّهِ

فردَّ عليه رجل من الأَزْدِ يقال له المثنى :

عُذْرِيُّهُمْ عَضَّ بِبَظْرِ أُمِّهِ إذْ جَعَلَ الدَّرْصَ إلىٰ خِضَمِّهِ

فلما وُلِّي سليمان تلقّاه عبد العزيز فقال : دَفَنْتَ أمَ أيوبَ بنت سليمان ثم جئتني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنْ المصيبةَ بها عليَّ أعظَمُ . قال : ونازعتَ الحارث ابن أمير المؤمنين الصلاةَ عليها ؟ قال : لَمْ يَبْلُغْ من سفهي هذا كُلُّه .

وقال سليمان لعبد العزيز بن الوليد : والله لو كنتُ بايعتُ لك لقطعتُ يدك ، فلم يَزَلْ عبد العزيز طامعاً في الخلافة ، فلما مات سليمان وهو بالشام عَقَدَ ألويةً وشَخَصَ إلى طبرية ودعا إلى نفسه فقيل له : إنّ خالَكَ قد استخلف ، فَحَلَّ ألويتَهُ ورجع ، فقال له عمر حين بايَعَهُ : أيا عبد العزيز أردتَ أنْ تَشُقَّ عصا المسلمين . وتضرب بعضهم ببعض ، لقد كنتُ أَرْبأ بك عن هذا الرأي .

فقال : يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي استنقذني بك ، لولا مكانُك ما مَلَكَها عليّ أحدٌ .

وكان يقال : لو وُضِعَ بنو الوليد في كفة ميزان وعبد العزيز في كفة لرجح بهم عبد العزيز ، وكان سخياً وكان يقول لخاصَّته : والله لا يرُمقُني رجل ببصره ولا يبسطُ إليَّ لسانَه إلا أعطيتُه فامْنَعُوني أَوْ دَعُوا . وله يقول الشاعر :

وأنتَ ابنُ ليلىٰ الخيرِ خير ظَعينةٍ وليلىٰ عَدِيٍّ لَمْ تَلِدْكَ الزعانفُ

وليلىٰ عدي ، أم عبد العزيز بن مروان : ليلىٰ بنت زبّان بن الأَصْبَغ ، وليلىٰ الأخرىٰ : أم أم البنين .

وقال المدائني : قال الجرمي عن أبيه : كنا مع عبد العزيز بن الوليد : وهو مريض ، فخرج إلى منزل كان ينزله ، ومعنا حِجْرُ بن عَقيل الرِّياحي ، فأنشده :

فما أَخْرَجَتْنَا رَغبةٌ عن بـلادنا ولكنَّ ما قَدْ قَـدَّرَ الله كائِنُ

لحِينٍ نفوسٌ لم تَجِـد مُتَأَخِّـراً فلا تَبْعدنْ تِلكَ النفوسُ الحوائنُ

فقلت : قطع الله لسانك . فهلكَ عبد العزيز في وجهه ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك .

وكان الوليد بن عبد الملك ضم إلى عبد العزيز أَبا عبيدة محمد بن عمار بن ياسر ، وكان لعبد العزيز بن الوليد من الولد ، عتيق ، وعبد الملك ، أمهما من ولد أبي بكر الصديق ، وكان له قَدْرٌ . وكان لعبد الملك قَدْرٌ وكان يكنىٰ أبا مروان . وقال الشاعر :

إني رَأَيْتُ بني أُمِّ البنين لَهُم مَجْدٌ طَويلٌ وفي أعمارِهم قِصَرُ

ماتَ الهمام أبو مروان فَاخْتَشَعَتْ كلبٌ وأيُّ بـلاءٍ يُبْتَـلىٰ مُضَرُ

فقال الوليد ليزيد بن الحصين بن نمير السُكوني : بايِعْ لعبد العزيز ، فقال: أما يميني فبايعتُ بها لسليمان وإن شئتَ بايعتُ لعبد العزيز بشمالي .

قالوا : وكان الوليد بن عبد الملك يقول : إذا احتلم الصبي من ولدي فضموا إليه مؤدباً له صلاح وفضل وشرف ، وضموا إليه عشرة يجالسونه ويكونون عيوناً عليه يحولون بينه وبين من يجالسه من أهل الدناءة والسُّخْفِ .

وكان يقول : سيدنا عبد العزيز ، وَفَتانَا بِشْر ، وعَالِمُنَا رَوْح ، وفارسُنا العباس ، وفَحْلُنَا عمر .

وقال الوليد : من رأىٰ مِثْلُ ولدي : عبد العزيز على دمشق ، والعباس على حمص ، وبِشْر على قنسرين، وعمر على الأردن . فقال له عباد بن زياد : كان عبيدالله بن زياد على العراق ، وأخوه عثمان خليفته على أحد المصرين ، وعبّاد على سجستان ، وعبد الرحمن على خراسان . فسكت .

قالوا : وكان بنو الوليد ثمانية عشر سراةً ، فكانوا يركبون ، فإذا رجعوا مضوا مع أكبرهم إلى منزله ، فإذا دخل انصرفوا مع الذي يليه إلى آخِرِهم .

قالوا : وكان على شرط الوليد كعب بن حامد ثم عَزَلَهُ وولى أبا نَاتِل رياح بن عَبْدَةَ الغَسَّاني ، ثم عزله وأعاد كعباً .

واستقضىٰ سليمان بن حبيب المحاربي ، وولى عمر بن عبد العزيز المدينة وأمره أن يبني مسجدها ويجعله مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وبعثَ من الفَعَلَة من الشام ، وكتب إلى ملك الروم يعلمه أنه قد أمر بهدم مسجد

رسول الله ﷺ ويسأله أن يعينه في بنائه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهباً وبمائة فاعل ، وبأربعين حملاً فَسَافَسَا ، فبنى عمر المسجد وبنى الوليد مسجد دمشق فقال لأصحابه : أقسمتُ عليكم لَمّا أتاني كل واحد منكم بِلَبِنَةٍ . فجعل رجل من أهل العراق يأتيه بلبنتين ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق . فقال : يا أهل العراق تفرطون في كل شيء حتى في الطاعة .

قالوا : وأعطى الوليد المجذمين ، وقال : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مُقْعَدٍ خادماً ، وكل ضريرٍ قائداً .

وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع ، وكان عند أهل الشام أفضل خلفائهم ، فلما ولي سليمان كان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يتلاقون في زمن الوليد فيسألون عن البناء والمصانع وما أشبه ، ويسألون في زمن سليمان عن التزويج والجواري والطعام .

وولي عمر بن العزيز فكان الناس يسألون عن الفقه والقرآن ، فيقول هذا : متى خَتَمْتَ ، ويقول هذا : كم تصوم من الشهر .

المدائني قال: كتب الوليد إلى بعض عمال أبيه: «أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر ما اختص الله به أمير المؤمنين من خلافته ، وأنك بايعت من قبلك فحسنت إجابتهم وسارعوا إلى الطاعة ، وأمير المؤمنين يحمد الله على ما أكرمه به واصطنع ، ويسأله العون على ذلك ، وذكرت أنك بعثتَ إلى أمير المؤمنين ببيعة من قبلك مع أبان بن سُويد وهو في صالحي أهل بلاده ، وقد قدم على أمير المؤمنين بكتابك ، فأَحسِن صلته ، والسلام .

وكتب جناح مولى أمير المؤمنين» . وكان جناح على رسائله وهو مولاه .

المدائني قال : خطب الوليد يوم جمعة فَأَتَتِ الصلاة فناداه رجل : الصلاة ، وجلس فلم يُعْرفُ ، فقال الوليد : أيها الناس والله ما نعاتبكم على العلانية وإنما نعاتبكم على أن تسروا لنا العداوة .

وقال الوليد : أنا أُنفقُ على الكعبة وأكسوها وأطيِّبُها فعلام يأخذ بنو شيبة هداياها ، لأَمْنَعَنَّهم إياها العام ، فبلغهم ذلك فَأَرْمَضَهُم ، وخرج الوليد حاجاً فخرجوا يتلقَّونَهُ فوجدوا الحجاج معه فقالوا له : أنتَ وإن كنت معزولاً عنا ، فأنت محمودٌ عندنا وَرَحِمُنَا وحُرْمَتُنَا ما لا تُنكِر ، وقد بلغَنَا كذا وفَزِعْنَا اليك ، قال : إذا دخلتم على أمير المؤمنين فَتَحَيَّنُوني عنده ، ثم سلموا عليه خالي الوجه ودعوني أَكْفِيْكُمُوه ففعلوا ، فلما خرجوا قال الحجاج : علامَ تَدَعُ هؤلاء وهدايا الكعبة ؟ قال : قد أجمعتُ على أخذها ، قال ؛ إفْعَل فاني كنت أشرتُ بهذا على أمير المؤمنين عبد الملك فلم يفعل ، فقال : أنا أبرأ إلى الله مما برىء منه أمير المؤمنين عبد الملك . وتركها لهم .

المدائني قال : قام رجل من أهل حمص إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إني أتيت ذنباً فاستغفر لي غفر الله لك . فقال بعضهم : مُقَادي[1] يقوم أمير المؤمنين بنفسه .

وقال المدائني : قدم ذبيان بن نعيم بن حُصين العليمي من كلب على الوليد فقال : يا أمير المؤمنين : إني قد فرضتُ لنفسي فَسَلِّم ذلك لي . قال : وفي كم ؟ . قال : في ستين دينارا . قال : قد أَجَزْنَاها لكَ ، ثم بعثه إلى عبد

---

١ ـ أي حسب أمير المؤمنين أن يقوم بنفسه . وكلمة : /قد/ (مخففة) مرادفة لـ : يكفي . أو لـ : بحسب . القاموس .

العزيز بن الوليد ، وهو على قنسرين وأوصاه به ، فكان يأذَنُ لرجلين من قيس يقال لهما راسب وسعيد قبله فغضب وكتب إلى الوليد فقال :

أَبْلِغْ أمير المؤمنين ودونَه فراسخ تَطوي الطرفَ وهو حديد
بأني لدى عبد العزيز مُؤَخَّرٌ يُقَدِّم قبلي راسب وسعيد

فكتب إلى عبد العزيز إن يقدمه .

وقال هشام ابن الكلبي عن أبيه : إنما ضَمَّه عبد الملك إلى عبد العزيز بن مروان فجفاه ، فكتب إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز ببره وصلته وتقديمه .

المدائني أن الوليد قال لعباد بن زياد : أين كان زياد من الحجاج ؟ . فقال : إنَّ الحجاج لمقدام . قال : أين تدبيُرهُ من تدبيره قال : قدم زياد العراق على راحلته فضبطه بمداراة ورفق وحسن سياسة ، وقدم الحجاج فكسر الخراج وأفسد قلوب الناس ولم يضبطهم بأهل الشام وأهل العراق ، ولورام منهم ما رام زياد لم يفجأك شيء دون قدومه عليك يوجف على قَعوده .

وقالوا : استعمل الوليد عبد العزيز على بعض الشام فأتاه رجل فقال : نصيحةً . قال : إن كانت لك رددناها عليك ، وَأن كانت لنا فلا حاجة لنا فيها . قال : جارٌ لي أَخَلَّ بمركزه ، قال : بِئْسَ الجارُ أَنتَ نحن ناظرون فيما ذكرتَ فإن كنت صادقاً مَقَتناك وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن أحببتَ أن نعفيك أعفيناك . قال : اعفني . قال : قد فَعلتُ .

وقال المدائني : كان عبد الملك استعمل أخاه محمداً على قنسرين والجزيرة وأرمينية وآذربيجان ، فلما ظهر محمد على أرمينية وأذربيجان عزله

عبد الملك عن قنسرين فلما مات عبد الملك استعمل الوليد على عمل محمد : مسلمة بن عبد الملك ، فَأَضَرَّ مسلمة بمحمد ، فدخل محمد على الوليد ومعه ابنه مروان يتوكأعليه ، فقال : إن أخي عبد الملك كان يصلني ويشركني في سلطانه حتى ذهب لسبيله ، وقد بلغتُ من السن ما ترى وأنا لك بمنزلة الوالد ، فطأطأ الوليد ثم تمثل :

إنْ تَصْبرا فالصَّبْر خَيْرُ مَغَبَّةٍ   وإنْ تَجْزَعا فالأَمْرُ ما تَرَيَـانِ

فقام محمد وهو يتمثل :

فَإِنْ جَزِعْنَا فِمثْلُ الشَّرِ أَجْزَعَنا   وإن صَبَرْنَا فإنَّا مَعْشَرٌ صُبُرٌ

ثم انصرف إلى الرها[1] ، فأقام بها حتى مات .

المدائني عن أسامة بن زيد عن سعيد بن إبراهيم قال : قيل لسعيد بن المسيب: إن ابن شهاب حدث الوليد عن قبيصة بن ذؤيب عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أنه قال : «لا ينبغي للخليفة أن يُنَاشَدَ» ، فقال ابن المسيب : لعنة الله على ابن شهاب ، إن كان حدث بهذا ، لقد أَعْظَمَ الدنيا . أيُحدّث الوليد بمثل هذا وهو يعرف الوليد ؟ . وَيْحَهُ أما سمع قول أخي بني كعب حين قال :

لَا هُمَّ إنّي نـاشـدٌ مُحَمَّـدا   حِلْفَ أَبِيْنَـا وأَبِيْـه الأتلدا

أَفَيُنَاشَدُ رسول الله ﷺ ولا يُنَاشَد الخليفة ؟.

المدائني قال : قال أُسَيْلمُ بنُ الأَخْيَفِ للوليد قبل أن يلي : إذا ظننتَ ظناً فلا تُحَقِّقْهُ ، وإذا سألت الرجال فاسأَلْهُم عما تَعْلم ، فإنهم إذا رأوا سرعة

---

١ ـ هي أورفا حالياً في تركيا .

فَهْمِكَ ظَنُّوا أنك فيما لا تَعْلَم على حَسْب ذِلك ، وأَقِلَّ الكلامَ يَقِلُّ لَحْنُكَ . وكان الوليد لَحَّاناً .

المدائني عن عامر بن عبد الأعلى قال : حدث الوليد أنه جمع بين هند بنت الحسن الإيادي ، ويقال العمليقي وبين جمعة بنت عابس الإيادي ، فقيل لجمعة : أيُّ الرجال أحب إليك ؟. قالت : «الغليظ الكَبْد ، الظاهر الجَلْد ، الشديدُ الجَذْبِ بالمسد» .

ثم قيل لهند : أيُّ الرجال أَحَبُّ إليك ؟ قالت : «القريبُ الأَمَدْ ، الواسعُ البَلد ، الذي يُوْفَدُ إليه ولا يَفِدْ» ، فقال الوليد : من هذا الرجل ؟ فقال له هاشم بن عبد الأعلى الفزاري : أنت يا أمير المؤمنين .

قالوا : وكتب الوليد بن عبد الملك ـ ويقال سليمان ـ إلى عثمان بن حيَّان المُرِّي ، وهو عامله على المدينة يأمره أن يحصي المخنثين قِبَلَهُ ، فَصَحَّفَ الكاتب فقرأ : إخْصِ المخنثين فخصى عدة منهم فيهم الدلال ، فقال : الآن تَمَّ لي الخَنَثُ .

المدائني عن شراحيل بن علي قال : أمر الوليد وهو على المنبر بقراءة كتاب جاءه من الحجاج يذكر فيه طاعته ونصيحته ويقول : «إني أرجو بِصِدْقِ نيتي وخلوصها لأمير المؤمنين شفاعته لي» . فقال أبو معتمر الحمصي : مقادي أميرالمؤمنين ينجو بنفسه .

قالوا : خرج الحجاج من العراق حاجاً أو معتمراً ، فمر بالمدينة وعليها عمر بن عبد العزيز فقال : كيف أميركم ؟ فأثنوا عليه خيراً . فقال : كيف هيبتكم له مع ما تذكرون من حُسْنِ سيرته ؟ قالوا : ما نقدِرُ أن نملأ عيوننا منه إذا جالسناه . قال : فما عقوبته ؟. قالوا : ما بين الخمس عشرة

ضربةٍ إلى الثلاثين ، فقال : أهذه الهيبة مع هذه العقوبة ؟ قالوا : نعم . قال : الأمر إلى الله ، لقد حذرتُ أمير المؤمنين إيَّاه ، وإن الوليد لأَهْلٌ للنصيحة .

فكتب الحجاج إلى الوليد : إنَّ أهل المدينة قد اتخذوا عمر بن عبد العزيز كهفاً ، وقد تحبب إلى أهل المدينة ، فما يتقدمه عندهم أحد . فعزل الوليد عمر عن المدينة ، وولى عليها عثمان بن حَيَّان المُرِّي .

وأُخبر عمر بن عبد العزيز بلحن الوليد فقال : إنه وإن لَحَنَ لأَجَدُّ الجَدَّيْنِ .

وقرأ الوليد في الحاقَّة : ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾[1] ، فقال سليمان : وأنا والله وددتها ، وكان سليمان يسمع الوليد يلحنُ في خطبته فيقول : الله المستعان .

المدائني قال : مرض الوليد بن عبد الملك فَرَهَقَتْهُ غشيةٌ ، فمكث عامة يومه عندهم ميتاً ، فَبُكِيَ عليه وخرجت البُرْدُ بموته ، فقدِم رسولٌ على الحجاج بمثل ذلك ، فاسترجع ثم أمر بحبلٍ فَشُدَّ في يده ثم أُوثِقَ إلى أسطوانةٍ وقال : اللهم لا تُسلِّط عليَّ مَنْ لا رحمة له . فطالما سألتك أن تميتني قبل أمير المؤمنين ، فبينا هو كذلك إذا قدم عليه بريد بإقامته فخر ساجداً وأعتق كل مملوك له .

ويقال إنه قال : اللهم إني لم أُدْعُكَ في موطن أصابني فيه سوء إلا استجبتَ لي ، وقد سألتُكَ أن تُقَدِّمَ يومي قبل يوم الوليد ، فلما جاءه البريد بعافيته خَرَّ ساجداً ، وأعتق كل مملوك له ، وتصدق بصدقة كثيرة .

---

١ ـ سورة الحاقة ـ الآية : ٢٧ .

قالوا : ولما أفاق الوليد قال : ما أَحَدٌ أَسَرُّ بعافية أمير المؤمنين من الحجاج ، فورد كتابه بعد أيام بتهنية الوليد بالعافية ، وبعث إليه بأنبجات[١] من انبجات الهند .

ثم لم يَمُتْ الحجاجُ حتى ثقل على الوليد ، فقال خادم للوليد : إني لأُوَضِّئه يوماً لصلاة الغَداة إذ مدَّ يده فجعلت أُصُبّ عليها الماء وهو ساهٍ والماء يسيل ولا أَقْدِرُ أن أتكلم ، ثم نضح الماء في وجهي وقال : أَنَاعِسٌ أنت ؟ ثم رفع رأسه إليَّ فقال : ويلك أتدري ما جاء الليلة ؟ قلت : لا . قال : ويلك مات الحجاج . فاسترجعتُ فقال : اسكت فما يَسُرُّ مولاك أنَّ في يده تفاحة يَشُمُّها وأنه لم يَمُتْ .

المدائني قال : قال الماجشون : لما مات الحجاج أتيتُ عمر بن عبد العزيز فأخبرته فقال : رغم أنفي لربٍ لم يقطع مُدَّتي حتى أراني موت الحجاج ، فأتى الوليد فأخبره فترحَّم عليه ، ثم قال لعمر : أَما لقد كان حسنَ القول فيك يا أبا حفص ، وهل كان إلاّ مِنَّا أهل البيت .

وحدثني الحرمازي عن أبي عمرو المديني قال : لما مات الحجاج والوليد بن عبد الملك جعل الإماء والصبيان بالمدينة يقولون : يا مهلكَ الاثنين أَهْلِكْ ذاك الإنسان - يعنون عثمان بن حيّان -

---

١ - الانبج : ثمرة شجرة هندية ، وهو معرب أنبة وزان رغبة ، قال أبو حنيفة : شجر الأنبج كثير بأرض العرب من نواحي عمان ، يغرس غرساً ، ويعظم شجره حتى يكون كشجر الجوز ، وورقة كورقه . تاج العروس .

وكان الوليد عزل عمر بن عبد العزيز وولاه المدينة ، فلما عزل عثمان قالوا : يا مُهْلِكَ الإثنين أهلكِ ذاك الإنسان ، ومن ذاك الانسان ، عثمان بن حيَّان .

المدائني قال : قال سليمان بن يسار للوليد : إن عمر بن الخطاب قال : وددتُ أني أنْجُو من الخلافة كفافاً لا عليَّ ولا لي ، فقال : كَذَبْتَ أو قال : كُذبْتَ .

المدائني عن علي بن إبراهيم قال : قال الوليد : لا تحدثونا عن عمر بن الخطاب فإنَّ حديثَهُ طَعْنٌ علينا .

قال : وحجَّ الوليد وحج محمد بن يوسف أخو الحجاج من اليمن ، وحمل هدايا للوليد ، فقالت أم البنين بنت عبد العزيز امرأة الوليد : اجعل لي هدية محمد بن يوسف ، فأمر بصرفها إليها ، فجاءت رُسُلُ أم البنين إلى محمد بن يوسف لقبض الهدايا فأبى وقال : لا أسلِّمها حتى يراها أمير المؤمنين ، فغضبتْ ودخلت على الوليد فقالت : لا حاجة لي في هدايا محمد فإنه بلغني أنه أخذها من الناس ظُلماً وغصباً وسخَّرهم لعملها .

فلما حملها إلى الوليد قال له : بَلغني أنك اغتصبتها الناس وكلَّفتهم عملها وظلمتهم . فقال : معاذ الله . فأَحلفه خمسين يميناً بين الركن والمقام أنه ما ظلم أحداً ولا أصابها إلا من طيّب فَحَلفَ ، فقبلها الوليد ، وبعث بها إلى أم البنين . ومات محمد بن يوسف باليمن ، أصابه داء تقطَّع منه .

قالوا : وقدم على الوليد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في رجال من الأنصار ، وكان له فضل ودين ورأي ، وكان عظيم اللحية طويلها ، فقال له الوليد : أما تعمل طول لحيتك فقد غمتني لك ، اقبض قبضةً ثم

أخرى ، وأمر أن يُجزَّ منها بعد قبضتين . ففعل وكأنه لم يجزّشيئاً ، فاغتمت الأنصار لذلك ، وبلغ الوليد اغتمامهم فاعتذر إليهم وقال : ما فعلت هذا استخفافاً ، وأجازه ووصله .

وكان قد أهدى إلى الوليد رطباً كثيراً ، يقال إنه بأربعين ألف درهم ، فقبله ثم رده عليه وقال : إن في لحيتك له موضعاً فاقسم منه ما شئت في أصحابك .

قالوا : وأتى الوليد رجل من بني مخزوم يسأله في دية ، فقال : نعم إن كنتَ مستحقاً لذلك . قال : يا أمير المؤمنين وكيف لا أكون مستحقاً لذلك مع قرابتي ؟. قال : أقرأت القرآن ؟. قال : لا . قال : ادنُ ، فدنا منه فنزع عمامته بقضيب كان في يده وقرعه بالقضيب قرعات ثم قال لرجل : ضُمَّ إليك هذا فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن .

ثم قام إليه بعض ولد خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد فقال : يا أمير المؤمنين إن عليّ ديناً، فقال: أقرأتَ القرآن؟ قال : نعم . فاستقرأه عشر آيات من الأنفال ، وعشراً من براءة ، فقال : نعم نقضي دينكم ، ونصل أرحامكم على هذا .

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد قال : مر الوليد يوماً بكُتَّاب فيه وصيفة فقال للمعلم : ما هذه ؟ قال : أعلّمها الكتاب والقرآن . قال : ويحك ، ليكن الذي يعلّمها من الغلمان أصغر سناً منها .

المدائني قال : كان الوليد يمر بالبقال فيقف عليه فيتناول حزمة من البقل فيقول : بكم هذه ؟ فيقال : بفلسين . فيقول : زد فيها فإنك تربح .

قال المدائني : أتىٰ رجل الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إنك تعيش أربعين سنة خليفة ، فقال الوليد : إن أمير المؤمنين لا يرضى بضعف ذلك .

المدائني عن عقبة بن رؤبة قال : قال رؤبة : أوفد ابراهيم بن عربي وفداً من اليمامة أنا وأبي وجرير فيهم إلى الوليد ، فلما كنابحوّارين قال أبي : يا بني إنّا قد أتينا هذا الرجل وقد ولدته كريمة من كرائم العرب ولم تذكُرْها بشيء ، فقلت :

إلىٰ ابنِ مروانٍ قَرِيْعُ الإنْسِ وبنتِ عباسٍ قَريعُ عَبْسِ[1]

وقلت أبياتاً . فضرب خيشوم راحلتي وقال : أنا أحق بها منك . قال فدُعِيَ بنا قبل جرير ، ثم خرجنا ومالنا عند جرير ذنب فقال : أما والله يا بني أم العجاج لئن وضعتُ كلكلي عليكما لأطحننكما طحناً لا يُغْني معه مقطعاتكما هذه شيئاً . ويقال إن هذه الوفادة كانت إلى عبد الملك .

المدائني قال : كان عند الوليد رجل من أخواله بني عبس فجعل يقع في بني أسد ، فثقل ذلك على الوليد ، فقال الوليد لحاجبه : ابغني رجلاً من بني أسد ظريفاً يكفيني هذا العبسي فأتاه برجل منهم شاعر ، وأخبره بأمر العبسي والذي يريده ، فقال العبسي : ممن الرجل ؟ قال : من بني أسد ، فانبرىٰ العبسي يقع في بني أسد ، ثم قال : من أيهم أنت ؟ قال : من بني الصيداء ، قال : أتعرفون قول الشاعر :

إذا ما اللُّؤْمُ حَلَّ بدارِ قومٍ هَـدَاهُ إلى بني الصَّيْدَاءِ غَـادِ

---

١ ـ ديوان العجاج ـ ط . بيروت ، مكتبة دار الشرق ص ٤٨١ مع فوارق .

فقال الأسدي : ممن أنت ؟ قال : من بني رواحة من عبس ، فقال الأسدي : ما أدري ما قال الشاعر ولكني أقول :

فـإنَّ اللؤْمَ لم يَضْلِلْ ولكـن أَذاعَـتْـهُ رواحـةُ في البـلادِ
إذا عبسيـةٌ ولـدتْ غـلامـاً فَـبَشِّرْهـا بِـلُؤْمٍ مُـسْـتَـعَـادِ

حدثنا أبو عدنان البصري عن الهيثم بن عدي أن الوليد قال لعبدالله بن جعفر بن أبي طالب : أزوجتَ الحجاج ابنتك ؟ قال : أبوك زَوَّجَها ، لم يَقْضِ ديني فزوجتها ، وتمثَّل :

مَنْ يَـكُ نـائبـاً وَيَكُنْ أخـوهُ أبـا الضَّحَاكِ يَنْتَشِـجُ الشَّمالاَ

فكتب الوليد إلى الحجاج يأمره بطلاقها ، فقال لها الحجاج : إن أمير المؤمنين قد كتب إليّ يأمرني بطلاقك ، فقالت : هو والله أَبَرُّ بي ممن زوَّجنيك ، فطلقها الحجاج فكان يُجري عليها في كل شهر ألفي درهم ، وبعث إليها بأحمال كُسىً وعطر .

وقال المدائني وغيره : إن الوليد خطب يوماً وتحت سريره أعرابي فسمعه يقول : «إن علي بن أبو طالب كان لصاً من لصوص صب عليه شؤبوب[1]» . فقال الأعرابي : ما يقول صاحبكم هذا ؟

وقال الحرمازي : قال الوليد : «إن الزبير كان لصٌّ من لصوص ، وكان علي بن أبو طالبِ حمار من حمر» فقال أعرابي : ما يقول ؟ فقال له صاحبه : يذكر أضغاناً كانت بينه وبينهم .

---

١ ـ الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وحد كل شيء وشدة دفعه . القاموس .

أبو الحسن المدائني عن عبدالله بن عبد الملك ، مولى قريش ، قال : أجرى الوليد يوماً الخيل فقال : رُدَّ الفَرَسَان الصادان عن الميدان ، فقال عباد بن زياد : الفَرَسَيْنِ الصادّين .

قال : وقال رجل لعبد الملك : أفسدتَ لسان الوليد فقال : ما ذاك إلاَّ مِنْ حبي له ، اشفقتُ عليه فلم أسترضع له في البادية .

وقال الوليد لسالم بن عبدالله بن عمر : ما أُدَمُكَ ؟ قال : الخل والزيت . قال : أفما تأجمهما[1] ؟ قال : بلىٰ ولكني إذا أجمتهما تركتهما وأكلت خبزاً قفاراً حتى أشتهيهما .

وقال المدائني : أغزىٰ الوليد جيشاً في الشتاء فسلموا وغنموا فقال لعبَّاد بن زياد : كيف ترىٰ ؟ وكأنه عَرَّضَ بقول زياد : جَنِّبُوني عَدوَّين لا يُقَاتَلَان . الشتاء وبطون الأودية . فقال : يا أمير المؤمنين قد سلموا وأخطأتُ ، وما كل عورة تُصاب .

وقال المدائني : ركب الوليد فَحَدَا به الحادي وهو من عُذرة

يـا أيها البَكْـرُ لقد أُراكـا تَحُلُّ سَهْلَ الأرضِ في ممشاكا
وَيْحَكَ هَل تَعْلَمُ مَنْ عَلَاكا خَليفـةَ الله الذي امتـطاكا

فقدم الوليد مكة وطاف بالبيت ثم استند إلى حائط يلي زمزم ، والفَضْلُ بن العباس بن أبي لهب يستقي من زمزم ويقول :

أيُّهـا السائـلُ عن عَـليّ تَسْأَلُ عن بَدْرٍ لَنَا بَدْرِيّ
مُـرَدَّدٌ في المَجْـدِ أَبْـطحيٌّ زَمْزَمُ يا بُورِكْتِ مِنْ طَويِّ
بـوركتِ للسـاقي وللمَسْقِيِّ إسْقِي علىٰ مَـأْثَـرَةِ النَّبِيِّ

---

١ ـ أجم الطعام وغيره : كرهه مله . القاموس .

ثم أُتي الوليد بماء فشربه ومسح منه على وجهه .

حدثنا محمد بن الأعرابي قال : قال الأخطل للوليد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين أَصْلِح بين ابني نزار ، فقال بَيْهَس بن صُهَيْب الجُرْمِي : لا أَصْلَحَ الله بينهم . فقال الأخطل : والله ما ادري ما تكره من ذاك ؟ فقال : بهيس : وأنا والله ما أدري ما ينفعك من ذاك .

وقال كَعْبُ بن جُعَيْل يمدح الوليد :

أرجو الخليفةُ إذ رَحَلْتُ أُريدُهُ والنفسُ تَبْلُغُ بالرحيلِ مُنَاها
وإذا علقْتُ عن الوليدِ بذمةٍ سَكَنَتْ إليَّ جوانحي وحَشَاهَا
أنت الإمام ابنُ الإمَامِ لأُمَّةٍ أَضَحىٰ بِكَفِّكَ فَقْرُهَا وغِنَاهَا

وقال رجل من غطفان في الوليد يمدحه :

إني وإنْ قَالَ أقوام تُكَلِّفُني نَفْسي لأَذْكُرَ منه فَوْقَ ما ذَكَروَا
قالوا الفراتُ وما أرضىٰ به شَبَهَاً ولن يُوَازِيَ جارِيٌ سَيْبُهُ البَحَرُ

في أبيات ، فلم يعطه شيئاً فقال :

أَتَيْتُ الوليدَ فأَلْفَيْتُهُ كما قد عَلِمْتُ غَبِيّاً بَخْيلاَ
بَطِيء العطاءِ عَسِيرُ القَضَاءِ لا يَفْعَلُ الخيرَ إلا قليلا

وقال أيضاً :

أتيتُ الوليد فألفيتُه كما يَعلمُ الناسُ وَخْماً وَبِيْلاَ
فَلَيْتَ لنا خالداً بالوليد وعبدُ العزيز بيحيىٰ بَدِيْلاَ

يعني خالد بن يزيد بن معاوية ، وعبد العزيز بن مروان ، ويحيى بن الحكم .

وقال أبو قطيفة للوليد :

أَلَا ابْلِغْ أَمِيرَ المؤمنينَ رسـالةً فَغَيْرَ التي تأتي من الأمر أَصْوَبُ
أَفي الله أنْ نُدْنىٰ إذا ما فِزِعْتُمُ ونُقْصىٰ إذا ما تأمَنُونَ ونُحْجَبُ
وَيُجْعَلُ دُوني مَنْ تَوَدُّ لَوَ أَنَّكُمْ ضِرامٌ بِكَفَّيْ قـابِسٍ يَتَضَـرَّمُ
فها أَنتُمُ داويتُمُ الكَّلْمَ ظاهِراً فَمَنْ لِقُرُوحٍ في الصدور تُخَرِّبُ

ومدحه الأخطل بشعر يقول فيه :

لقد وُلِدَتْ جذيمة مِنْ قريشٍ فَتَـاها حـين تَحْزُبُهَا الأُمُور
وأَسْرَعِهَا إلى الأعداءِ سَيْراً إذا ما اسْتُبْطِىءَ الفَرَسُ الجَرُوْرُ[1]

وقال خالد بن خيار :

وَعِنْدَ الوليدِ إنْ أَرَدْنَا عَـطَاءَهُ نَوَالٌ كثيرٌ دُوْنَهُ البابُ يُقْفَـلُ
إذا ما رَجَوْنَا أنْ يَجُودَ سَحَابُهُ بخيرٍ أَبَتْ كَفٌّ تَضِنُّ وتَبْخَلُ

المدائني أن أخا الأحوص شهر على أخيه السيف بالمدينة ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد ، فكتب إليه الوليد أنّ اقطع يده . فقطع عمر يده فتعلقّ على عمر بذلك .

قال وكتب الوليد إلى عمر أن اضرب خُبَيْبَاً لأنه كان يقول مُلْك بني مروان زائل عن قريب ، وكانت عنده أحاديث ، فضربه عمر لذلك فمرض وبرىء ، ثم مرض فمات ، فظن أنه مات من ضربه ، فأعتق ثلاثين رقبة . ويقال إنه ضربه أربعين سوطاً ، وصبَّ عليه جرّة ماء ، فمات فأعتق ثلاثين رقبة .

قال : وقال بعضهم : لما قتل عبدالله بن الزبير بَايَعَ عبدالله بن خازم السُّلَمي صاحب خراسان لخُبَيْبٍ بن عبدالله بن الزبير ، فكان ذلك في نفس

١ ـ ديوان الأخطل ص ١٨٣ .

عبد الملك والوليد ، فلما ولي الوليد أراد فضيحة خُبَيب ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بضرب خبيب فضربه .

قال المدائني : وهذا غلط لأن ابن خازم قُتل قبل مقتل ابن الزبير .

المدائني قال : أُدخل بعض الخوارج علىٰ الوليد بن عبد الملك فكلمه فشتمه الخارجي وشتم أباه ، فقال الوليد لعمر بن عبد العزيز : ما ترىٰ ؟ قال : أظنه مغلوباً على عقله فإن فعلتَ بما يشبهك ويشبه من أنتَ منه خلَّيتَه . فقال الوليد لعمر : حروري والله . قال عمر : مجنون والله .

فاخترط خالد بن الريان سيفه وهو يرىٰ أن الوليد يأمره بقتل عمر ، فقام الوليد مغضباً فدخل على أم البنين أخت عمر فقال : ألا ترين إلى ما قال لي أخوكِ الحروري الأحمق ، قالت : أنت أولىٰ بما قلت له ، ما أسقط عمر سقطة مذ كان غلاماً . وقال لعبد العزيز ابنها : اخرج إلى خالد بن الريان فاصرفه .

وقال عمر لخالد : أكنتَ قاتلي لو أمرك الوليد ؟ قال : أي والله . قال : إنك لجرىء على طاعة المخلوق في معصية الخالق .

وأرسلت أم البنين إلى خالد أن اخرج من العسكر ، فخرج فكان مع سليمان في عسكره .

المدائني قال : خطب الوليد يوم جمعة وكان لحاناً فقال أعرابي : لقد خلط بين وَبَرٍ وصوفٍ ـ أي أخطأ وأصاب ـ .

وقال الكلبي : كان الوليد وسليمان وَلِيَّيْ عهد عبد الملك ، فأراد الوليد حين ولي أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان ، فأبىٰ سليمان ،

فأراده على أن يجعله بعده ، فأبىٰ سليمان أيضاً ، فبذل له الوليد أموالاً عظيمة كثيرة على أن يفعل ذلك .

وكتب الوليد إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز ، ودعا الناس إلى ذلك فلم يجيبوا إلا الحجاج وقتيبة بن مُسْلم ، وخواصٌ من أصحابه ، فقال له عَبّاد بن زياد : إن الناس لا يجيبونك إلى هذا ولو أجابوك لم تأمنهم على الغدر بابنك ، فاكتب إلى سليمان فَمُرْهُ بالقدوم عليك فإنّ لك عليه طاعة فإذا قدم فأرِدْهُ على البيعة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لن يقدم على الامتناع عليك وهو عندك ، فإن أبى كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم عليه ، فأبطأ وتثاقل ، فعزم الوليد على المسير إليه وخلعه فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بحجره فأخرجت ، ومرض الوليد فمات قبل أن يسير .

وقال الوليد ليزيد بن حصين بن نمير السكوني : بايع لعبد العزيز ، فقال : أما يميني فقد بايعت لسليمان ، فإن شئت بايعتُ لعبد العزيز بشمالي .

وقال جرير بن عطية للوليد :

إذا قِيْلَ مَنْ أَهْلُ الخلافةِ بَعْدَهُ   أشارتْ إلىٰ عبدِ العزيز الأَصَابعُ[1]

فَوَصَله عبد العزيز وأمه ، فلما قام سليمان خافه فأتاه ممتدحاً لأيوب فعفَا عنه سليمان وقال كثير :

جَمَعت هوانا يا بن بيضاء حرة   رَجَا مُلْكَهُ لما استَهَلَّ القَوَابِلُ[2]

١ ليس في ديوانه المطبوع .

٢- ليس في ديوانه المطبوع .

المدائني عن أبي اليقظان عن هشام بن حسان قال : أرسل الوليد إلى رجل من أهل الشام كان ذا فضل وعقل فقال له : ما عطاؤك ؟ قال : كذا . فأضعفه له وأمر أن يلحق عياله بشرف العطاء ، وقضى دينه ثم قال له : إن أمير المؤمنين قد أحب أن يضمَّك إلى ولده ليأخذوا بِهَدْيِك وينتفعوا بأدبك ، فامتنع عليه وقال : لستُ أفرغُ لهم . قال : فيصيرون إليك في الجمعة يوماً . قال : لا يمكني . فأسقط رزقه فلقيه رجل من أصحاب الوليد فقال : يا عبدالله ما دعاك إلى الإمتناع مما سألك أمير المؤمنين ؟ فقال ونظر إلى دابة ميتة : والله لأَنْ آتي هذه الجيفة غدوة وعشية فأتمعك عليها أحبُّ إليّ من أن أجيبه إلى ما سأل . قال : وكم يكفيك في كل شهر ؟ قال : خمسون درهما . قال : فهي لك ما بقيت .

قال المدائني : وقال في الوليد أبو عدي عبدالله بن عدي بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزىٰ بن عبد شمس :

عبدُ شمسٍ أبوكَ وهو أبونا لا نُناديكَ مِن مكانٍ بَعيدِ
والقَرَاباتُ بيننا واشجاتٍ محكماتُ القُوىٰ بِعَقْدٍ شَدِيْدِ
فَأَنِبْني ثوابَ مِثْلِكَ مِثْلِي تَلْقَني للثواب غَيْرُ جَحُودِ

حدثني الحرمازي عن أبي زبالة وغيره قال : كانت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان أخت عمر بن عبد العزيز عند الوليد ، وكان معجباً بها محباً لها ، وكانت امرأةً بَرْزَة عفيفة تحب الشعر فبعثت إلى كثير أَنْ صِفْني وامدحني فكَرِهَ ذلك ، فقالت له : قل الشعر في غاضر جاريتي فذلك حين يقول :

أَغَاضِرُ لو تَرَيْنَ غَدَاةَ بِنْتُمْ جُنُودَ العائِداتِ علىٰ وِسَادِي

قصة وضاح اليمن مع أم البنين بنت عبد العزيز زوج الوليد بن عبد الملك .

أو أم البنين بنت المخترم ، والأول أصح .

وحجتْ مع الوليد فرأت وَضَّاحَ اليَمَنِ الشاعر ، أحد الأبناء ، وهو ينشد ، فأعجبها فأرسلت إليه أن اصحبنا ، وأمرته فقال فيها شعراً ، فبعثت إليه بكسوة وجائزة ، فلما صارت إلى الشام وهو معهم جعلت ترسل إليه فيدخل عليها سراً وهي من وراء السِّتْر فينشدها ويحادثها .

وبلغ ذلك الوليد فَغَمَّه فأمر خادماً أن يدخل عليها فإنْ وجد وضاحاً عندها قتله ، فلما أحست أم البنين بالخادم أدخلت وضاحاً صندوقاً وأقفلته ، فأخذ الخادم الصندوق وحفر حفرة ثم دفن الصندوق فيها .

وحدثني الأثرم عن أبي عُبَيْدَةَ عن ابن جُعْدُبَةَ قال : كان وضاح من أبناء اليمن وكان جميلاً وهو الذي يقول :

مـالَـكَ وَضَّــاحُ دَائِمَ الغَـزَلِ أَلَسْتَ تَخْشَى تَقَارُبَ الأَجَـلِ

وكانت أم البنين بنت المخترم امرأة جميلة فعشقها وأحبته وكان زوجها من حِمْيَر فسمعها تقول :

يــا وَجْــهَ وَضَّــاحٍ لَقَــدْ أَوْرَثْــتَ قَــلْبِــي حَــزَنَــا
وكــان وضــاحُ لِـنَــفْــسِـ ـي وَيْــحَ قَلْبِي شَـجَنَــا

فطلقها . ولها يقول وضاح :

وأَنْتِ التي كَلَّفْتِنِي البَرْدَ شَاتِياً وَأَوْرَدْتِنِيْـهِ فَانْـظُرِي أَيَّ مَـوْرِدِ

وحجت أم البنين ، فبلغ الوليد أمرها وهو حاج ، فبعث فتزوجها وحملها فاتَّبعها وضاح .

قال أبو عبيدة : وحدثني جماعة من أهل العلم أن التي قُتِل وضاح بسببها أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان .

قال : وقال ابن ذئب : أم البنين بنت المخترم امرأة كانت للوليد بن عبد الملك ، تزوجها من أهل البادية ، وكان وضاح اليمن قدم على الوليد قدوم الشعراء فعلِقَتْه أم البنين ، وبلغ الوليدَ أمرُهُ ففعل به خادمه ما فعل بأمره . والأول أثبت .

ووضاح الذي يقول :

مـالَـكَ وضـاحُ دائِمُ الغَـزَلِ   أَلَسْتَ تخشىٰ تَقَـاربَ الأَجَـلِ

وحدثني الحرمازي قال : أم البنين التي قُتل الوضاح بسببها ابنة عبد العزيز بن مروان وابنة المخترم غيرُها ، وهي التي قال فيها عمر بن أبي ربيعة :

فَلَوْ كُنْتِ إذْ عِبْتِني في الجَمَال   كَـأُمِّ البَنـينِ ابْنَـةَ المُخْتَـرِمْ(١)

المدائني قال : حج الوليد فنظر إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له : من أنت ؟ قال : عمر بن أبي ربيعة قال : الشاعر ؟ قال : مثلي يا أمير المؤمنين لا يُنْسَبُ إلى الشعر وإنما إلى بيته وآبائه . قال : فأنشدنا فأنشده ، فَبَرَّهُ .

المدائني قال : ناضل الوليد نوفل بن عبدالله فنضله نوفل ، فقال الوليد : رمية من غير رام ، قال : إنها من رامٍ أكْثَرُ .

قال : وقدم الوليد بن عبد الملك بيت المقدس فنزل على قوم من غسان فذبحوا له الغنم ، والبقر ، والدجاج ، والفراخ ، والأوز ، والحجل ،

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

ونحروا الجزور ، فجعلوا يلقون في قدور لهم عظام من كل ما ذبحوا ونحروا ويخلطون ذلك ـ فَسُمِّي ذلك الطبخ : الغسانية مذ ذاك .

وقوم يقولون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الشام أُتي بطعام فجعل يخلط بعض الألوان ببعض فَسُمِّيَ ما خلط الغسانية . والأول أثبت .

المدائني عن علي بن سليم قال : كانت ابنة سعيد بن العاص عند الوليد ، فمات عبد الملك فلم تبك عليه ، فقال لها : ما منعك من البكاء على أمير المؤمنين ؟ فقالت : ما أقول له إلا أن أدعو الله أن يُحْيِيْه ويزيد في سلطانه حتى يقتل أخاً لي آخر ؟ فقال : أي والله لقد قتلناه وكسرنا ثناياه . قالت : قد عَلِمْتَ مَنْ شُقَّتِ استُهُ ، فقال : الحقي بأهلك . قالت : ألذ من الرفاء والبنين .

قالوا : وقال الوليد لِبُدَيْحٍ غلام عبدالله بن جعفر : يابديح خذ بنا في التمني فوالله لأغلبنَّك ، قال : ستعلم . فقال الوليد : ابدأ أنت فتمنىٰ فإني سأتمنى ضعف ما تتمنىٰ . فقال بديح : فإني أتمنىٰ سبعين كفلاً من العذاب ، وأن يلعنني الله لعناً كثيراً ، فقال : غلبتني قبحك الله .

قالوا : ودخل على الوليد رجل من العرب يشكو خِتْنَهُ فقال : إن خِتْني أخذ مالي وظلمني ، قال : ومن خَتَنَكَ فظنَّ أن يسأله عمن أعذره ، فلم يجبه . فقال عمر بن عبد العزيز : من خِتْنُكَ ؟ قال : فلان بن فلان .

وقال الوليد لرجل دنا منه : قبلَكَ قبلَكَ ، يريد : مكانك .

حدثني هشام بن عَمَّار الدمشقي عن مُدْرِك بن حَجْوَة أن قوماً دخلوا على الوليد وعنده أخوه مسلمة فشكوا أمراً من أمرهم ، فلم يُبَيِّنُوا

ولا أحسنوا العبارة عما في أنفسهم ، فتكلم رجل منهم فأفصح وأوضح وعبر عن نفسه وعن القوم ، فقال مسلمة : ما شَبَّهْتُ كلام هذا الرجل في إثر كلام القوم إلا بسحابة لَبَدَتْ عَجاجاً .

قالوا : ومرض الوليد فذكر له موسىٰ بن نصير طبيباً قدم به من المغرب رومياً فأدخله إليه ، وعنده ابن رأس البغل ، ويقال ابن رأس الحمار ، وكان يعالجه ، وكان طبيب عبد العزيز بن مروان ، وكان من أهل الاسكندرية ، فتراطنا بالرومية فقال أحدهما لصاحبه : ما داؤه ؟ قال : السُّل . قال : صدقتَ .

ودعا له صاحب موسىٰ بفرخٍ فطُبخ وأُلقي على مَرَقِهِ دواء وحَسّاه منه جرعاً فلم يلبث في جوفه وقاءه ، فقال : لا أرى هذا وافقك وعندي ما هو أسهل منه وأنا آتيك به في غدٍ ، فخرج من عنده وقال : والله لا يصبح حياً ، فماتَ في السَّحَر .

وتوفي الوليد ويكنىٰ أبا العباس في سنة ست وتسعين وهو ابن تسع وأربعين ، وملك تسع سنين ، ودفن خارج الباب الصغير بدمشق ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز ، فرثاه جرير فقال :

إنَّ الخليفَة قَدْ وارت شَمائِلَهُ غَبْراءُ مُلْحِدةٌ في حَالِهَا زَوَرُ
أضحىٰ بَنُوهُ وقد جَلَّتْ مصيبتُهم مِثْلَ النُّجُومِ هَوَىٰ مِنْ بَيْنِهَا القَمَرُ
كانوا جميعاً فلم يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عبدُ العزيزَ ولا رَوْحُ ولا عُمَرُ[1]

١ ـ ديوان جرير ص ٢٢٩ مع فوارق .

وقال المدائني : لما قدم ابن حَيَّان المدينة والياً دخل دار مروان فقال : هذه المِحْلالُ المِظْعَانُ ، ثم قال :

مُجَرَّبٌ قد حَلَبْتُ الدهرَ أَشْطُرَهُ مُجَرَّسٌ[1] سَدَّ رأيٌ مِنْهُ تَعْلِيْمُ

فقيل له : إن الوليد ثقيل فقال : إن كان أمير المؤمنين ثقيلا ، فإن سليمان لأخوه لأبيه وأمه ووليّ عهده ، ولقد هَدَّ ما ذكرتم ركني .

وقال هشام ابن الكلبي : ولي الوليد بن عبد الملك في شوال لعشر خلون منه سنة ست وثمانين ووليَ تسع سنين وتسعة أشهر ، وتوفي يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

المدائني قال : كان القعقاع بن خليد عند الوليد بن عبد الملك ، وعنده ابن رأس الجالوت ، فقال الوليد : إنكم تزعمون أن في ولد داود علامة يعرفون بها فما هي ؟ قال : تنال يد أحدنا رُكْبَتُه وهو قائم ، فقال القعقاع : فيدي تنال ركبتي . فقال الوليد : فافعل ، فذهب يفعل فضرط فَعُيِّر بذلك شيبة بن الوليد بن القعقاع فقال الشاعر :

يا شيْبُ هَلْ لكَ في أَلفِ مُدَرْهَمَةٍ بِضرطةٍ ليس في إرسالِهَا حَرَجُ
كذاك شيخُكَ إذْ هوىٰ بِرُكْبَتِهِ فَحاز فَقْحَتَهُ من ضَعْفِهَا الشَّرَجُ

---

١ ـ التجريس : التحكيم والتجربة . القاموس .

الخوارج في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان

أمر زياد الأعسم :

قال أبو الحسن المدائني عن أصحابه: كان زياد الأعسم من بني عصر بن عوف بن عمر بن عبد القيس من أنفسهم ، ويقال كان مولى لهم يرى رأي الأزارقة ، وكان يبيع بسوق الزِيادي ، فلما قدم داود بن النعمان البصرة للتجهز قال لأصحابه : أريد أن أشتري غلالة تكون تحت درعي أجعلها كفناً ، فأتى سوق الزيادي فقال : مَنْ عنده غلالة رقيقة ؟ فقال له زياد الأعسم وهو لا يعرفه ، وظن أنه بعض فتيان أهل البصرة ، وكان داود جميلاً : يا فتىٰ عندي غلالة فإن شئت أن أبيعك إياها أَرَقَّ من دِينكَ فَعَلْتُ . فلم يكلمه داود ومضى ، فقال رجل لزياد : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا داود فاتبعه زياد فاعتذر إليه وواعده مكاناً يلقاه فيه ، فاتعدا قصر أوس[1] ، فالتقيا من غدٍ فكلمه داود فأجاب داود ورجع عن رأيه ، وأتىٰ

١ ـ قصر أوس بالبصرة ، ينسب إلى أوس بن ثعلبة ، وكان سيد قومه ، وكان قد ولي خراسان في الأيام الأموية . معجم البلدان .

المسجد الذي كان يصلي فيه بالأزارقة من أصحابه فأخَّذُوه ، ويقال إنه كان أباضياً .

وخرج الأعسم في جماعة ، فيقال إن ابن رباط خرج إليهم فقتلهم ، وقال زياد الأعسم حين خرج :

تعاتِبُني عُرْسي علىٰ أَنْ أُطِيْعَها وقَبْلَ سُلَيمىٰ ما عَصَيْتُ الغَوَانِيَا
فكُفِّي سُلَيْمىٰ واتركي اللَّوْمَ إنني أرىٰ فتنةً صَمَّاء تُبْدِي المَخَازِيَا
وكيفَ قُعُودي والشُّرَاةُ كما أرىٰ عزينٌ[1] يلاقُونَ البَلايَا الدَّوَاهيا

في قصيدة .

١ ـ العزين : الحلقة المتجمعة من الناس ، وأصلها عزوة فحذفت الواو ، وجمعت جمع السلامة على غير قياس . النهاية لابن الأثير

خبر الهَيْصَمُ بن جَابِر

وهو أبو بَيْهَس أحد بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة .

وقال أبو الحسن علي بن محمد عن أصحابه : طلب الحجاج أبا بيهس الهيصم بن جابر فهرب إلى المدينة ، فَطَوَّل شعره ، ولعب بالحَمَام واختضب ، فلم يعرفه بها أحد .

وطلبه الحجاج وسأل عنه فأعياه وجوده ، وبلغ الوليد بن عبد الملك أنه بالمدينة فكتب إلى عثمان بن حَيَّان المرّي فيه ووصف له صفته وحُلَاهُ ، فقرأ عثمان الكتاب على الناس والهيصم جالس فنظر إليه رجل إلى جنبه فقال : إنك لصاحب الصفة وما أنا بمخلِّيك . قال : إنك إن فعلتَ أَثِمْتَ ، واقترفت ذنباً عظيماً ، فأخذه وأتى به عثمان فأقَرَّ أنه الهيصم فأعجبه ما رأى منه فحبسه ، وكتب إلى الوليد بأخذه إياه .

وكان عثمان بن حيان يرسل إليه في كل ليلة فيسامره ويحدثه ، وكان معجباً به ، فأتاه كتاب الوليد أن اقطعْ يديه ورجليه واقتله ، فقال له عثمان : اعهد عهدك فقد كتب أمير المؤمنين يأمر بقتلك . فقال : أجميعاً أم

متفرقاً ؟ . قال : متفرقاً . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له عثمان : هل لك من حاجة ؟ فأوصى ببنية له بالمدينة أن ترد إلى أهله .

وأُنفذ فيه أمر الوليد ، فمر به رجل حين قطعوا يديه ورجليه فشتمه ، فقال له أبو بيهس : إن كنت عربياً فإنك من هُذَيل ، فإنهم أسوأ قوم أخلاقاً ، وإن كنت من العجم فإنك بربري .

ومر به عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال : اصبر أبا بيهس ، فقال : أما إن أمرتَ بالصبر انك لجميل المزداة [1] عظيم ، حُسْن القدم في الاسلام .

وقتله عثمان بن حيان ، فقال عُوَيْفِ القَوَافي أو غيره :

إنَّ ابنَ حَيَّانٍ شَفَى الصدورا أَصْبَحَ في يَثْرِبَ مُسْتَنِيرا
قد أدركَ الله به الثؤورا [2] أَتْبَعَ رأسَ هَيْصَمٍ مَثْجُورا [3]
لصين كانا عَلَيا فُجُوْرا

وقال الهيثم : هرب **نبراس بن مالك العنزي** من الحجاج ، وقد طلبه فبينا الحجاج يخطب إذ مَثَلَ بين يديه فأنشد شعراً له يُظهر فيه التوبة ، فقال له الحجاج : الْزَم بابي ودع الطعن على الولاة ، فكان يَضرب أعناق الخوارج بين يدي الحجاج .

---

١ ـ أزدى : صنع معروفاً . القاموس .
٢ ـ جمع ثأر . القاموس .
٣ ـ الثجرة : الوهدة من الأرض ، ومجتمع أعلى الحشا أو وسطه ، وما حول الثغرة ، وثجر الثمر : خلطه بثجير البسر : أي ثفله . القاموس .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر سليمان بن عبدالملك

وسليمان بن عبدالملك وأمه وأم الوليد وَلَّادَةُ بنت العباس بن جَزي ، ويكنى أبا أيوب ، وكان فصيحاً ، نشأ في أخواله بني عبس ، وكان أبيض جعداً ، ولي سنة ست وتسعين ، وكان جميل المذهب ، حسن السيرة ، أخرج المُحَبَّسِينْ ، وردَّ المسيَّرين ، وأنصف من المظالم .

وكان الوليد أخوه ولاه فلسطين ، فأحدث مدينة الرَّمْلَة وبنى مسجدها ، وأتاه نعي الوليد ، وكان ولي العهد بعـده فخرج من فلسطين الى دمشق ، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر ، ومات بدابق [1] ، ودفن بها ، وصلى عليه عمر بن عبدالعزيز ، وذلك في سنة تسع وتسعين ، وكان يوم مات ابن خمس وأربعين سنة .

فولد سليمان بن عبدالملك : أيوب وأمه أم أبان بنت خالدبن الحكم بن أبي العاص ، وأمها أم عثمان بنت خالد بن عقبة بن أبي معيط .

---

١ ـ دابق قرية في هضبة حلب ، منطقة عزاز ، فيها تل أثري في شمال القرية ، أقيم عليه ضريح سليمان بن عبدالملك . المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري .

ويحيى ، وعبدالله ، أمهما عائشة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان .

ويزيد ، والقاسم ، وسعيداً ، أمهم أم يزيد بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية .

وعبد الواحد ، وعبدالعزيز ، أمهما أم عمرو بنت عبدالله بن خالد بن أسيد .

وداود ، ومحمداً ، وعُمَرُ ، وعَمْراً ، وعبدالرحمن ، لأمهات أولاد شتى ، والحارث لأم ولد .

وأم أيوب كانت عند عبدالعزيز بن الوليد فهلكت ، فجاء عبدالعزيز الى سليمان أبيها ، فقال له سليمان : أَدَفَنْتَ أم أيوب ثم تأتيني ؟ . فقال : يا أمير المؤمنين أنا بها أعظم مصيبة منك . قال : وبلغني أنك نازعتَ الحارث ابن أمير المؤمنين في الصلاة عليها ، فقال : ما بلغ بي الجهل أن أفعل ذلك .

فأما أيوب بن سليمان ، فكان من فتيان قريش عفافاً وأدباً ، وكان أبوه قد بايع له بالعهد ، وكان مؤدبه وحاضنه عبدالله بن عبدالأعلى الشاعر ، وقال فيه جرير :

إنَّ الإمامَ الذي تُرْجَىٰ فَواضِلُهُ بعدَ الإمامِ وَليُّ العهدِ أيوبُ [1]

وهلك في حياة أبيه .

وقال الفلتان أخو بني عبدالله بن دارم :

مَنْ يَكُ جاراً لِقَومٍ لا وَفَاء لهم فإنَّ جَاريْ وَليُّ العَهْدِ أَيُّوبُ

ورثاه عبدالله بن عبد الأعلى بقصيدة يقول فيها :

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٤ مع فوارق .

وَلقدْ عَجِبتُ لِذِي الشماتَةِ إنْ أُري جَزَعِي ومن يَذُقِ الفَجِيعةِ يَجْزَعِ
فَاشْمَتْ فقد قَرَعَ الحوادثُ مَروَتي واجْذُلْ بِمَرْوتِكَ التي لم تُقْرَعِ
إنْ تَبْقَ تُفْجَعُ بالأحِبَّةِ كُلُّهم أَوْ تُرْدِكَ الأحداثُ إن لم تُفْجَعِ
مَنْ لا تُخَرِّمُهُ المنيَّةُ لا يُرَىٰ منها عَلَى خوفٍ لَهَا وتَوَقُّعِ
قَدْ بانَ أيوبُ الذي لفراقِهِ سَرَّ العدوَّ غَضَاضَتِي وتَخَشُّعي
أيوبُ كنتَ تَجودُ عندَ سُؤالِهِمْ وتَظَلُّ مُنْخَدِعاً وإنْ لم تُخْدَعِ

ولا عقب لأيوب .

وحدثني هشام بن عمار الدمشقي ، أبو الوليد ، عن مسلم بن أبي سُليم الحمصي قال : خرج سليمان إلى دابق ليُغزي الناس ، فأغزاهم وعليهم ابنه أيوب بن سليمان ، ومعه مسلمة بن عبدالملك .

وكان أيوب ولي عهده ، فلما احتُضر سليمان قال : ان ابني أيوب بإزاء عدو ولا أدري ما يحدث به فإن أُهمل الأمر إلى قدومه ضاع وانتشر ولم تُؤمَنُ الفتنة على الناس في جميع الأقطار ، ولعل الحدثان أن يكون قد غاله ، على أني وليته العهد وأنا أظن أنَّ عمري يطول . وهو حَدَثٌ .

فولى عمر بن عبدالعزيز ، ويزيد بن عبدالملك من بعده ، وأيوب إن كانَ بَعْدَ يزيد ، وكَرِهَ أن يُخرجها من ولد عبدالملك فيختلفوا ويُحْدِثُوا أحداثاً تدعو إلى الفتنة .

وَصَوَّبَ رجاء بن حيوة رأيه في ذلك ، وقَوَّى عزمه . وتوفي أيوب في غزاته وقد أقبلَ ، وذلك حين شارف الثغر خارجاً أو داخلاً .

وقال هشام : وقد تَقَوَّلَ قوم أن نعيَ أيوب أتى سليمان يوم مرض ففعل ما فعل .

وقال المدائني ، وأبو اليقظان : مات بالشام .

وأما محمد بن سليمان فكان صاحب فتوَّةٍ وباطل ، وقد أدرك الوليد بن يزيد .

وأما عبدالواحد فولاه مروان بن محمد بن مروان مكة والمدينة فصلى بالناس بالموسم ، ثم هرب من الإباضية حيث خرجوا عليه ، فقال الشاعر :

جاءَ الذين يُخالفونَ بِدِيْنِهِم ... دِيْنَ النبيِّ ففرَّ عبدُ الواحِدِ
تَرَكَ القتالُ وما بِهِ مِنْ عِلَّةٍ ... إلا الوهُونُ وعرقةٌ مِنْ خالد[1]

وقتله صالح بن علي بن عبدالله ، وأخذ ماله بالشام . وله عقب . ومدحه ابن هرمة فقال :

إذا قيْلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَىٰ ... لمعتر فِهْرٍ ومُحتاجِهَا
ومنْ يَعْجِلُ الخيلَ عند الوغىٰ ... بألْجَامِهَا قَبْلَ إسْرَاجِهَا
أشَارَتْ نِساءُ بني مالِكٍ ... إليهِ بِهِ قَبْلَ أزواجِهَا[2]

وأما عبدالرحمن بن سليمان فهلك وهو شاب .

وأما الحارث بن سليمان فكان من رجالاتهم جلداً وذكراً ، وأدرك قتل الوليد بن يزيد ، وقال فيه الشاعر :

كَأَنَّكَ بُرْدٌ ذُو حَوَاشٍ مُسَهَّمٍ ... بِهِ خَرَق قَدْ شَابَهُ وهو واسعُ
بَلَوْناكُمُ حتى عَرَفْنَا خِيارَكُمْ ... فَخَيْرُكُمُ رَثُّ المُروءةِ وَاضِعُ

---

١ - بهامش الأصل : يعني خالدبن أسيد .
٢ - ديوان ابراهيم بن هرمة ص ٨٥ - ٨٦ .

فقال هشام بن عبدالملك لهذا الشاعر : ويلك عَمَمْتَ بني مروان .
فقال : لا ولكني عنيت بني سليمان .

وأما يزيد بن سليمان فمات قبل المُسَوِّدَة ، وقَتَلَ ابنهُ عبدُالله بنَ علي .

وأما داود بن سليمان فهو الذي قال له رجل : هلك أبوك بَشْماً [1] ، وهلكت أمك بغراً [2] ، وكانت أم داود عطشت في طريق مكة ، فشربت فأكثرتْ فماتت .

قالوا : وكان الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم أشارا على الوليد بتولية ابنه عبدالعزيز العهد مَكَانَ سليمان أوبَعْدَهُ ، فحقد على قتيبةَ سليمانُ ، فلما استُخلف سليمان قال قتيبة وهو بخراسان : أيها الناس قد وليكم هَبَنَّقَةَ القيسي ، وذلك أن سليمان كان يعطي أهل الشرف واليسار والنباهة ولا يرفع خسيسة ولا يصطنع خاملاً ، وذلك أن هبنَّقة كان يَخص سِمَانَ إبِلِهِ بالمرعى والعلف ويضرب المهازيل ، ويقول : أنا لا أُصلِحُ ما أَفْسَدَ الله ، ولا أُفسد ما أَصْلَحَ ، فنُسِبَ إلى الحمق ، وكان ذلك سبب مخالفة قتيبة حتى قتل بخراسان :

وفي سليمان يقول الفرزدق :

وإلى سليمان الذي سكَنَتْ أروى الهضاب له من الذعر
وتراجع الطرداء إذ وثقوا بالأمْنِ من رتبيل والشحَّرَ [3]

١ ـ انظر خبر وفاة سليمان بسبب اكثاره من الطعام في المعمرين والوصايا لأبي حاتم السجستاني ـ ط القاهرة ١٩٦١ ص ١٦٥ ـ ١٦٨ .
٢ ـ بغر : شرب ولم يرو فأخذه داء من الشرب . القاموس .
٣ ـ الشحر ساحل مهرة باليمن .

كُنّـا نُنَـاجِـي اللّه نسـأَلُـهُ في الصبحِ والأسحارِ والعصْرِ
ألاّ يُميْتـكَ أوْ يكُـونَ لَـنَـا أنـتَ الإمَـامُ وَوَالِيُ الأمْـرِ
فـأجـابَ دعـوتَـنَـا وأنْقَـذَنَـا بخـلافـةِ المهـديِّ مـن ضُرِ
إنِّي لأرْجُـو أن يُـقيـمَ لَـنَـا سُنَنَ الخَلائِـفِ مِنْ بني فَهْـرِ [١]

والقصيدة طويلة . وقال فيه أيضاً :

وكم أطلقت كَفَّاكَ من قيد بائسٍ ومن عقدةٍ ما كانَ يُرْجىٰ انحلالُها [٢]

المدائني عن عوانه قال : خرج سليمان بن عبدالملك يستسقي فسمع أعرابياً يقول :

يـا ربنـا ربُّ العبـاد مَـالَكـا قدْ كنتَ تَسقينا فما بدا لكا
أنزل عَلينا الغَيث لا أبا لكا

فقال سليمان : صدق والله فما لله أب ولا صاحبة ولا ولد .

المدائني عن أبي اليمان القرشي قال : خطب سليمان بن عبدالملك فقال : «اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولن ينسخه كتاب بعده» . فما سمعتُ خطبة أَوْجَزَ منها .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : قال سليمان بن عبدالملك يوماً : يا غلام ادعُ صالحاً ، فقال بعض الحرس :

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٥ .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج٢ ص ٧٦ .

يا صالحاً . فقال سليمان : أنقص من صالحك ألف ، فقال عمر بن عبدالعزيز : وأنت يا أمير المؤمنين فَزِدْ في أَلْفِكَ ألفاً .

المدائني عن الفضل بن تميم قال : دخل رجل على سليمان فتكلم فأراد أن يَسْبِرَ عقله فإذا هو مضعوف ، فقال سليمان : زيادة منطقٍ على عقله خدْعةٌ ، وزيادة عقلٍ على منطقٍ هُجْنَةٌ ، وأحسن من ذلك ما زَانَ بعضه بعضاً .

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم عن ابن عياش قال : تقدم أبو السَّمّال إلى سليمان بن عبدالملك فقال : إنَّ أبينا هلك ، فوثب أخانا على مالنا فأخذه ، فانظُر في أمرنا . فقال سليمان : لا رحم الله أباك ولا عافى أخاك ، ولا ردَّ عليك مالك . نحوُّه عني .

وقال المدائني : دخل أبو السِربال الكلبي على سليمان قبل الخلافة ، وهو يتغدىٰ ، فدعاه للغداء فقال سليمان : ادنُ يا أبا السربال . فقال : لا والله أو أعرف مَنْ أُكَلاَئي ، قال : هذا . قال : ومن هذا ؟ قال : رَوْحُ بن زِنْبَاع . قال رجل : والله ما اعتركَتِ الأضيافُ على باب أبيه قط . قال : فَمَن هذا ؟ قال : فلان . قال : إنه لصغير القِمَّة ، ونظر إلى رجل من قريش أحمر أقشر ، فقال أبو السربال : أما هذا فلا أسأل عنه ، هذا قيصر . فضحك سليمان .

وجلس أبو السربال يأكل ، وجاؤوا بفالوذجة ، فجعل سليمان يأكل بأصابعه كلها فقال : يا أبا السربال دونك فإن هذا يزيد في الدماغ ، فقال : أصلح الله الأمير ، لو كان هذا كما قلت لكان رأسك مثل رأس البغل .

حدثني العمري عن الهيثم عن ابن عياش قال : تقدم رجل إلى سليمان وهو بدابق فقال : يا أمير المؤمنين ، هلك أبينا ، وظلمنا أخينا ، فانظر في أمرنا ، نظر الله إليك ، فقال سليمان : نَحوُّه لعنه الله . فَنُحِّيَ .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد عن أشياخ لهم أن سليمان قال : الحسود لا يسود .

المدائني عن عامر بن حَفْصٍ وَمَسْلَمةَ : أن سليمان بن عبدالملك قال ليزيد بن أبي مسلم : لعن الله رجلاً وَلاَّكَ فأجرى رسنك [1] واختارك لأمر من أمور المسلمين ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنك رأيتني والأمر عَنِّي مُدْبِرٌ ولو رأيتني وهو علي مقبل عَظُم عندك ما استصغرت ، وحَسُنَ ما استقبحتَ من أمري . فقال : ما تقول في الحجاج ؟ . فقال : يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك فَضَعْهُ حيث شئت .

حدثنا عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن الجُرَيْري قال : شكا سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان موسى شهوات إلى سليمان بن عبدالملك ، وأمه آمنة بنت سعيد بن العاص بن سعيد بن أبي أُحَيْحَة ، وقال : هجاني ، فقال لا أم لك بِمَ هجوتَه ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما فضلتُ عليه سعيد بن خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وذلك أني عشقتُ جارية بدمشق فسألته أن يبتاعها لي بمائتي دينار فقال لي : بورك فيك ، فقال سليمان : ليس هذا موضع بورك فيك . قال : وأتيتُ سعيد بن خالد بن عبدالله فدعا بمطرف

١ ـ الرسن : الحبل ، وما كان من زمام على أنف . القاموس .

خزّ وأمر جاريته فصرَّت في كل زاوية منه مائتي دينار فمدحتُه . فقال : قل ما شئت بعد هذا واستنشده ما قال فأنشده :

عقيل الندىٰ ما عاش يَرضىٰ به الندىٰ   فإنْ ماتَ لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيْدِ
سعيد الندىٰ أعني سعيد بن خالدٍ   أخا العُرْفِ لا أعني ابن بِنتِ سعيدِ
ولكنني أعني ابنَ عائشةَ الذي   كِلا أَبَوَيْهِ خالدُ بنُ أسيدِ

عائشة بنت عبدالله بن خَلَفْ أخت طلحة الطلحات ، فقال سعيد بن خالد :

إذا كان الأمير عليك خصماً   فلا تكثر فقد غلب الأمير

وأنشد :

ونَسْتَعْدِي الأميرَ إذا ظُلِمْنَا   فمن يُعدى إذا ظَلَمَ الأميرُ

وحدثني عبدالله بن صالح العجلي عن ابن كناسة قال : بعث يزيد بن المهلّب سَريعاً مولى عمرو بن حُرَيْث إلى سليمان . قال سريع : فعلمتُ أنه سيسألني عن المطر ، ولم أكن ارتق بين كلمتين ، فأعطيت أعرابياً درهماً وقلت : كيف أقول إن سئلتُ عن المطر ؟ فقال : قل جاء مطر غزير درير ، فعمد الثرى واخضرّ العمير ، واستأصل العِرْقُ ، ولم أرَ وادياً إلا دارياً .

فلما دخلتُ على سليمان سألني عن المطر فقلت هذا الكلام . فقال : هذا كلام لَسْتَ بأبي عُذْرِهِ فأصْدِقني . فحدثته فضحك ، وضرب برجليه ، وقال : لقد أصبتَ ابن بَجْدَتِها .

المدائني عن مَسْلَمة قال : زَحَلَ أيوب بن سليمان وهو عند أبيه فقال له : مالك يا بني ؟ قال : خدرت رجلي . فقال سليمان : يا بني ، اذكر أحبّ الناس إليك ، فقال : صلى الله على محمد . فقال سليمان : ابني سيد ، وإني عنه لفي غفلة ، وولاه عَهْدَه .

المدائني قال : كان محمد بن يزيد الأنصاري مع سليمان فوجهه إلى العراق حين ولي ، فأطلقَ أهل السجون ، وقَسمَ الأموال ، وضيق على يزيد بن أبي مسلم ، وحمله إلى سليمان فظفر به يزيد بإفريقية عند المغرب في شهر رمضان ، فجعل محمد يقول : اللهم احفظ لي اطلاقي الأسرى وإعطائي الفقراء ، فقال له يزيد : أمحمد طال والله ما سألتُ الله أن يمكنني منك بلا عهد ولا عقد ، قال : وأنا والله قد سألته أن يجيرني منك ، قال يزيد : فوالله ما أجارك ولا أعاذك ولا أَجَابَكَ . والله لا أُريم مكاني حتى أقتلك .

وأقيمت الصلاة فبادر إليها ، وكان أهل إفريقية قد أجمعوا على قتله ، فضربه رجل منهم بعمود على رأسه فقتله ، وقال لمحمد : اذهب حيث شئت .

قالوا : وكان سليمان نهماً بخيلاً على الطعام فمد رجل يده إلى دجاجة كانت بين يديه ، فقال له : كُلْ مما بين يديك . فقال : أو ههنا حِمًى ؟! فرمى إليه بالدجاجة وقال : كُلْهَا لا بارك الله لك فيها .

المدائني قال : قال سليمان ليزيد بن المهلب : أكره منك ثلاثاً ، خُفُّك أبيض مثل ثوبك ، وطيبك يُرىٰ وطيب الرجل يوارىٰ ، وأنك تُكثر مسَّ لحيتكَ . فغيَّر الخفّ والطِّيب ، ولم يَدَع مسَّ لحيته .

وكان يزيد يقول : ما رأيت عاقلاً قط إلا ومُعَوَّلُهُ إذا فكّر على لحيته .

المدائني قال : ضمَّ سليمان بن عبدالملك عَوْن بن عبدالله بن عتْبَة بن مَسْعُود إلى ابنه أيوب ، فأتاه فحجبه ، فجلس في بيته فتعتَّب أيوب عليه

فعاتبه عون فغضب فشكاه إلى أبيه فلامه فقال : ضممتني إلى رجل إن أتيتُهُ حجَبَ ، وإن جلستُ عنه عتبَ ، وإن عاتبتُه غضب .

حدثني أبو مسعود القَتَّات عن ابن الكلبي أن قوماً وفدوا إلى سليمان فقال متكلمهم : إنا والله ما أتيناك رغبةً ولا رهبةً ، أما الرغبة فدخلتْ علينا منازلنا ، وأما الرهبة فآمَنَنَاهَا فضلك وعدلك ، ولقد حَبَّبْتَ إلينا الحياة ، وهوَّنتَ علينا الموت ، لأنا نثق بإحسانك لأنفسنا ، ونرجوك لمن تخلف بعدنا من أعقابنا ، فَأَحْسَنَ صلتهم والنظر لهم .

قالوا : وكان سليمان أكولاً يؤتى في كل يوم من صلاة الغداة بعشر رقاقات وخروفين عظميين ، ودجاجتين سمينتين ، فيأكل ذلك كله بِخَلٍّ فيه الجذان ومرى [1].

وقال الواقدي : غزا سليمان الصائفة مسلمة بن عبدالملك وعلى الصائفة أيوب ابنه فلما جاوزوا الدرب مات ، وماتَ سليمان ، وقد نفذ مسلمة ، فأقفله عمر بن عبدالعزيز .

المدائني قال : حج سليمان فقال لقيِّمه على طعامه : أطعمني من خرفان المدينة ، أو قال من جداء المدينة ، ودخل الحمام ثم خرج وقد شُوي له أربعة وثمانون خروفاً أو جدياً ، فجعل القَيِّم يأتيه بواحد واحد فيتناول

١ ـ كذا بالأصول ، ولعله أراد الجذاذ ومره ، والجذاذ : السويق الجذيذ ، والجذيذة : جشيشة تعمل من السويق الغليظ لأنها تجذ ، أي تقطع قطعا وتجش ، والمرة : بقلة تنفرش على الأرض لها ورق مثل ورق الهندبا أو أعرض ، ولها نورة صفراء ، وأرومة بيضاء ، وتقلع فتغسل ثم تؤكل بالخل والخبز ، وفيها عليقمة يسيرة ، ولكنها مصحة . اللسان .

جرمازجة [1] ويضرب بها شحم كليته، فأكل أربعة وثمانين جرمازجة بشحم أربعة وثمانين كلية ، ثم قال : ادعُ يا غلام عمر بن عبدالعزيز ، وأذن الناس. ووضع الغداء فأكل معهم كما أكلوا .

وقال المدائني : حج سليمان وأتى الطائف فلقيه ابن أبي زهير الثقفي رجل من أهلها فسأله أن ينزل عليه فقال : إني أخاف أن أبهظك . فقال : قد رزق الله خيراً كثيراً ، فنزل عليه فجعل يأتيه من حائطه ، وهو فيه ، بخمس رمانات خمس رمانات حتى أكل مائة وسبعين رمانة .

ثم أتى بخروف ، وست دجاجات فأكل ذلك ، ثم أُتي بمكوك زبيب فأكله ، ثم وضع الطعام فأكل وأكل الناس . وفتح ابن أبي زهير أبواب الحيطان فأكل الناس من الفاكهة ، فقال سليمان : قد أضررنا بالرجل .

وأقام بالطائف سبعاً ثم صار إلى مكة وقال لابن أبي زهير : الحقني . فلم يفعل فقيل له : لو لحقته ، قال : أقول ماذا ؟ أعطني ثمن طعامي ؟!

وقال المدائني : خرج سليمان من منزله يريد منزل يزيد بن المهلّب فقال يزيد : الغداء يا أمير المؤمنين؟ قال : نعم . فأكل أربعين دجاجة جردناج سوى ما أكل سوى ذلك من الطعام .

وقال المدائني : أكل سليمان اثنين وثمانين ناهضاً [2] ، وفخّارة فيها هريسة .

---

١ ـ المرجح أن الجرزمانة من الطيور المذبوحة والمسموطة . انظر الأغاني ج ١٤ ص ١١٣ ، وانتبه للتصحيف وكما سيأتي في خبر غداء يزيد بن المهلب .

٢ ـ الناهض : فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهيأ للطيران . القاموس .

قال : وأتاه وهو بدابق رجل من النصارىٰ كان منقطعاً إليه من قبل الولاية فقال له : هل أهديت لي شيئاً ؟ . قال : نعم أهديتُ تيناً وبيضاً ، فأتاه بزبيل مملوءٌ بيضاً مطبوخاً ، وبزبيل مملوء تيناً فجعل يقشر البيض ويأكل بيضةً بتينةٍ حتى أتى على الزبيلين ، ثم أتوه بقصعة مملوءة مخاً مخلوطاً بسكر فأكل ذلك فأتخم ومرض فمات .

المدائني قال : كان حنظلة بن عقال أكولاً فأكل عند سليمان وهو يرتجز :

أعـددتُ لِلْفَمِ عـظيم الفـلقِ تكـادُ أطراف الـرغيف تلتقي

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن الضَحَّاكِ بن زَمْلٍ أن سليمان أُتي بطبق عليه ثلاثمائة عيون البقر[1] ، وهو الساهلوج ، فأكل جميع ما في الطبق ، ثم دعا بالغداء فأَمعَنَ كأنه لم يأكل شيئاً .

وقال الضحاك بن زمل : قال سليمان حين نزل من عقبة أفيق : هل عندكم شيء ؟ فأُتي بست دجاجات وفرخين وعشرة أرغفة ، في كل رغيف رطل فأكل وهو على بعير ، إذا رجل يصيح : يا أمير المؤمنين إن عاملك على كذا ظلمني،وهو يقول : كذبت لا أم لك ويأكل ، فلما فرغ فهم عنه ، فأمر فكتب بإنصافه .

قال : وقال الضحاك : قال سليمان وذكر عنده تشقيق الخطب والإسهاب في الكلام : مَن أَكْثَرَ القولِ فأَحْسَنَ ، قَدِرَ على أن يُقِلَّ فَيُحْسِنَ ، وليس من قصر فأحسَنَ بقادرٍ على أن يطيل فيُحْسِنَ .

---

١ ـ عيون البقر : ضرب من العنب أسود كبير غير صادق الحلاوة ، وعيون البقر بفلسطين يطلق على نوع من الاجاص ، وهو المرجح هنا . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن مولىً لسليمان قال : كان سليمان يأكل بخمس أصابع ، ويُجعل له منديل على صدره ومنديل على فخذيه ، وكان لا يرفع رأسه إذا أكل حتى يشرب عُسّاً ضخماً فيه عسل ، تعترى[1] ربما استعان عليه بركبتيه أحياناً ، فإذا شربه تكلم .

فقام إليه رجل وهو يأكل فقال : يا أمير المؤمنين إني زوجت ابني وليس عندي ما أجمعُ به أهله إليه فأسلفني عطائي من بيت المال ، فقال : ما يزال عاضٌ لبظر أمه يقوم إلينا فيفسد علينا طعامنا ، فتنحى الشيخ وجلس ، فلما فرغ من طعامه قال : قلتَ ماذا لله أبوك ؟ . فردَّ عليه مسألته فقال : وكم عطاؤك لله أبوك ؟ . قال : مائتا دينار . قال : يا قَسَّامَة أعطه مائتي دينار ومائتي دينار ومائتي دينار . وطَوَّل نَفَسَهُ حتى انقطع فنظر فإذا جميع ذلك قيمة اثنين وسبعين ألف درهم .

ثم قال : أبا زُجَيّ رضيت ؟ قال : نعم فرضي الله عنك يا أمير المؤمنين . قال : يا قَسَّامة فأضعفها له ، فأخذ مائة وأربعة وأربعين ألف درهم .

حدثني الحرمازي وأبو مسعود الكوفي قال : قال سليمان بن عبدالملك لسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب : يا أبا عمر اذكر لي حوائجك ، فقال : إني لا أسأل في بيت الله غيره .

وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : انصرف سليمان من صلاة الجمعة فأكل شحم كُلَى أربعين جدياً وصحفة مملوءة مخاً وغير ذلك ، ثم

١ ـ لعله أراد أن العس له عروة أي مقبض .

جامع وقام عن الجارية موعوكاً فمات بدابق ، وكان جميل الوجه ، حسن الخلق ، يقول : أنا الملك الشاب .

قال الحزين :

فيا قومُ ما بالي وَبَالَ ابنِ نَوْفَلٍ وَبَالَ بُكَائِي نَوْفَلَ بنُ مُسَاحِقِ
ولكنَّها كَانتْ سَوَابِقُ عَبْرَةٍ على نَوْفَلٍ مِن كاذبٍ غيرِ صادقِ
فَهَلَّا على قبرِ الوليد سَفَحْتَهَا وقَبْرَ سليمانَ الذي عندَ دابِقِ

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده وعوانه قالا : لما مات الحجاج ، وكان قد استخلف على حرب العراق يزيد بن أبي كبشة ، وعلى خراجها يزيد بن أبي مسلم مولاه فأقرَّهما الوليد حتى مات ، وأقر عمال الحجاج ، وكان الوليد يقول : الحجاج جلدة ما بين عيني ، لا بل جلدة وجهي كله .

وكان موت الوليد للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، فلما ولي سليمان بن عبدالملك ، وهو بالرملة ، ولىٰ يزيد بن أبي كبشة صلاة العراق وحربها ، وصالح بن عبدالرحمن السجستاني مولى بني مرة بن عبيد خراج العراق ، وولى سليمان بعد أربعين يوماً من خلافته يزيد بن المهلب حرب العراق وخراجه فاستعفاه من الخراج ، فأراد تولية يزيد بن أبي مسلم الخراج ، وقد كان ابن المهلب وصفه له بالعفاف ، فقال عمر بن عبدالعزيز : أتولّي ابن أبي مسلم ؟ فقال : نعم إنه عفيف عن الدرهم ، فقال عمر : إن الشيطان أيضاً عفيف عن الدرهم لم يأخذ درهماً قط . فاستشار يزيد بن المهلب فيمن يوليه خراج العراق فأشار عليه بصالح بن

عبدالرحمن ، وكان صالح كاتباً للحجاج بعد زاذا نفروخ بن بيزي كاتبه المجوسي .

وشخص يزيد بن المهلب إلى العراق وخراسان مضمومة إليه ، فلما قدم واسطاً وجد الجراح بن عبدالله الحكمي على البصرة من قبل ابن أبي كبشة ، فكتب إليه في القدوم عليه ، وولى البصرة رجلاً من أصحابه ، وكتب سليمان إلى يزيد بن المهلب في الشخوص إلى خراسان لإصلاحها ، وتسكين الناس بها بعد أن كان من أمر قتيبة ما كان ، فاستخلف يزيد بواسط : الجراح بن عبدالله .

المدائني : أن يزيد بن المهلب كان عامل سليمان على العراق ، فولّى البصرة سفيان بن عمير الكندي فجاءته امرأة بزوجها تطالبه بصداقها فقال : ما لها عندي شيء ، قال : فأين صداقها ؟ قال : أكله الذئب . قال : فأنت والله ذلك الذئب ، أعطِها صداقها .

المدائني أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز : يا أبا حفص أيكون المؤمن في حال يعتدل فيها سروره ومكروهه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لا يستوي عند أحد السرَّاء والضرَّاء ولكن مُعَوَّلَ المؤمن الصبر .

المدائني قال : قال سليمان بن عبد الملك لمحمد بن مالك الهمداني : قد رأيتُ ولد المهلب فكلّهم جَزْلٌ ، فأَخْبِرْني عن المهلب ، فقال : كان لا يُستنهض عن عجز ولا يكفكف عن جهل ، ولم أر بالعراق مثله .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قال سليمان بن عبد الملك : لله كلمة ما قالها إلا حكيم وهي : لا ينفعك رأي من لم ينفعك ظنّه .

حدثني أبو الحسن المدائني قال : قال أبو جعفر المنصور : أما الوليد

فكان مجنوناً ، وأما سليمان فكان نهماً هَمُّه بطنه وفرجُه ، ورجل القوم هشام .

المدائني عن خالد بن يزيد قال : جزع سليمان بن عبد الملك على ابنه أيوب فقال رجل : يا أمير المؤمنين إنَّ مَن حدَّث نفسه بطول البقاء لعازبُ الرأي ، فكأنّ ذلك عُرف في سليمان .

المدائني قال : وقع بين سليمان بن عبد الملك وبين أخيه مروان بن عبد الملك في حياة عبد الملك شرّ ، فقال سليمان لمروان : يا بن اللخناء . ففتح فمه ليجيبه وإلىٰ جانبه عمر بن عبد العزيز فأمسكَ علىٰ فمه وقال : أخوك يا أبا عبد الملك ، وله السنّ عليك ، فقال : يا أبا حفص رَدَدْتَ في جوفي أحرّ من الجمر ومال لجنبه فمات ، وكان أخا يزيد بن عبد الملك لأمّه عاتكة بنت يزيد ، وفيه يقول جرير :

أبا خالدٍ فارقتَ مروانَ عن رِضىً ... وكانَ يَزينُ الأرضَ أَنْ يَنْزِلَا مَعَا
فسيروا فلا مروانُ للحيّ إذْ شَتَوا ... ولا الركْبُ إنْ أَمْسَوا مُخِيْفينَ جُوَّعَا[1]

ونظر إليه عبد الملك وهو يكفّن فقال : الحمد لله الذي رضانا بموت أبنائنا ودفنهم .

وكتب إلى عبد الملك بعض ولد الحَكَمْ يعزيه بمروان فكتب إليه عبد الملك :

كتبتَ تسألُ عن صبري لِتَعْلَمَهُ ... علىٰ الرزيَّـةِ بالمـأمولِ مـروان
فقد صبرتُ بعونِ الله مُحتسباً ... لموعدِ الله من فَـوْزٍ ورضوانِ

---

١ ـ ليسا في ديوان جرير المطبوع .

المدائني قال : الثبت أن أيوب بن سليمان توفي بالشام ولم يكن غازياً ، وإنما كان الغازي مسلمة بن عبد الملك ، وكان سليمان أراد أن يُغْزيه على الجيش فمرض . قال : فلما احتضر أيوب دخل عليه وهو يجود بنفسه ، ومعه عمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة ، فجعل ينظر في وجهه فتخنقه العبرة فيردّها ، ثم نظر إلىٰ عمر فقال : إنه والله ما يملك أحد أن يستبق إلى قلبه الوجد عند المصيبة والناس في ذلك أصناف : فمنهم من يغلب صبْرُه جَزَعَه ، فذلك الجَلْد الحازم المحتسب ، ومنهم من يغلب جزعه صبره ، فذلك المغلوب الضعيف ، وإني أجد في قلبي لوعةً إنْ أنا لم أُبَرِّدْها بعبرة خفت تتصدع كبدي كمداً وأسفاً .

فأما عمر فنهاه عن البكاء وأمره بالصبر ، وأما رجاء فقال : افعل ولا تُفْرِط فإن رسول الله ﷺ لما هلك ابراهيم ابنه قال : «تدمع العين ويُفجع القلب ، ولا نقول ما يُسخط الربّ ، وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون» . فلما دُفن أيوب وقف سليمان على قبره وقال :

وقفتُ على قبرٍ مُقيمٍ بِقَفْـرةٍ مَتَاعُ قليلٌ مِنْ حَبيبٍ مُفَارِقِ

ثم قال : عليك السلام يا أيوب . كنت لنا أُنسْاً ففارقتنا ، فالعيش من بعدك مر المذاق . ثم ركب دابته وقال :

فإنْ صَبَرْتُ فَلَم أَلْفُظْكَ من جَزَعٍ وإنْ جزعتُ فعِلْقٌ مَنْفَسٌ ذَهَبَا

فقال عمر : الصبر يا أمير المؤمنين فإنه أقرب الوسائل إلى الله .

قال : وعزىٰ رجل سليمان عن أيوب فقال له : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تجعل آخر أمرك أولَه فافعل . فقال سليمان : لقد أوجزتَ في التعزية وسكّنت من اللوعة ، عند الله أحتسبُ أيوب .

حدثني الحرمازي الحسن بن علي عن العُتْبي قال : دخل سليمان بن عبد الملك على طاووس يعوده فلم يُعظمه ولم يُجبه بما يُجاب به الخلفاء ، فعوتب طاووس على ذلك فقال : أحببتُ أن يعلم أن في الناس من يستصغر ما يستعظمه المُغِرّوْنَ مما هو فيه .

قالوا : بينا سليمان يمشي في بستان ومعه جماعة يمشون حوله من أهل بيته وغيرهم ، ومعهم يزيد بن المهلب فنظر فقال : يا يزيد ارتدف فأنا أكرم ردافة من النعمان . قال : يا أمير المؤمنين بل أمشي . فقيل ليزيد : ما منعك من الإرداف خلف أمير المؤمنين فتسيران والناس جميعاً يمشون ؟ فقال : ما غَبِيْتُ عن ذلك ولكني خشيت أن أَثِبَ فأقصر عن الركوب ، وكرهتُ أن أدعو من يرفعني ، وأن تنال أمير المؤمنين يدي .

قالوا : وكان عمير الهجري راويةً لخطب الحجاج ، فقدِمَ فلسطين ويزيد بها عند سليمان وذلك بعد موت الحَجّاج ، فجلس إليه عمير فذكر شيئاً منها فأمر به يزيد فأقيم ثم قال : احبسوه ، ثم قال : خَلُّوه . فقيل لعمير : ماذا دعاك إلى ما قلت ؟ ألم تعلم ما بين يزيد والحجاج ؟ قال : لم أعلم أن ههنا أميرين .

وحج سليمان فقدم الطائف فارتفعت سحابة فرعدتْ وبرقتْ وهو مشرف على عقبة ، ثم أمطرتْ وانْجَلَتْ فقال سليمان لعمر : يا أبا حفص كاد قلبي ينصدع . فقال : يا أمير المؤمنين كان ما رأيت من قدرة الله مع رحمته ، لو كانت مع عذاب ؟!

الخوارج في أيام سليمان بن عبد الملك

أمر داود بن عُقْبَةُ العَبْدِي :

قال أبو الحسن المدائني : كان داود بن عقبة العَبْدي من عُبَّاد الخوارج والمجتهدين ، فطلب بالبصرة ، وكان كبيراً فتوارىٰ عند رجل من بني تميم على رأيه ، فأمر امرأته أن تتعهده ، وخرج لبعض شأنه فغاب أربعين ليلة ، وكان داود منخفض الطرف لا ينظر إلى شيء ، فقَدِمَ التميمي بعد أربعين ليلة فقال لداود : كيف رأيتَ خدمة الزرقاء ؟ فقال داود : والله ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء . ثم خرج داود بالبصرة في سنة تسعين ومروان بن المهلب على البصرة خليفة يزيد ، فوجه إليه خيلاً فقُتل وأصحابُه بموقوع .

وداود الذي يقول :

إلى الله أشكو فقْدَ فتيان غارةٍ   شَهِدْتُهُمُ يومَ النّخيْلَةِ والنَّهْرِ
شهدتُهُمُ أُسْداً إذا الحربُ شَمَّرَتْ   مَسَامِيْحُ منهم بالمُهَنَّدَةِ البُتْرِ
أولئكَ إخواني مُنِيتُ بِفَقْدِهِم   فَلَهْفِي عليهم أَنْ يُرَوا آخِرَ الدَّهْرِ
مَضَوْا سَلَفاً قَبْلِي وأُخِّرْتُ بَعْدَهُمْ   وَحِيْداً لأقوامٍ تنابلةٍ خُزْرُ

ويقال إن الذي قتله وأصحابه : زاذوية الأسواري .

وقال أبو عبيدة : وجه إليهم وهم بموقوع : دبيق الأزدي ، ثم أتبعه زاذويه الأسواري في أساورة فرماهم بالبنجكان[1] ، وقال للأزدي بالفارسية : أظننتَ أن القتال أكْلُ الزبْد ؟

قال : وخرج أيام سليمان خمسة من الخوارج بعسفان التي بناحية البصرة، فوجه إليهم خمسمائة من الشرط فهزمهم الخوارج، فوجه إليهم مروان بن المهلب زاذُويه ، ويقال ازذويه الأسواري . فلما رآهم خمسة قال لأصحابه : قفوا ، وقال لغلامه : ناولني خمس نشابات ، ودنا منهم فحملوا عليه فاستطرد لهم ثم عطف فرمىٰ رجلاً فصرعه ، ثم استطرد، ورمىٰ آخر فصرعه فلم يزل يصنع مثل ذلك حتى قتلهم جميعاً ، وأمر فاحتُزت رؤوسهم .

وخرج خوارج فوجه إليهم مُسْلِم بن الشَّمَرْدَل الباهلي في خيل ، فلما التقوا كَسروا جفون سيوفهم ونثروا دقيقاً كان معهم فقال الباهلي ؛ قد نثرتم الدقيق خار الله لكم . وترك قتالهم وانصرف . فوجه إليهم غيره فقتلهم .

المدائني قال : دخل سليمان المدينة ، فرأى عبدالله بن عوف بن أبي عوف من آل أبي وَداعة السهمي ، فتوهَّم أنه من قريش فأشار إليه فتقدم ، فقال : ممن أنت ؟ فأخبره ، فجعل يسأله عن دارٍ دارٍ حتى صار إلى دار ابن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي فقال : لمن هذه الدار؟ قال : لابن بديل . قال : ما أَعْرَفَكَ بدور قَتَلَة عثمان ، ثم مضى وتركه ، فبعث إليه بعد ثالثة فقال :

---

١ ـ البجنكان في الفارسية المعاصرة : بندقية ذات خمس طلقات . ومن هذا يتضح أن البجنكان أداة رمي للبندق أو لسواه .

يا بن أبي عوف ، أبطأ عليك رسولنا حتى ساء ظنك . فقال : القلوب إلى حُسْنِ الظنّ بك أَمْيَلُ منها إلى سوء الظن فيك . وإذا رزمة وخريطةُ فيها خمسمائة دينار ووصيف عليه ثياب بياض . فقال للوصيف : احمل هذه الخريطة والرزمة وانطلق مع سيدك فأنت له وما حملتَ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر عبد العزيز بن مروان بن الحكم وولده

ومن ولد مروان بن الحكم : عبد العزيز بن مروان ويكنىٰ أبا الأَصْبَغ وأمه ليلىٰ بنت زبّان بن الأصبغ بن عمرو بن ثَعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عَدي بن جناب الكلبي ، ولاه مروان أبوه العهد بعد عبد الملك .

وكان عبد الملك قد هَمَّ بخلعه وتولية الوليد ابنُه العهدَ ، فقال له قَبيصة بن ذُؤَيْب الخُزاعي : لا تفعل فلعل الله سيكفيكه . فلم يلبث إلّا يسيراً حتى أتاه خبر موت عبد العزيز ، فقال له قبيصة : سلِمْتَ من الغدر والنكْثِ وبلغتَ إرادتك وفي الصبر خير كثير . فولىٰ حينئذٍ عهده الوليد وسليمان . وكان قبيصة الخزاعي على خاتم عبد الملك وبريده وكان أنساً به قابلاً لقوله .

وكان عبد العزيز جواداً كريماً ، وفيه يقول أيمن بن خُرَيْم بن فاتِكٍ الأَسَدِي حين ولاه أخوه عبد الملك مصر :

بَشِّر أَهْلَ مصرَ فقد أتاهُمُ مع النيلِ الذي في مِصْرَ نِيْلُ
فتىً لا يَرْزَأ الخلّانَ إلا مَوَدَّتَهم وَيَرْزَؤُهُ الخليلُ

وقال فيه كثير :

قليلُ الألَايا حافظٌ ليَمِينِهِ إذا سَبَقَتْ منه الألِيَّةُ برَّتِ[1]

وقال ابن قيس الرُّقيات :

أعْني ابنَ ليلىٰ عبد العزيـ ـز بِبَابِ اليُونَ تأتي جِفَانُه رُذما
الواهبَ البُخْتَ والوصائف كالغُـ ـزلانِ والخيلَ تألك اللُّجْما[2]

وقال عبد العزيز : أنا أخبركم عن نفسي بغير تزكية لها . ما رجُلٌ رغب إلي فوضعت معروفي عنده إلا رأيتُ أنّ يده عندي مثل يدي عنده . وما رجل استجار بي من خوف فلم أبذل دمي دون دمه إلا رأيتني مقصراً بحبسي ولو لم يدخل على البخلاء من بخلهم إلاّ سوء ظنهم بربّهم في الخُلف لكان ذلك عظيماً .

وقال رجل من خثعم يهجوه :

أرىٰ عَبْدَ العزيزِ يَصُدُّ عني بأَنْفٍ مثلَ فَيشَلَةِ[3] الحمار
فَما عبدُ العِزيْزِ لَنَا بِرَبٍّ ولا دارُ الهَوَانِ لنا بِدَارِ

وقال كثير يرثيه :

أَبَعْدَ ابن ليلىٰ يَأْمَلُ الخُلْدَ وَاحدٌ مِن الناسِ أَمْ يَرجو الثراءَ مُثَمِّرُ

وقال أبو بكر بن أبي جهم بن حذيفة العدوي :

---

١ ـ الألايا : جمع ألوة وهي اليمين وما يقسم به ، والألية : القسم . ديوان كثير ص ٥٩ .
٢ ـ ديوان ابن قيس الرقيات ص ١٥٢ ، وبابليون حاضرة مصر قبل الفتح ، وقام في موقعها مدينة الفسطاط .
٣ ـ الفيشلة : الحشفة . القاموس .

أَبَعْدَكَ يا عبدَ العزيز لِحَاجَـةٍ وبعدَ أبي الزَّبان يُسْتَعْتَبُ الدهرُ
فلا صَلُحَتْ مصرٌ لحيٍّ سِوَاكُما ولا سُقِيَتْ بالنيل بَعْدَكُما مِصْرُ
ولازالَ مَجْرَىٰ النيل بَعْدَك يابساً يَموتُ به العُصفورُ واسْتُبْطِىءَ القَطْرُ

أبو زّبان : الأصبغ بن عبد العزيز .

فمن ولد عبد العزيز بن مروان :

عمر بن عبد العزيز[1] :

ويكنى أبا حفص ، وأمه أم عاصم[2] بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، خطبها عبد العزيز من أبويها وحملت إليه ، فولدت له : أبا بكر ، وعمر ابني عبد العزيز . وتوفيْت عنده ، فتزوج حفصة بنت عاصم وكانت عند ابراهيم بن نعيم بن عبدالله النَّحام من بني عدي بن كعب بن لؤي ، فقتل عنها يوم الحَرَّة ، وحُملت أيضاً إلى عبد العزيز .

وكانت أم عاصم حين حُملت مرت بِأَيْلة فأهدى إليها مجنون هناك يقال له شرشير هدية فأثابتهُ وكستهُ .

ومرت حفصة فأهدى لها فأغفلته فقال : ليس حفصة من رجال أم عاصم . وحكى بعض البصريين أن حفصة لم تحظ عنده كحظوة أم عاصم فقال : ليست حفصة من رجال أم عاصم ، والأول أثبت .

---

١ ـ بهامش الأصل : خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .
٢ ـ بهامش الأصل : قال ابن الأثير في كتابه جامع الأصول : اسم أم عاصم : ليلى .

وقال الكلبي : كان ولد عبد العزيز : عمر ، وأبا بكر ، وعاصماً ، ومحمداً أمهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر . والأصبغُ وهو أبو زبّان لأم ولد .

وسهلاً وسهيلاً وأم الحكم أمهم أم عبد الله بنت عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي .

وزبّان وأم البنين أمهما ليلى بنت سهلُ بن حنظلة بن الطفيل الجعفري .

وقالوا : ولى سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وكتب كتاباً سمّاه فيه ، ويزيد بن عبد الملك إن كان بعده . فلما مات سليمان بن عبد الملك أخرج رجاء بن حيوة الكتاب وأظهر اسمه وبايعه الناس ، فقال لرجاء : ذبحتموني بغير سكين .

وكان عمر بن عبد العزيز أشَجّ ، ضربه حمار وهو بمصر ، فلما رآه أخوه الأصبغ قال : هذا والله أشج بني أمية ، يملأ الأرض عدلاً .

وكانت خلافته ثلاثين شهراً ، ووفاته وهو ابن تسع وثلاثين سنة . وتوفي في سنة إحدى ومائة ، ودُفن بدير سمعان[1] ، وكان نزوله بِخُناصِرَة من عمل جند قِنسرِيْن ، وصلى عليه رجاء بن حيوة . ويقال مسلمة بن عبد الملك .

حدثني الحسين بن علي بن الأسود العجلي ، ثنا اسماعيل بن أبان عن أبي الأحوص عن ضرار بن مُرَّة الشيباني قال : لما ولي عمر بن عبد

---

١ ـ على مقربة من معرة النعمان ، أعيد ترميمه حديثاً .

العزيزصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أيها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس : يبلغنا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ، ويدّلنا من العدل على ما لم نهتَدِ له ، ويؤدي الأمانة إذا حملها ، ويعيننا على الخير ، ويدع ما لا يعنيه . فمن كان كذلك فَحَيْ هَلاَبه ، ومن لم يكن كذلك فلا يقربنا» . قال أبو سنان : فحجبوا والله دونه ، قال : وهذا أول كلام تكلم به حين استُخلف .

حدثني هشام بن عمار عن أشياخه قالوا : لما ترعرع عمر بن عبد العزيز استأذن أباه في إتيان المدينة وقال : أحبُّ أن أكتبَ العلم ، وأحضر قبر رسول الله ﷺ ، ويقرب علي الحج ، فأذن له في ذلك ، فأتى المدينة .

حدثني عبد الله بن صالح عن عَبْثَر أبي زبيد قال : أراد عمر بن عبد العزيز توليه ابن شهاب الزهري الصدقة ، فبلغه عنه ما كان منه حين ولي السعاية على الصدقة من قبل رجل كان ضربه ، فكره توليته . وولى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب .

وقال الواقدي : أُذن له أبوه في إتيان المدينة وقال له : اجتنب آل عبد الرحمن بن عوف ، وآل سعيد بن العاص فإنّ ثَمَّ شرارة وشراسة وسوء أخلاق ، فكان يجالس أهل العفة والورع .

المدائني عن أبي اليقظان قال : أوصى عبد العزيز لعمر بأربعين ألف دينار ، ودفعها إلى رجل من أهل المدينة يقال له ابن رمّانة ، وكان مولى لبعضهم ، فلما توفي عبد العزيز أتاه بالمال فقبضه ثم ذهب ابن رمَّانة فحدث بذلك أبا بكر بن عبد العزيز ، فغضب وكتب إلى عمر : إنك أخذت هذا المال دوننا .

ثم شخص عمر من المدينة فقدم الشام ، فلما استخلف الوليد بن عبد الملك ـ وهو صهره ، كانت أم البنين بنت عبد العزيز عنده ، فولدت له عبد العزيز بن الوليد ، ومروان بن الوليد ، وعنبسة ، ومحمداً ـ ولاه الوليد المدينة فأحسن السيرة ، إلا أنه كان لَبَّاسَاً عَطِراً ، وإنما تقشّف بعد ذلك ، فكان يُعمل له ثوب الخَزّ بمائة دينار فيستخشنه ، ثم إنه كان يؤتى بالثوب الخشن بأقل من دينار أو بدينار فيقول : ما أصنعُ بهذا ائتوني بأخشن منه وأقل ثمناً .

وكان ابن رمانة لمغاضبته إياه يرفع على عماله ، ويقع فيهم حين عُزل عن المدينة ، فقال عمر : لو أشاء أن آخذ كتاب الوليد إلى عامل المدينة في ضَرْب ابن رمانة مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته فعلتُ ، ولكني رأيت مُتَّقَىٰ الله مَنْجَىٰ .

وفي ولاية عمر بن عبد العزيز يقول الأحوص بن محمد الأنصاري :

وَأرى المدينة إذ وُليتَ أُمورها أَمِنَ البريءُ بها وخافَ المذنِبُ[1]

وقال أيضاً :

وأرى المدينة حين كنت أَميرها أَمن البريءُ بها ونام الأَعزلُ

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مَذِقُ اللسان يقولُ ما لا يفعلُ[2]

الكلبي عن عوانة قال : أنشد رجلٌ عُمر :

أعوذُ بربِّ الناس من كل نعمةٍ تَقَرُّ بهَا عَينايَ فيها اذاهُما

فقال عمر : أعاذك الله ورحمك ، ما أحسنَ ما قلتَ .

١ ـ ليس في ديوان الأحوص المنشور .

٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ـ ط . القاهرة ١٩٩٠ ص ٢١٤ .

حدثني هشام بن عمار قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز كان يساير سليمان بن عبد الملك ، فرعدت السماء وبرقت ، فقال عمر : يا أمير المؤمنين ، هذه قدرة الله عند الرحمة ، فكيف بها عند العذاب .

المدائني قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : مَنْ سيد قومكَ ؟ قال : أنا . لو كنت كذلك ما قلته .

قال : وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : مَن أعزّ أهل البصرة ؟ . فقال : نحن وحلفاؤنا من ربيعة ، فقال عمر بن عبد العزيز : من تحالفتم عليه أعزُّ .

المدائني وغيره قالوا : كان جُلُّ ممن هرب من الحجاج لجأ إلى عمر بن عبد العزيز ، فكتب الحجاج إلى الوليد إنْ عمر بن عبد العزيز قد صار كهفاً لمنافقي أهل العراق ، فما أحدٌ يهرب منهم إلا لجأ إليه . فكان ذلك سبب عزل عمر .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : كان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهُذلي من القراء ، وكان عمر بن عبد العزيز يكرمه ، فدخل عليه يوماً ، وجرير بن عطية الخَطَفى بالباب فسأله أن يستأذن على عمر ، وكان عون معتماً فأذن له فسلم وخرج ولم يقبل عليه عمر ، ويقال إنه لم يُؤذن له فقال جرير :

يا أيها القارىء المُرخي عِمامتهُ ... هذا زَمانُك إني قد مضى زمني
أَبلغ خليفتنا إن كنت لاقِيَهُ ... إني لدى الباب كالمصفود في قَرَن[1]

---

١ ـ ديوان جرير ص ٤٨٦ .

المدائني عن أبي اليقظان قال : جمع عمر بني مروان فقال لهم : يابني مروان إني أظن نصف جميع مال الأمة عندكم فأَدّوا بعض ما عندكم إلى بيت مال المسلمين . فقال هشام : لا يكون والله ذاك حتى تذهب أرواحنا .

فغضب عمر وقال : أما والله يا بني مروان إن لله فيكم ذبحاً ولولا أن تستعينوا علي بمن أطلب هذا المال له لأضرعت(١) خدودكم .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم ، وقال أبو اليقظان أيضاً : كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : إن مدينتنا تحتاج إلى مرمة فكتب إليه : «أما بعد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه فحصِّن مدينتك بالعدل ونقِّها من الظلم ، والسلام» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة : «اجتنب الحاجات عند حضور الصلوات ، والسلام» .

وحدثني منصور بن أبي مزاحم عن شعيب بن صفوان : ولى عمر رجلاً من قريش من أخواله القضاء فأتاه خصمان فلم يتجه له الحكم بينهما ، فغرّم للمدعي ما ادعى ، فكتب إليه : «يا خال إنّا لم نُولِّكَ لتغرم» ، وعزله ، وولى غيره .

المدائني قال : ولى عمر رجلاً من أخواله عملاً فتحاكم إليه رجلان في دينار فلم يُحسِن القضاء بينهما ، وغرم ديناراً أصلح به بينهما ، فكتب إليه عمر : «إني لم أولك لتغرم» ، وولى غيره .

---

١ ـ ضرع : خضع وذل واستطان . القاموس .

حدثني هشام بن عمار . أنبأنا الوليد عن سعيد بن واقد قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : أي الجهاد أفضل ؟ قال : جهاد المرء هواه .

المدائني عن أبي بكر عن رجل عن رجاء بن حيوة قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فكاد المصباح يُطْفَأ فقمت لأصلحه فقال : مه ، إن جهلاً بالرجل أن يستخدم ضيفه ، ثم قام فوجد غلامه نائماً فلم يوقظه وتولى إصلاح المصباح ثم عاد فقال : قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز وقعدتُ وأنا عمر بن عبد العزيز .

قالوا : وكان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز زاهداً خيّراً فقال له : يا بني لأن تكون في ميزاني أحبّ إلي من أن أكون في ميزانك . فقال : ولأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب .

فلما مات عبد الملك خرج عمر إلى الناس وقد اكتحل فسئل عنه فقال : قد سكن عَلَزه[1] ورجاه أهله ، وما كان في حال أحَبُّ إليّ من حاله ، ثم علم بموته فقيل له : قد فعلت ما فعلت وقد مات ، فقال : أحببت أن أرغم الشيطان .

وانصرف من جنازته فرأى قوماً ينتضلون فقال لبعضهم أخطأت فافعل كذا . فقيل له في ذلك فقال : ليس في موت عبد الملك ما يشغل عن نصيحة المسلم .

وقال أبو اليقظان : كتب إلى عمر عامله على عُمان وهو عامر بن عبد الله بن أبي طلحة ، يعلمه أن من كان قَبله كانوا يستعينون بالجند ، وأن قد

---

١ ـ العلز : قلق وخفة وهلع يصيب المريض ، والأسير والحريص والمحتضر . القاموس .

اختار ثلاثين رجلاً من أهل عُمان فولّاهُم الصدقات . ويسأله أن يُقفل من قِبَلَهُ من الجند . فكتب إليه : «قد فهمت ما ذكرت فاقفل من قِبَلَك من الجند بعد أن تخيِّرهم بين ركوب البحر وسلوك البر ، فمن اختار البحر فأكثِر له وزوِّده من بيت مال المسلمين ، ومن اختار البر فأكثِر له ظهراً وزوِّدْه ما يُقيمه أيضاً والسلام» .

وقال سُحيم بن حفص أبو اليقظان : استعمل عدي بن سعيد بن مسعود المازني على عُمان فأخذ رجلاً من الأَزد يقال له خليد بن سَعْوَة ، فضربه مائة سوط في باقة أرادها ابن مسعود ، فأتى عمر فشكا ذلك إليه ، وأنشده قول كعب الأشعري :

إنْ كُنتَ تَحْفَظُ ما يليك فإنّما عُمّالُ أرضكَ بالعراقِ ذِئَابُ
لَمْ يَسْتَقِيموا للذي تَدعُو لَهُ حَتى تُضَرَّبَ بالسيوفِ رقابُ
بِأكُفِّ مُنْصلتين أَهْلُ بَصَائِر في رفعهنَّ مَـوَاعظ وعقَابُ
لولا قريشٌ نَصرُها ودِفاعُها أَمْسَيْتُ مُنْقَطِعاً بي الأَسْبَابُ

فقال عمر : لمن هذا الشعر ؟ قال : لرجل من الأزد من أهل عُمان يقال له كعب . فقال له : ما كنتُ أرى أَهل عُمان يقولون مثل هذا الشعر ، وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «إنّ استعمالك سعيد بن مسعود قَدَرٌ من الله قدره عليك ، وبليةٌ ابتلاك بها ، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله ، وابعث به إليّ مشدوداً موثقاً» . فعزله واستعمل عبد الرحمن بن قيس ، وحمل سعيداً إلى عمر فجعل سعيد يرتجز ويقول :

كيف ترى الشيخ أبا الزبير يُـدلّ بعـد خُـطبِ الأمـير
سوق الرَّوايا وحـدا البعيرِ

فلما دخل عليه كلمه عمر فقال : أصلحك الله أتكلمني وأنا موثق ؟ أَطلق عني حتى أتكلم بحجتي ، فأطلق عنه وقال للأزدي : اضربه ، فقال قمير بن سعيد : أنا الذي ضربته ولم يضربه أبي ، قال : فأُعطي الأزدي سوطاً ، وقال عمر : قم فاجلده كما جلدك . فَجَلَد قميراً مائه سوط ، فقال له أبوه : يا قمير اصْرُرْ أُذُنَيْكَ إصرار الفرس الجموح ، وعُضَّ على نواجذك ، واذكر أحاديث غدٍ ، وإياكَ وذكر الله فإنه معجزة .

وقال أبو اليقظان · قام رجل من بني كلاب إلى عمر وهو على المنبر فأنشد :

إنَّ الذين بعثت في أقطارها نَبَذُوا كِتابكَ واستُحِلَّ المُحْرَمُ
جَلَسَ الذئابُ على منابر أرضنا كُـلٌّ بِنَقْصٍ نصيبنا يتكلمُ
وأرَدْتَ أن يَلِيَ الأمانة منهُمُ عَدْلٌ وهَيْهَاتَ الأَمينُ المُسْلِمُ

فقال عمر : صدقني والله .

حدثني عبد الله بن صالح العجلي قال : سمعت حمزة الزيّات يحدّث أن عمر بن عبد العزيز غضب على رجل غضباً شديداً فأتي به وأمر بالسياط فأحضرت ، فقال : لولا شدة غضبي عليك لأُوجعتك .

المدائني أن عمر بن عبد العزيز قال : ما قُرِنَ شيء إلى شيء أحسنُ من حِلْم إلى علم ، وعفو إلى مقدرة . قال : وقال عمر بن عبد العزيز : تعلموا العلم فإنه زينٌ للغني ، وعونٌ للفقير ، لا أقول أنه يكسب به ولكنه يدعوه إلى القناعة .

حدثني بكر بن الهيثم عن سفيان بن عُيَيْنة قال : قَدِمَ وفدٌ على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر عمر إلى شاب منهم يتهيأ للكلام فقال عمر :

ليتكلم أكبركم سناً ، فقال الفتى : يا أمير المؤمنين ، ليس الأمر بالسنّ ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسَنُّ منك ، قال : صدقتَ . فتكلَم فقالَ : إنّا لم نأْتِكَ رغبةً ولا رهبةً ، أما الرغبة فأتتنا في بلادنا ودخلتْ علينا منازلنا ، وأما الرهبة فإنا أمِنّاهَا بِعَدْلِكَ .

قال : فما أنتم ؟ قال : نحن وفد الشكر . فنظر محمد بن كعب القَرْظِي إلى وجه عمر يتهلل ، فقال : يا أ مير المؤمنين لا يغلبنَّ جهالة القوم بك معرفتك بنفسك ، فإنّ من الناس ناساً غَرَّهُم الستر وخَدَعَهُم حُسْنُ الثناء وأنا أُعيذكَ بالله مِنْ أن تكونَ منهم . فبكى عمر .

حدثني عبد الرحمن بن حَزْرة أحد ولد جرير بن عطية الخطفى قال : وَفَدَ جرير على عمر بن عبد العزيز فَغَبَرَ حيناً لا يصل إليه ، ثم رأى ذات يوم عون بن عبدالله المسعودي يريد الدخول عليه وكان قارئاً فقام إليه جرير فقال له :

يا أيها القاريءُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هذا زَمانُكَ إني قد مَضَى زمني
أبْلغْ خليفتَنَا إن كنتَ لا قِيَهُ إني لدى الباب كالمصفود في قَرَنِ

فقال له عون : إنْ أمكنني ذلك فعلتُ إن شاء الله .

فلما دخل عون على عمر سلم وجلس حتى فرغ من حوائج الناس ، ثم أقبل عليه فقال : يا أمير المؤمنين إنّ ببابك جرير بن عطية وهو يطلب الإذن ، فقال عمر : أو يُمْنَع أحد من الدخول ؟ . قال : لا يا أمير المؤمنين لكنه يطلب إذناً خاصاً ينشدك فيه . قال : يا غلام أدخِل جريراً . فأُدخِل إليه وعون جالس فأنشد جريرٌ عمر :

أأَذْكُرُ الجهدَ والبلوى التي شَمَلَتْ أَمْ أكتفي بالذي نُبِّئْتُ مِنْ خَبَرِ
كَم بالمواسم مِنْ شعثاءَ أرملةٍ ومِنْ يتيم ضعيف الصوت والنَّظَرِ
مِمّن تُرَجّى لَهُ مِنْ بَعْدِ والدِهِ كالفَرْخِ في العُشِّ لَم يَنْهَضْ ولَم يَطِرَ[1]

فبكى عمر حتى بلّتْ دموعه لحيته ، وأمر بصدقات تُفرَّق على الفقراء في النواحي فقال جرير :

هذي الأراملُ قد قَضَّيْتَ حاجَتَها فَمَنْ لِحَاجَةِ هذا الأَرْمَل الذَّكَرِ

فقال له : يا جرير أنت من أبناء المهاجرين الأولين؟ قال : لا. قال : أفمن أبناء الأنصار ؟. قال : لا . قال : أفمن أبناء التابعين بإحسان ؟ . قال : لا . قال : أفمن فقراء المسلمين أنت فَنُجْرِيْكَ على ما نُجري عليه الفقراء ؟ قال : قُدْرتي فوق ذلك . قال : أفأنتَ ابن سبيل فنعينَكَ على سفرك ؟ قال : قدرتي فوق ذلك . فقال : يا جرير ما أرى لك بين الدفَّتَيْنْ حقاً .

فولَّى جرير فقال عون : يا أمير المؤمنين إن الخلفاء كانت تعوده الإحسان ، وإنَّ مِثْلَ لسانه يُتَّقى ، فقال عمر : ردُّوه فَرُدَّ فقال له عمر : يا جرير إن عندي من مالي عشرين ديناراً وأربعة أثواب فأقاسمك ذلك . فقال : بل تُوَفَّر يا أمير المؤمنين وتُحْمَدُ .

فلما خرج تلقاه الناس فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : خرجتُ من عند رجل يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإني له لحامد . ولم يَذْكُرْه بسوء . وقال فيه حين مات :

---

١ ـ ديوان جرير ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

فالشمسَ كاسِفَةٌ لَيْسَتْ بِطَالِعَةٍ تُبْكي عليكَ نجومَ الليل والقمرا[1]

المدائني عن عَوانة قال : كتب صالح بن عبد الرحمن وصاحبٌ له إلى عمر بن عبد العزيز وكان يلي الخراج بالعراق : «إنه لا يُصْلِح الناس إلّا السيف» فغضب عمر وقال : أما تعجبون لربذتين من الربذ[2] ، خبيثين من الخبث يعرّضان لي بدماء المسلمين ، مامن الناس أحد إلّا ودماؤكما أهْوَن عليّ من دمه .

المدائني قال : كتب عمر إلى أهل البصرة كتاباً ذكر فيه يزيد بن المهلب فقال : «إنه لم يكن من أئمة الهدى ، ولا الأعوان على التقوى» .

المدائني قال : أتى رجل من آل قتيبة عمر بن عبد العزيز فَوَقَعَ في يزيد بن المهلّب عنده وتظلّم وهو ساكت ، ثم قَذَفَه فقال عمر : أخرج مما قلتَ فلم يخرج ؛ فأمر سليمان بن حبيب فَحَدَّهُ .

المدائني قال : حبس عمرُ يزيدَ بن المهلّب فقيل له : إنه شريف له موضع . فقال : إنه صاحب فَتْكٍ ، وليس له خير من السجن .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن مروان بن مَعَاوية عن عيسى بن المُغِيْرة عن مُزَاحِم بن زُفَر قال : كنا بَسَمْرقَنْد وعليها محمد بن المهلب فخرج علينا شار يوم جمعة وضرب رجلاً من بني عجل بالسيف فأُخِذ . ودعا محمد بن الضّحاكَ ابن مزاحم صاحب التفسير فسأله عن أمره فقال : أرى أن تحبسه حتى تنظر ما حال المضروب . فحبسه وكتب إلى

١ - ديوان جرير ص ٢٣٥ .

٢ - الربذة : رجل لا خير فيه . وخرقة الحائض وخرقة يجلو بها الصائغ الحلى . القاموس .

يزيد بن المهلب ، فكتب به إلى سليمان بن عبد الملك فوافاه الكتاب وقد مات سليمان ، وَوُلِيَ عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر : «أما بعد فانظُر فان كان المضروب مات من ضربة الحروري فادفعه إلى أوليائه ليقتلوه ، وإن كان قد برىء فأقِصَّهُ منه ثم احبسه في محبس قريب من أهله حتى يتوب من هواه الخبيث الذي خرج عليه أو يموت» .

قالوا : وأشرف سليمان في حجته من عقبة قُدَيْدٍ ، فنظر إلى عسكره ، فأعجبه ما رأى من كثرة سواده ، فقال : كيف ترى يا أبا حفص ؟. فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً ، أنت المبتلى بها والمسؤول عنها .

ونَعَبَ غراب فقال : ما تراه يا أبا حفص يقول ؟. قال : لا أدري وإن شئتَ قلتُ لكَ .

المدائني قال : مرض عمر بن عبد العزيز فقال مَسْلَمَة : آتيك بمائة ألف درهم تتصدق بها ؟ قال : أفلا تصنع خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : تردّها إلى حيث أخذتها منه فإنه خير لك .

المدائني قال : قال مسلمة لعمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين أما تَمَلُّ الخلّ والزيت ؟ قال : إذا مللتها تركتهما حتى اشتهيتهما .

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد قال : دخل بعضهم على عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة فقال : من تكن الخلافة زُيِّنَتْهُ فإنك زيَّنْتَهَا ، وإنك لكما قال الشاعر :

وتَزِيْدِيْن طَيِّب الطيِّبِ طيْباً ... إنْ تَمَسِّيْـهِ أيْنَ مِثْلَكِ أيْنَـا
فإذا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُـوهٍ ... كان للدُّرِّ حُسْنَ وَجْهِكَ زَيْنَا

قال : دعني فأنا أعلم بنفسي وذنوني ، إني إلى عفو الله عني أَحْوَجُ مني إلى تقريظك أياي .

قال: وقال الوليد : أثنى قوم على عمر فقال لهم : يا هؤلاء دعونا من ثنائكم وأَمِدُّونا بدعائكم .

حدثني أبو بكر الأَعْيَنَ عن السهمي عن أبيه وغيره أن عَديّ بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في عذاب قوم من عمال الخراج بلحوا[1] في يديه وامتنعوا من أداء ما عليهم ، فكتب إليه : «أما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر ، كأني جُنَّةٌ لك من عذاب الله ، أو كأنّ رضائي ينجيك من سَخَطِ الله ، فَمَنْ أعطاك ما قِبَلَهُ عفواً فاقْبَله ، ومَنْ قامت عليه البَيِّنة فَخُذْه بما ثبتَ بالبينة عليه ، ومَنْ أنكَرَ فاستحلِفْه ، فوالله لأَنْ يَلقوا الله بجناياتهم أَحَبُّ إلي من أن ألقاه بعذابهم ، والسلام» .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا سعيد بن عامر عن عون بن المعَمِّر قال : كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز : «أما بعد فكأنك بآخر من كُتب عليه الموت قد مات» ، فكتب إليه عمر : «أما بعد فكأنك بالدنيا وكأنها لم تكُن ، وكأنك بالآخرة وكأنها لم تَزَلْ ، والسلام» .

حدثني أبو أيوب الرقّي المعلّم عن النُّفيلي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله الحَكَمي : «أما بعد فكأنك بالدنيا وكأنها لم

١ - بلح : أعيا . القاموس .

تكُن ، وكأنك بالآخرة وكأنها لم تَزَل ، واعلم أنّ من علِمَ أنّ كلاَمه من عمله أقلَّ كلامَه إلا فيما يعنيه وينفعه .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن المبارك بن سعيد عن أبي حمزة الثّمالي قال : أطرى ابن الأهتم بني أمية ، وأفرط في مدحهم فقال عمر : من سرَّهُ أن ينظر إلى الأفاك الأثيم فلينظر إلى ابن الأهتم .

فلما استُخلف قال : لا يدخل علي ابن الأهتم ولا خالد بن عبدالله القسري فإنهما مقْولاَن ، وإنّ مِنَ البيان ما فيه سحر .

حدثني عبدالله بن صالح عن زهير بن معاوية أن عمر بن عبد العزيز عزل بعض قضاته ، فلما قدم عليه قال : يا أمير المؤمني لم عزلتني ؟ قال : لأنَّ كلامك أكثر من كلام الخصمين إذا تحاكما إليك .

وقال هشام بن عمار : قال هَمّام بن مَصَاد : دخلتُ على عمر ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا بن مصاد إنّ في الجسد مُضْغَةً إليها يأوي خَيرُه وشرَّه فأصلحوا قلوبكم تصلحُ أعمالكم .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله : «أُنزِل رعيتك بمنزلة ولدك ، فوقّر كبيرهم ، وارحم صغيرهم ، وقَوِّم ناشئهم» .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا عبدالله بن صالح عن الليث بن سعد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبدالله الحكمي : «أما بعد : فَدَع من الحلال ما يكون حاجزاً بينك وبين الحرام ، فإنّ مَنْ استوعب الحلال كُله تاقت إلى الحرام نفسُه ، وعليك بالقَصْد فإن الإسراف من عمل الشيطان ، والسلام» .

حدثني محمد بن الأعرابي عن الأباني قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن كَعْب القَرَظِي ، ورجاء بن حَيْوة الكِنْدي ، فقال : قد وُليت هذا الأمر وابتليت به فأشيروا علي ، فقال سالم : اجعل الناس ثلاثة أصناف أباً ، وأخاً ، وابناً . فَبُرَّ إباك ، وَصِلْ أخاك ، وارحَمْ ابنك . وقال محمد بن كعب : اجعل الدنيا يوماً صُمْتَهُ عن لَذَّاتِكَ ، فكأن فطرك عليه الموت . وقال رجاء بن حيوة : أَحِبَّ للناس ما تحبه لنفسك ، وأكره ما تكرهه لنفسك ، واعلم أنك أول خليفة يموت .

وحدثني عبدالله بن صالح بن مسلم العجلي عن يحيى بن يَمَان عن سفيان قال : بلغنا أن محمد بن يوسف أخا الحجاج ضربَ على أهل اليمن خرجاً جعله وظيفة أُخصَبُوا أو أُجْدَبُوا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إليه عامله يعلمه ذلك فكتب : «ألغْ تلك الوظيفة ، واقتصر بالناس على عُشْر ما سُقي سَيحاً أو سقته السماء ونصف عشر ما سُقي بالغرب والسواني[1] ، فوالله لأَنْ لا يأتيني من اليمن حَفْنَة كَتَمٍ أَحَبّ إلي من إقرار هذه الوظيفة» . فلما ولي يزيد بن عبد الملك أمر بِرَدِّها .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : لما ولي محمد بن يوسف اليمن أساءالسيرة ، وظلم الرعية وضرب على أهل اليمن خراجاً جعله وظيفة عليهم ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العُشْرِ والصدقة ، وقال : «والله لأَنْ لا يأتيني من

---

١ ـ الغَرَب : الراوية والدلو العظيمة والسانية : الغرب وأداته والناقة يسقى عليها .

اليمن حفنة كتم أحبّ إليّ من اقرار هذه الضريبة» . فلما ولي يزيد أَمَر بِرَدِّهَا وكتب إلى عروة بن محمد : إنّ ابن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك فَأَعدْ على أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أمر بإسقاطها ، ولو صار أهلها حرضا[1] .

المدائني قال : دخل على عمر بن عبد العزيز سالم السندي ، وكان من خاصته ، فقال له : أَسَرَّك ما وُلّيتُ أم ساءكَ ؟ قال : سرني للناس وساءني لك . قال : إني أتخوف أن أكون قد أَوْبَقْتُ نفسي ، قال : ما أحسنَ حالك إنْ كنتَ تخاف ، إنما أخاف عليك ألا تخاف . قال : عِظني . قال : إنّ آدم أُخرج من الجنة بخطيئة ، فَتَدَبَّر أمركَ ، واحفظ نفسك .

قال : وقال عمر لمحمد بن كعب : عظني . فقال : لا أرضى نفسي لموعظتك لأني لأصلي بين الفقير والغني فَأَمِيْلُ إلى الغني ، ويدخل الفقير والغني عليّ فأُوْسِعُ للغني . فقال عمر : فاستغفر الله . وبكى .

المدائني عن سحيم بن سفيان قال : ولَّى عمر بن عبد العزيز أيام توليته المدينة للوليد بن عبد الملك رجلًا يقال له راشد ، ويكنى أبا علي، الربذة فضرب رجلاً من بني أسد يقال له بَعْثَر ، فركب إلى عمر وأنشأ يقول :

أقولُ لراشدٍ أَمْسِكْ كِتـابي وخَلِّ لناقَتي عَنْـكَ السَّبِيلا
ستُجمعُ بالمدينة وابنَ ليـلى وحكمتُهُ التي تَشْفي الغَليلا

وأتى عمر فشكا إليه فبعث إلى راشد ثم قال لبعثر : اضربه كما ضربك ، فضربه ثم أتى راشد بإهاب فلبسه فقال بعثر :

---

١ ـ أي حتى لو أشرفوا على الهلاك وطال همهم وسقمهم . القاموس .

رأيتُ أخا الصَّفَاءِ أَبَا عليٍّ يُعاتِبُني وَيَدَّرِعُ الإِهَابا
يقولُ ظلمتِني وأقولُ كُلٌّ أصابَ إلىٰ أخيهِ ما أَصَابا

وحدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عمن سمع عمر بن عبد العزيز يقول : ما كذبتُ مذ عرفتُ أنْ الكذب يضرّ بأهله .

وقال أبو اليقظان : ثنا جويرية بن أسماء عن اسماعيل بن أبي حكيم كاتب عمر بن عبد العزيز ، وهو مولىٰ لآل الزبير قال : ما كتبتُ له قطّ في أكثر من شبر حتى خرج من الدنيا .

وقال أبو اليقظان : لما قدم عمر المدينة والياً عليها ، دخلتْ عليه قريش ، فقال أبان بن عثمان بن عفان : قد أتاكم أمير مضطلع بأمره .

وقال أبو اليقظان ، ثنا جويرية بن أسماء عن اسماعيل قال : قال عمر : ما تركتُ من الدنيا شيئاً تتوق إليه نفسي إلاّ البراذين فإني كنتُ أجد لها تحت ذي وطاءً لا أجده لغيرها من المراكب .

حدثنا محمد بن مُصَفًّىٰ الحمصي عن أبيه قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز كتب إليه سابق البربري أو أنشده :

باسْمِ الذي أُنْزِلَتْ مِنْ عِنْدِهِ السُّوَرُ والحمدُ لله أمَّا بَعْدُ يا عُمَرُ
إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما تأتي وما تَذَرُ فَكُنْ عَلىٰ حَذَرٍ قَدْ يَنْفَعُ الحَذَرُ
واصبِرْ على القَدَرِ المجلوبِ وَارْضَ بِهِ وإنْ أتاكَ بِمَا لَا تَشْتَهِى القَدَرُ
فَمَا صَفَا لِامْرِىءٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ إلاَّ سَيَتْبَع يوماً صَفْوَه كَدَرُ

في أبيات .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدِي : إياك والمزاح ، فإنه يذهب بالمروءة ، وَيُنْبِتُ الضغائن . وقال عمر بن عبد العزيز : قال عمر بن الخطاب : الرأي كثير والحزم قليل .

وقال أبو اليقظان عن جويرية : غضب عمر بن عبد العزيز فقال ابنه عبد الملك : أتغضب في قَدْرِك وموضعك الذي وضعك الله به ؟ فقال : أو ما تغضب أنت يا عبد الملك ؟ فقال : فما ينفعني سعة جوفي إذا أنا لم أردد الغضب فيه حتى يسكن . فتبسم عمر .

فلما حضرت عبد الملك بن عمر الوفاة قال له عمر : كيف تجدُك يا بني ؟ قال : أجدني في الموت فَاتّقِ الله يا أبه واصْبِرْ . فقال : يا بني ما خلق الله عيناً تطرف أُحبُّ إليّ ولا أعزّ عليّ منك ، ولأَنْ تكونَ في ميزاني أُحبُّ إليّ مِنْ أَنْ أكونَ في ميزانكَ .

فقال : يا أبه . ولأَنْ يكونَ ما تُحب أَحبّ إليّ مِن أنْ يكون ما أُحب .

فمات يوم خميس ، فخرج عمر في جنازته وقد اكتحل وسرّح لحيته وقال : أحببتُ أن أرغم الشيطان . وقال : الذي نزل بعبد الملك أمرٌ كنا نتوقعه ، فلما أتى لم ننكره .

وقال كثير :

وَحضّ الذي وَلّىٰ علىٰ البرِّ والتُّقَىٰ ... وَلَمْ يَهْمُمُ البَاقِي بِأَنْ يَتَخَشَّعَا
ولو نزلتْ مِثلَ الذي نزلتْ به ... بِرُكْنٍ شَدِيْد مِنْ أَجَأ لَتَصَدَّعَا
فأصبحتَ كالمُبْقِي لَهُ بَعْضَ نَفْسِهِ ... عياضاً وبَعْضٌ قَدْ تَوَلَّىٰ فَوَدَّعَا[1]

---

١ ـ ديوان كثير ص ١١٣ ، وفيه البيتين الأول والثاني فقط .

فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر فقال : الحمد لله على ما أعطىٰ والحمد لله على ما بَقّىٰ ، والحمد لله على ما أخذ . ثم كتب إلى جميع عُمّاله : عَدي بن أرطاة الفَزاري وغيره : «إن الله وهَبَ عبد الملك بن عمر فَمَتَّعَني به ما شاء أن يمتعني به ، ثم قبضه إليه ، فأعوذ بالله أن تكونَ لي مشيئة في غير ما أَحَبَّ الله ، فإذا جاءك كتابي هذا فلا أُعَلَمّن ما بُكي عليه قِبَلَكَ ، وأكثِرْ من الاستغفار له إن شاء الله ، والسلام» .

وقال سحيم بن حفص : قام عمر على قبر ابنه حين دفنه فقال : رحمك الله إن كنت لتسرني حياً فَأَنا بِكَ اليوم أَسَرّ ، فرحم الله من قال : رحمك الله يا عبد الملك .

المدائني عن سحيم أن عبد الملك قال لعمر أبيه : يا أبه لعله يمنعك أن تقوم بالحق مخافة هؤلاء ـ يعني بني مروان ـ فوالله لَوَددتُ أن القدور تغلي بنا وبهم . فقال : يا بُنيّ صبراً فإن الخمر كانت محّرمة عند الله ، فأنزل فيها آيتين قبل أن ينزل تحريمها .

وقال أبو اليقظان : بلغ عمر عن ابنه عبد الملك أَمْرٌ كَرِهَه فكتب إليه : «بلغني عنك بعض ما أكره ، ولو كنتُ تقدمت إليك فيه لأتاكَ مني ما تكرهه ، واذكر أنّ أباك كان عند أبيه مُطَّرحاً يفضّل عليه الكبير ويؤْثر عليه الصغير ، واذكر أن أمك كانت أَمَةً من الأعاجم وليستْ من خِيارهم ، فلئن عدتَ ليأتينّك مني ما لا تحب إن شاء الله» .

وقال عمر بن عبد العزيز : إنه لا عمل لمن لا نِيّةَ له ، ولا أَجْرَ لمن لا خشية له ، وإنّ أَيْمَنَ أحدكم وأَشْأَمَهُ لسانُه ، فمن حفظ لسانه أراح نفسه وسلم المسلمون منه ، وإنّ قوماً صحبوا سلاطينهم بغير ما يحق عليهم فعاشوا

بخلافهم وأكلوا بألسنتهم وخلبوا الأمة بالمكر والخيانة والخديعة ، ألا إنّ كل ذلك في النار ، ألا فلا يقربنا من اولئك أحدٌ لاسيما خالد بن صفوان وخالد بن عبدالله .

المدائني قال : قال عمر بن عبد العزيز لمعلمه : كيف كانت طاعتي لك وأنت تعلمني ؟ قال : أحسن طاعة . قال : فقد ينبغي أن تطيعني كما كنت أطيعك ، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ، وخذ من قميصك حتى تبدو عقباك .

حدثني عبد الواحد بن غياث البصري عن جويرية بن أسماء قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزْم إلى عمر ثلاثة كتب فأجابه عنها في كتاب واحد إليه : «إن من كان قبلي من أمراء المدينة كانت تجري عليهم أرزاق للشمع ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجريها لي فليفعل» .

وكتب إليه : «إن مسجد بني عدي بن النجار ، أخوال رسول الله ﷺ قد استهدم فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر ببنائه فليفعل» .

وكتب إليه إن قوماً من الأنصار قد بلغوا أسناناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر بإثباتهم في شرف العطاء فليفعل» .
فافتض عمر كتبه ثم كتب: «أمّا مَا ذكرتَ من أمرَ الشمع فطالما مشيت في طرق المدينة في الليلة الظلماء ، وأنت لا يُمشىٰ بين يديك بشمع ، ولا يمشي خلفك رجال قريش والأنصار .

وأما مسجد بني عدي فقد كنت أحب أن أخرج من الدنيا ولم أضع لبنة على لبنة ولا آجرّة على آجرّه ، فابنه واقتصد في النفقة .

وأما ما ذكرت من أمر الرجال الذين بلغوا سناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف ، فإنما الشرف شرف الآخرة ، والسلام» .

المدائني عن مسلمة أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر : «إن قوماً من أهل الذمة تعوذوا بالإسلام مخافة الجزية ، فليكتب إليَّ أمير المؤمنين فيهم برأيه» ؟

فكتب إليه : «إنّ الله بعث نبيه ﷺ داعياً ولم يبعثه جابياً فمن دخل في المسلمين فله مالهم وعليه ما عليهم ، فانظر من كَان مِن أهل الذمّة فأظهر الإسلام واختتن وقرأ سُوَراً من القرآن ، فأسقط الجزية عنه إن شاء الله والسلام» .

المدائني وغيره قالوا : كتب عمر إلى عدي : «أما بعد فما بقاء الدين مع وسوسة الشيطان ، وجفوة السلطان ، فأعط كل ذي حقّ حقه والسلام» .

حدثني اسماعيل بن أبي زيد الأنطاكي ، أخو ثمامة الكاتب ، قال : حدثني شيخ لنا قال : أصابت الناس زلزلة ، فكتب عمر : أما بعد فإن الله ذو قدرة غالبة وعزّ قاهر ، يعفو عمَّن يشاء ، ويؤاخذ من أراد ، وإن هذه الرجفة عتاب من الله لخلقه ، فاعتبوه بطاعته ، وخافوا عقابه ، فإنه يقول : ﴿أَفأَمِنَ أهل القرىٰ أن يأتيهم بَأْسنَا بَياتاً وهم نائمون * أو أَمِنَ أهل القرىٰ أن يأتيهم بأسنا ضحىٰ وهم يلعبون * أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[1] .

---

١ ـ سورة الأعراف ـ الآيات : ٩٧ ـ ٩٩ .

وحدثنا الحسين بن علي الأسود العِجْلي عن يحيى بن آدم عن فضيل بن عياض قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد فإن الله سبحانه وبحمده إنما جعل الجزية على من رغب عن الإسلام غَيّاً وخسرانا ، فانظر من كان قِبلك من أهل الذمة ممن كبرت سنه ، وضعفت قوته ، وَوَلَّتْ محاسِنه فأَجْرِ عليه قُوْتَه من بيت مال المسلمين والسلام» .

حدثني الحسين عن يحيى بن آدم عن عبدالله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «من غلب الماءَ على شيء فَهُوَ لَهُ»[1] .

حدثني الحسين بن علي الأسود ، ثنا محمد بن يزيد العَقْدي عن محمد بن طلحة عن داود بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «أما بعد فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة ، وجور في الأحكام ، وسننٌ سنها عليهم عمال السوء ، وإن قوام الدين ، وصلاح الرعية العدل والإحسان ، فلا يكونَنْ شيء أهمّ إليك من نفسك حتى توطنها بطاعة الله ، وأنا آمرك أن توظف عليهم خراجهم ولا تحمل خراباً على عامر ، ولا عامر على خراب ، وخذ من الخراب ما أطاقَ وأصلحه حتى يعمر ، ولا تأخذ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسهيل من غير عنف وإرهاق لأهل الأرض ولا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ليس فيها آيين[2] ، ولا أُجُوْرُ الصرافين ، ولا هدايا النوروز والمهرجان ، ولا دراهم

١ - الخراج ليحيى بن آدم ص ٩٢ .

٢ - الآيين : الرسم أو العادة ، أو الدأب ، أو المتداول أو التشريفات . المعجم الذهبي ، فارسي عربي .

النكاح ، ولا ثمن الصحف ، ولا أجر البيوت ، ولا أجور الفيوج[1] ، ولا خراج من أسلم من أهل الذمة ، ولا تعجل دوني بقتلٍ ولا قطعٍ ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى العمال : «أما بعد : فإنه كان في الناس من أهل هذا الشراب أمر ساءت فيه رعيتهم حتى بلغت بهم إصابة الدم الحرام ، والمال الحرام ، والفرج الحرام ، وهم يقولون : شربنا شراباً لا بأس به ، وإنّ شراباً حُمل على هذه المحارم لعظيم البلاء كثير الإثم ، وقد جعل الله المندوحة والسعة في أشربة ليس في الأنفس منها حاكة[2] ، ولا ريب الماء الفرات واللبن العذب والعسل الماذي والسويق ، وفي أشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب المنبوذ في أسقية الأدم التي لازفت فيها ، فإنه بلغني عن رسول الله ﷺ أنه نهىٰ عن نبيذ الظروف المزفتة وعن الدباء والحنتم ، وقيل كل مُسْكِرٍ حرام ، فاستغنوا بما أحلَّ الله عما حرَّم ، فإنه من شرب بعد تَقَدُّمِنا إليه من هذه الأشربة المكروهة أوجعناه عقوبةً ، ومن استخفىٰ عنا فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً ، وقد أردتُ بكتابي إليكم اتخاذ الحجة عليكم في اليوم وما بعده ، نسأل الله أن يزيد المهتدي منا ومنكم هدىً وأن يقبل بالمسيءِ منا ومنكم إلى التوبة في يسر منه وعافية ، والسلام» .

المدائني عن خالد بن يزيد عن أبيه قال : أغلظ رجل لعمر بن عبد العزيز فأمر بتجريده ثم قال : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾[3] خلّوا سبيله .

١ ـ الفيوج : الرسل .
٢ ـ أي شك . القاموس .
٣ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٣٤ .

المدائني قال : أبلغ رجل عمر كلاماً عن رجل غاظه فَهَمَّ بعقوبته ثم قال : أردتُ أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منه اليوم ما ينال مني في مثله غداً ، خلوا سبيله .

المدائني عن المبارك بن فضالة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد فإني كنت كتبت إلى عمرو بن عبدالله أن يقسم ما وجد بعُمان من عشور الحب والتمر في فقراء أهلها ، ومن سقط إليها من أهل البادية وإضافته إليها أهل الحاجة والمَسْكَنَة وانقطاع السُّبُل ، فكتب إليّ أنه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر فذكر أنه قد باعه وحمل إليك ثمنه ، فَارْدُدْ إلى عمرو ما كان عاملك حمل إليك من ثمن التمر والحب ليضعه في المواضع التي أمرته بوضعه فيها ، ويصرفه إليها إن شاء الله ، والسلام» .

المدائني قال : قدّم يزيد بن المهلب أخاه إلى خراسان فحبس وكيع بن أبي سود ، فبكى فقيل له : أتبكي يا أبا مطرف جزعاً من الحبس ؟ فقال : وددتُ أني ويزيد بن المهلّب ، وسليمان بن عبدالملك في النار فلعن الله أجزَعَنا ، ولكني أبكي لأنـي قتلتُ قتيبة ثم يعزلني ابن العبسية ، ويولي يزيد .

فلما ولي عمر بن عبدالعزيز بلغه ذلك فقال : لَوَكيعٌ على جَفائه خيرٌ من يزيد بن المهلب ، على أنه لا خير في واحد منهما .

قال المدائني : لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة وولى عدَي بن أرطاة الفزاري البصرة أراد أن يُنْشيء غرفاً فوق دار الإمارة ، فكتب إليه عمر :

«هَبلتْكَ أمك يا بن أم عدي ، أيعجز عنك منزل وسع زياداً وآل زياد» ؟ . فأمسكَ عدي .

حدثنا بسّام الجمّال عن حمّاد بن سَلَمَةَ عن أيوب أن قتيلاً وُجد بالبصرة في بني نمير فكتب فيه إلى سليمان بن عبدالملك ، فكتب إلى عامله «أنْ استحلفْ خمسين رجلاً على قاتله ، فإن حلفوا فَأَقِدْهُ» . فلم يَفْعَل حتى ولي عمر بن عبدالعزيز ، فكتب إلى عمر في أمره فكتب : «إنْ شهد على قاتله عَدلان فاقتله ، وإلا فلا تقتله» .

المدائني عن عُبَيْس بن بَيْهَس قال : جاء رجل من بني عُزير بن ثعلبة بن يربوع إلى عمر بن عبدالعزيز فقال : يا أمير المؤمنين اسقني سقاك الله . قال : أين ؟ . قال : بالخِرْنق[1] فإنه طريق لا يطؤه الناس ولا يتطرقونه .

فكتب عمر إلى عَدي بن أرطاة : «أما بعد : فإن رجلاً من بني ثعلبة بن يربوع يقال له فلان استحفرني بالخرنق فاحفره ، ومن جاءك من أسْوَد الناس وأبْيَضهم يستحفرك فأحفره ، واشترط أن ابن السبيل أول ريّان ، وأنّ حريم البئر طول رشائها ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى عدي : «أما بعد فاستوص بمن في سجون أرضك خيراً ، ولا تُصِيْبنّهم ضيعة ، وأقم لهم ما يصلحهم من الطعام والأدام من مال الصدقة إن شاء الله» .

---

١ ـ الخرنق : موضع بين مكة والبصرة . معجم البلدان .

وكتب إلى عدي : «أما بعد فما كان عندك من لقطة فحالَ عليها الحول فأخرِج ما يجب فيها من الصدقة فَضَعْهُ في أهل المسْكنة والحاجة ، ما كانت عندك ، حتى يجيء لها طالب ، وليكنْ ذلك شأنك وشأنها حتى يبقى منها ما لا تَجِبُ فيه الصدقة إنْ شاء الله ، والسلام» .

وكتب عمر إلى بعض عماله : «أما بعد فقد بلغني أن كثيراً ممن قِبَلَكَ من أهل الذمة قد لبسوا العمائم وتشبَّهوا بالمسلمين في زيّهم ، فامنعهم من ذلك أشدّ المنع ، وخُذْهم بأَنْ يحلقوا أوساط رؤوسهم ، إنْ شاء الله ، والسلام» .

المدائني قال : وعظ عمر بن عبدالعزيز قوماً من أهل بيته ، فقال مَسْلَمة : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فلقد أَلَنْتَ مِنّا قلوباً قاسية ، وأبكيتَ عيوناً جامدة ، وأحييتَ لنا في الصالحين شرفاً وذكراً .

المدائني قال : خطب عمر فقال : أيها الناس أصلحوا من سرائركم تصلُح علانيتكم ، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم ، فإنّ امرءاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيّ لَمُعْرَقٌ له في الموت .

شريح عن اسماعيل بن علية أنّ صالح بن عبدالرحمن بعث تَوْبَةَ العَنْبَري إلى سليمان في أمرٍ فقال : اذا فرغت من أمر سليمان فائْتِ عمر بن عبدالعزيز فاعْرِض عليه الحوائج . فلما أتى قال : عليك بتقوى الله وما يبقى لك عند الله فإن الذي يبقى لك عنده باقٍ عند الناس والذي لا يبقى لك عند الله غير باق لك عند الناس . فأبلَغَ ذلك صالحاً فقال : أسمعتم قطّ بكلامٍ أحسن من هذا ؟

المدائني عن موسى بن يزيد عن عَمِّهِ قال : قال هشام لرجاء بن حيوة : ألستَ صاحب عُمر يوم ناجَيْتَه في الدار وقد توفي سليمان ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما دعاني ولا ناجاني إلاّ في صرف الخلافة عنه . فقال هشام : رحم الله أبا حَفْص كان في أمر وكنا في غيره .

المدائني عن مَسْلَمَة بن مُحارب قال : قال مَسْلَمَة بن عبدالملك لعمر : ألا تُوصي ببنيك ؟ قال : أوصي بهم الذي نَزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

المدائني قال : قال عبدالملك بن مروان يوم احتضُر :

إنَّ بَـنِيَّ صِبْـيَـةٌ صِـغَـارُ   أَفْلَحَ مَنْ كـانَ لَـهُ كِبَـارُ
إنَّ بَـنِيَّ صِبْيَـةٌ صَيْـفِيُّـونْ   أَفْلَحَ مَنْ كـانَ لـهُ رَبْعِيُّـونْ

فقال عمر بن عبدالعزيز وكان عنده : ﴿أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ * وذكر اسم ربِّه فصَلَّىٰ﴾[1] .

قال : وكتب عمر إلى الناس : «أما بعد فإن صدقة الفطر سنة مؤكدة ، فأدّوا صدقة الفطر عن أهليكم : حُرِّهم ومملوكهم ، صغيرهم ، وكبيرهم ، وليكن ما تؤدون عن كل رأس صاعاً من شعير أو تمر ، أو نصف صاع من بُرّ ليقسم عاملكم ذلك في أهل المسكنة والحاجة من الحاضرة دون أهل البادية إن شاء الله ، والسلام» .

قالوا : وكتب عبدالحميد بن عبدالرحمن إلى عمر بن عبدالعزيز : «إنَّ قوماً من أهل الخراج كانوا إذا أرادوا كسر خراجهم جَلَوا من أرض إلى

---

١ ـ سورة الأعلى ـ الآيتان ـ ١٤ ـ ١٥ .

أخرى ، وإني أُمرتُ أن تُجعَلَ أرضَ من جَلاَ صافيةً ، وأرجوا أن يتركوا بذلك عادتهم إن شاء الله» .

فكتب إليه عمر : «أما بعد فقد بلغني كتابك ، ولعمري لئن لم تَدَعْ رجلاً خرج من أرض إلى أرض ومن قرية إلى قرية إلا أخذتَ أرضه ثم عُزلتَ أم مُتَّ لَيَنْقَطِعَنّ صاحبُ الأرض عنها وتبوء بإثمه ، وما يجلو رجل عن أرضه إلَّا بأنْ يُحَمَّلَ فوق طاقته ، فإياك أن تَعْمَلَ وعمالك بعمل ابن يوسف وعماله ، فإنهم كانوا مفسدين وقد قضى الله بأنه لا يصلح عمل المفسدين ، وَتَألَّفْ أهل الأرض فإن أرضيهم وبلادهم أُحبُّ إليهم من الجلاء إذا عُدِل عليهم ورُفِقَ بهم إن شاء الله والسلام» .

المدائني عن بَقِيَّة بن عبدالرحمن عن أبيه قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى بعض إخوانه : «أوصيك بتقوى الله الذي ابتدأك بإحسانه واحتج عليك بأنبيائه وبرهانه ، فإنك مُخْتَبَرٌ بما كلِّفت ، ومُرْتهنٌ بما عملت ، وكأنْ قد وافيتَ مضجعك ، وطالعتَ مرجعك ، واضمحلّت عنك الدنيا ، ثم بعثت يوم النشور ، ووقفت بين يدي الملك القدير ليجزيك بما كدحت ، ويسألك عما اجترحْتَ . فَاعمل بَدَنَكَ فيما ينجيك ، ودَعْ عنك ما لا يعنيك ، فإنّ الدنيا قد أدبرتْ ، وإنّ أمورها قد تكدرت ، وقد رأيتَ مِنْ تَقَلُّبِ أحوالها وتَصَرّف أمورها ما فيه معتبر وموعظة لمن أبصر ، أعاننا الله وإياك على تقواه ، وألهمنا وإياك رضاه ، تَعَاهدْني يا أخي بكتابك فإنّ الكتب من الإخوان تديم الودّ والعهد ، وتدعو إلى التواصل والتناصح ، ولاقوة إلا بالله» . وقال بعضهم : إنَّ الرجل كتب إلى عمر بهذا الكتاب .

وقال محمد بن مصفى الحمصي : كتب عمر إلى الجَرَّاحِ الحَكَمِي أوْ غيره من عماله : «أما بعد ، فإذا قدرتَ على عقوبة العباد ، فاذكر قدرة الله عليك ، فاعْفُ له ما لم يكن في العفو مفسدة في الدين واستخراج من القوم المذنبين ، فإنك بالله تُعزّ ، وإليه ترجع» .

المدائني قال : كتب عمر إلى أبي أُمَامَةَ الحمصي يعزيه بابن له استشهد : «أما بعد : فالحمد لله على آلائِهِ وقضائِهِ ، وقد بلغني الذي ساق الله إلى عبدالله بن أبي أُمامَةَ من الشهادة ، فقد عاش في الدنيا مأموناً وأفضى إلى الآخرة شهيداً ، فقد فاز بما خصّ الله به الشهداء من الفضيلة والكرامة ، فليس شيء نعلمه وإن عظُم خطره وجَلَّ ثوابه أعظم عند الله تبارك وتعالى وعند عباده الذين أوتوا العلم والفهم من الشهادة ، فَمَن خصّه الله بها فقد أفلح وأنجح وربح ، ووسمه الله سِمة الأبرار ، فهو في جوار الله وتحت عرشه قد انقطعت عنه مرارة الدنيا وعلاجها ، وصار إلى عيش الآخرة وحبورها ، نسأل الله الذي بيده نَواصي العباد أن يرزقنا وإياكم الشهادة والسعادة بِقُدْرَتِهِ والسلام» .

حدثنا عمرو الناقد وأبو عبيدالقاسم بن سلام قالا : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، أنبأنا سفيان بن حسين أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز كتب إليه فترك نقط سين «بسم الله» وتَبْيِيْنَها ، فأشخصه إليه فقال الناس : فِيْمَ أُشخص فلان ؟ فقيل : أُشخص في سين ، فعلقها الناس .

المدائني عن مَسْلَمة قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله : «أما بعد فإن الصلاة أحقّ ما تَعهدّه المرء من نفسه ، ومَن ولاّه الله أمره . فأقيموا الصلاة في بيوتكم ومساجدكم لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها ، وترتيل

ما تقرأون من القرآن فيها ، فإن الله جعلها ﴿على المؤمنين كتاباً موقوتا [١]﴾ ، وتعهدوا الناس في الزكاة وحضّوهم عليها ، فإن من أدَّاها أُجِرَ ، ومن استخف بحقها وبَذَرَ كانت حجة عليه ، نسأل الله أن يجعلنا مطيعين له مجتهدين في مرضاته ، والسلام» .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد فقد أتاني كتابك تسأل عن القضاء بين الناس ، والقضاء بين الناس باتباع ما في كتاب الله ، ثم ما جاء عن رسول الله ﷺ ، ثم ما حكم به أئمة الهدى ، ثم استشارة ذوي الرأي والعلم ، فما أتاك من الحكم فلم تجده في الكتاب نصاً ، ولا في السُّنة رواية ، ولا أخبرك به مخبر عن الأئمة الأبرار ، فَسَلْ عنه أهل العفة والمعرفة ، ثم احكمُ بالعدل ، ولا تُؤثر أحداً على أحد ، إن شاء الله .

وسألت عن ميراث رجل وهَبَ ولاءَه أو باعه غير مُسْتَكْرَهٍ فإنّ الولاء لمن أَعتَقَ ، لا يباع ولا يوهَب ، وقد أوصى رسول الله ﷺ أنّ الولاء لمن أعتَقَ .

وسألتَ عن الكافر يُعتقه المسلم فهو مولى للمسلم ، وميراثه راجع الى بيت المال ، لأنه لا يتوارث أهل ملَّتَيْنِ ، ويَعقِلُ عنه إذا جَنى من مال الله .

وسألتَ عن المرأة ترمي الرجلَ بنفسها أو يوجد معـها وليس معهما أحد سواهما ، والرجل جاحد وقد اتّهم وأُظِن ، وان الحدود لا تقام إلا بالبينات أو الاعتراف ، فاجلد من أخذته على ذلك جَلد النكال على غير حدّ ، ولا تُقِم الحدود بالتُّهم فإنها تُدرأ بالشبهات ، وما ستر الله عباده فاسترهم

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٠٣ .

به ، واعلم أنك متمسك بالعدل ما أزلتَ الشكَ بالبَيِّنَةِ ، والشهود والعدول ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى عَدي بن أرطاة : «أما بعد : فَاحْصِ أهل المسكنة بالبصرة ، واكتب اليّ بِعُدَّتهم إن شاء الله» . فأحصاهم فبلغوا ثلاثين ألفاً وتسعمائة وخمسة عشر إنساناً ، فكتب إلى عَدي يأمره أنْ يعطي كل إنسان جريباً في كل شهر من طعام كَسْكَر والسَّوَاد إذا قُدم عليه بالطعام» .

قال : وجَّه عمر جيشاً إلى الروم فمشى معهم ثم ودعهم وقال : اتقوا الله وقاتلوا أعداءه ابتغاء ثواب الآخرة ، فإنّ الأجر للصابرين ﴿في البأساء والضرّاء وحين البأس﴾ [1] .

وحدثني أبو عبيدالقاسم بن سلام قال : بلغنا عن عمر بن عبدالعزيز أنه قال : التُّقَى مُفْحِمٌ مُلجِمْ .

حدثنا سعيد بن سليمان عن المبارك بن فَضَالة قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عامل له : «أمِتْ كلَّ بدعة ، وَأَحْيِ كل سُنَّة من سنن الإسلام ، وشريعة من شرائعه ، ولا تأخذنك في الله لومة لائم» .

المدائني عن المبارك بن سلام عن مُجَالِد أنّ عاملاً لعمر بن عبدالعزيز كتب إليه يستأذنه في عذاب العمال ، والبَسْطَ عليهم ، ويذكر مقاسمة عمر بن الخطاب عماله ، فكتب إليه : «قد فهمتُ كتابك ولم تعلمني عن مقاسمة عمر عماله شيئاً إلا وقد علمته ، ولعمري لَغَيْر ما استأمَرْتَني فيه من أمر العمال أجمل في عاجل الأمر ، وأسرع في دَرْكِ البُغية مما كان ابن يوسف

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٧٧ .

وابن أبي مسلم ، وصالح بن عبدالرحمن يفعلونه من العذاب بالجوامع ، والمحبس الضَّنْك ، وسوء المطعم والمشرب ، وغلظ الملبس ، وَفُرَّ من ذلك أشد الفرار ، وانظر من كان في السجون في وثاقٍ أو في مطعم سوءٍ ومشرب سوءٍ ، فنَفِّس عنهم وأطلقهم ، وأحسِن أُسارَ من أسرتَ ، وليس رأيي في العمال إلا محاسبتهم فيما وُلّوا فمن أدركنا عليه حقاً أخذناه به ، ومن لم ندركه عليه خلينا سبيله حتى يحكم الله فينا وفيهم بما شاء والسلام» .

وقالوا : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى بعض عماله : «كتبتَ تسأل عن الرجل من الموالي يكون له ذَوُو رحم لهم عَدَدٌ ، وله مالٌ يرثونه دون مواليه فيحدث حدثاً ، أيكون عقله عليهم دون مواليه ، وان الموالي لا يحملون العقل ، والموالي ثلاثة : مولىً رحم ، ومولى عتاقة يورِثُ ولا يَرِثُ ومولى عقل لا يرث ولا يورِثُ وميراثه لعصبة رحمه» .

حدثنا عفان بن مسلم ، ثنا جرير بن حازم قال : قرأت كتاب عمر إلى عَدي : «أما بعد فقد بلغني كتابك تسأل عن شهادة الأربع النسوة المرضيات أتجيزها أم لا ، وكتبت تسأل عن العبد يقذف الحر ، وذكرت أنه بلغك أني كنت أضربه في عملي على المدينة أربعين جلدة ، ثم جلدته في آخر عملي ثمانين ، وإنّ جلدي الأول كان رأياً رأيتُه ، وإنَّ جلدي الآخر وافق ما في كتاب الله لأنّ الله يقول : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده﴾[1] لم يُسَمّ فيها حراً ولا مملوكاً ، فاجلده ثمانين .

١ ـ سورة النور ـ الآية : ٤ .

فأما شهادة النسوة الأربع فإني لم أسمع في الكتاب بشهادة خَلُصتْ فيها نساء إلا ومعهنّ رجل فَانْتَهِ من الأمر إلى ما تعرف ، ودعْ ما تنكر ، واعلم أنّ أحداً لا يستطيع إنفاذ حقوق الناس بينهم حتى لا يبقى منها شيء ، ولا بد من أن تستأخر قضايا كثيرة إلى يوم الحساب ، والسلام» .

حدثني عمر بن شبه ، ثنا عمرو بن عاصم عن حماد بن سلمة عن حميد أن رجلاً اختلس طوقاً من عنق جارية فارتفعوا إلى عدي بن أرطاة ، فسأل عدي الحسن[1] فقال: لا تقطعه. وقال إياس بن معاوية بن قُرَّة: اقطعه. فكتب عدي بذلك إلى عمر بن عبد العزيز ، فكتب عمر : «إن العرب كانت تُسمِّي هذا : العادي ، فاجلده ، واستودعه الحبس» .

حدثني خلف بن هشام البزّار ، ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النُّجود أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر : «إني أخذت رجلاً يسبّك فهممت بقتله، ورفع إليّ رجل قتل في السوق فاتّهم به فسّاق من فساق أهل البصرة ، ولم تَقُم عليهم البيّنة» ؟

فكتب إليه : «أنظر القتيل فدِهِ من بيت مال المسلمين ، وانظر الفساق فاحبسهم عن المسلمين ، وأنفق عليهم من بيت المال ، وانظر الذي سبَّني فَسُبَّه ، وإلا فخلِّ سبيله ، فوالله لو كنت قتلته لقتلتك به» .

حدثني منصور بن مزاحم عن شعيب بن صفوان قال : استبطأ عمر بن عبد العزيز عدياً في بعض الأمر ، فكتب إليه : «إنك غررتني يا بن ام عدي بعمامتك السوداء» .

المدائني عن عبد الله بن سَلْم أن عدي بن أرطاة خطب فشتم علياً

---

١ - الحسن البصري .

ولعنه ، فكتب الحسن[1] بذلك إلى عمر فكتب عمر إلى عدي : «بلغني عنك أنك شتمت علياً ولعنته ، ولبئس الرجل أنت ، إن فعلت ذلك ، وأقدمت عليه ، فقبَّحك الله وتَرحك ، وأنا أقسم لئن عدت لمثلها لأنهكنَّك عقوبة ، ثم لأُسيئَنَّ عزلك» . فأمسك عدي . فقال الشاعر :

وليْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيَّاً وَلَمْ تُخِفْ بريئاً ولم تقبل مقالة مُجْرِمِ

حدثني أبو بكر الأعين عن سعيد بن سليمان عن خَلَف بن خليفة عن أبي هاشم الرُمَّاني قال : كتب عدي بن أرطاة إلى عمر : «إن الناس أصابوا خصباً وخيراً كادوا يبطرون له» ، فكتب إليه عمر : «إن الله رضي من أهل الجنة حين دخلوها بأن قالوا : الحمد لله رب العالمين ، فَمُرْ من قبلكَ أن يحمدوا الله على ما آتاهم إن شاء الله والسلام» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي : «أن سَلِ الحسن : ما بال نصارى العرب لا يؤخذ منهم الجزية» ؟ فسأله فقال : اكتب إليه : «إنك متَّبع ولستُ بمبتَدع ، إن عمر رأى في ذلك صلاحاً» .

حدثني عمرو الناقد ، ثنا إسحاق الأزرق عن عوف قال : كتب عمر إلى عدي : «أنْ سَلِ الحسن : ما منَع مَن مضى من الأئمة أن يحولوا بين المجوس وبين ما يجمعون من النساء» ؟ فسأله فأخبره : «إن النبي ﷺ قبل الجزية من مجوس هَجر ، وأقرهم على مجوسيتهم ومناكحهم ، وأقرهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، رضي الله عنهم» .

حدثني محمد بن أبان الطحان ، ثنا أبو هلال الراسبي ، ثنا شهر بن حوشب أنه استأذن على عدي بن أرطاة فقال الآذن : إنّ الأمير يقول :

---

١ ـ الحسن البصري .

لا تأذن له فإنه سبَّني . فقال له قتادة : إنّ خادم البيت يخبرك بما في أنفس أهلها ، وإنّ عَدياً قد أخبرك بما في نفس صاحبه عمر ، فلا غفر الله لمن لا يستغفر لهما ـ يعني علياً وعثمان ـ.

المدائني عن الفَضْل بن سُويد الضَبيِّ قال : كتب عمر إلى عَدي : «أما بعد فإنه بلغني أن قوماً قِبَلَكَ إذا توضأوا رفعوا الطساس من بين أيديهم واحداً واحداً ، وذلك من زي العجم ، فلا يُرفَعَنَّ طسٌّ قِبَلَكَ حتى يمتلىء أو يُفرغَ من آخر القوم» .

المدائني عن يزيد بن ابراهيم ، عن أيوب قال : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز : «مُرُوا أهل الصلاح يتذاكروا السّنن في مجالسهم ، ومساجدهم ، وأسواقهم» .

المدائني قال : كتب عَدي إلى عمر : «إنه قد ذكِرتْ لي امرأة من أهل البصرة أعجبني دينها وموضعها وجمالها ، وقد أحببت يا أمير المؤمنين أن تزوجنيها » .

فكتب إليه : «إنْ كنتَ أصبتَ بعدي مالاً ، فأهلَكَ الذي صبروا على فقرك أحقّ بك . وإلاَّ تكن أصبتَه فإن أجمل بك ألا يكون كما قال ابن دارة : إنّ الفزاري لا ينفعك . وأَستغفِرُ الله» .

المدائني عن اسحاق المالكي قال : كتب عدي إلى عمر يستأذنه في تزوج هند بنت أسماء فكتب إليه عمر : «إن الفزاري لا ينفعك ، والسلام» . ـ يريد قول ابن دارة ـ:

لاتَـأمنَنَّ فَزَارِيـاً خَلَوْتَ بِهِ عَلى قَلُوصِكَ واكننها[١] بأَسْيَارِ
إنَّ الفَزَارِيَّ لا يَنْفَعْكَ مُغْتَلِما يُواصِلُ الدَّهْرَ تَهْدَاراً بِتَهْدَارِ

عباس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف قال : كانت الولاة من بني أمية قبل عمر يشتمون علياً ويلعنونه ـ فلما ولي عمر بن عبد العزيز أمسك عن ذلك . فقال كثير :

وُلِيتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلياً ولَمْ تُخِفْ بَـريئاً ولم تَتْبَـع مَقَالَـةَ مُجْـرِمِ
تَكَلَّمْتَ بـالحقِّ المُبِـيْنِ وإنَّمـا تُبَـيَّنُ آيـاتُ الهـدى بـالتكلمِ
فَصَدَّقْتَ مَعْرَوفَ الذي قُلْتَ بالذي فَعَلْتَ فَأَضحَى راضِيَاً كلُّ مُسْلِمِ
أَلَا إنَّما يَكْفِي القَنَا بَعْدَ زَيْغِهِ مِنَ الأَوَدِ البَادِيْ ثَقَافَ المُقَوِّمِ[٢]

فقال عمر حين أنشده هذا الشعر : أَفْلَحْنَا إذاً .

المدائني عن أبي هلال الراسبي عن قتادة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدي : «أما بعد فإذا أبردتَ إليّ بريداً فأبرِدْهُ حَسَن الاسم حسن المنطق ، خفيف اللحية يَفْهِمُ عني ويُفهمني مثل عِذام الضبي» .

حدثنا عمر بن شَبَّه ، ثنا أبو عاصم النبيل عن سفيان عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر إلى عدي : «أنظر كل قرية ليسوا بأهل عمود ، فَمُرْهُم أن يُجَمعوا» .

حدثنا هشام بن عمار عن الوليد بن خُلَيْد بن دَعلج قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله «أنْ اجعلوا أثمان كُبُول من تسجنونه من بيت المال ، وإيَّاكُم أنْ تُغَرِّمُوهُم أثمانها» .

١ ـ الكن : وقاء كل شيء وستره . القاموس .
٢ ـ ديوان كثير ص ٢١٥ .

المدائني عن أبي هلال قال : كتب عمر إلى عَدي : إذا أشكل عليك أمر فَسَلْ عنه الحسَن بن أبي الحسَن» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عماله : «إن الله يقول : ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يُقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين﴾[١] أي لا تقاتل من لا يقاتلك من النساء والصبيان والرهبان .

حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا أبان بن جمعة ، ثنا بكر بن عبد الله قال : كتب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن أم الولد إذا زَنَت وقد ولدت من سيدها ، هل تُباع ؟ . قال : لا تباع وإن بَغَتْ .

حدثنا شيبان بن فروخ ، ثنا حماد بن سَلَمة ، ثنا قتادة أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة : «إنّ امرأة المفقود تَعْتَدُّ أربع سنين» .

حدثنا عفان ، ثنا حماد بن سلمة ، أنبانا حميد أنّ رجلاً كاتَبَ عبده واشترط عليه أنّ له سهماً في ميراثه . فسأل عدي إياس بن معاوية ، فقال : السهم في كلام العرب السُّدس ، فكتب عدي إلى عمر بن عبد العزيز بذلك ، فكتب إليه : «إنّ قضاء الله قَبْلَ شَرْطِهِ . ليس له شيء» .

حدثنا عمر بن شَبَّه عن عفان عن حَمَّاد بن سَلَمَة عن حميد أن رجلاً أسلم على يد عبيدة بن أبي عاصم السلمي وترك عشرين ألفاً فكتب عدي إلى عمر في ذلك ، فكتب : «إن عبيدة أحقّ بميراثه» .

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ١٩٠ .

حدثنا عبد الله بن صالح عن حماد بن سلمة عن حميد أنّ رجلاً من موالي بني جُشَم قتل رجلاً خطأ ، فسأل عدي الحسن عن ذلك ، فقال : لا تَعْقِلُ العرب عن الموالي ، فكتب إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر : «إنّ مولى القوم من أنفسهم ، وهم أحقّ بميراثه ، فليعطوا عنه» ، فجعل الدية عليهم .

حدثني هُدْبَةُ بن خالد ، ثنا حماد بن سلمة عن حميد أنّ قتيلاً وُجِدَ بين بني عَبْس وبني قُشَيْر بالبصرة ، فكتب فيه عدي إلى عُمر ، فكتب فيه عمر : «إنّ من القضايا قضايا لا يُقضى فيها إلى يوم القيامة ، وإن هذا منها» .

حدثنا عفان عن حماد بن سلمة عن قتادة أن رجلاً باع امرأة حُرَّة من رجل بأربعمائة درهم، وهَرَبا فَوُجدا، وإذا ثمنها في هِميان[1] في حَقْوِهَا، فكتب فيها عدي إلى عمر ، فكتب عمر : «أن عَزِّرهما ، واستودعهما السجن ، ولا تقطعهما» .

المدائني عن العباس بن محمد عن أبيه أنّ عمر كتب إلى بعض عماله : «أما بعد فإن الله أكرم بالاسلام أهله ، ورفع به عنهم الصَّغار والذلّة ، فانظر من ادّعى الإسلام فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله ، وأنه يؤمن بالله وملائكته ورسله ، وأن عيسى عبد الله وكلمته ورسوله ، إذا كان نصرانياً ، وأنّ عُزيراً عبد الله إن كان يهودياً ، وحفظ عَدَدَ الصلاة وأوقاتها ، وقرأ من القرآن فاتحة الكتاب فما زاد ، وأَحْسَنَ الوضوء ، ووجدتَه مختتناًفَضَعْ عنه الجزية» .

١ ـ الهميان : شداد السراويل ، ووعاء للدراهم . القاموس .

المدائني عن مسلمة وغيره قالوا : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عاملٍ له : «أما بعد فإن الله أكرم بالإسلام أهله وشَرَّفَهم وأعزَّهُمَ ، وضرب الذلة والصغار على من خالفَهم ، وجعلهم خير أمة أُخرجت للناس ، فلا تُوَلِّيَنَّ أمور واحد من المسلمين أحداً من أهل ذمتهم وخراجهم فتنبسط عليهم أيديهم وألسنتهم فتذلُّهم بعد أن أَعزَّهم الله ، وتهينهُم بعد أن أكرمهم الله ، وتُعَرّضهم لكيدهم والاستطالة عليهم مع مالا يُؤمَنُ مِنْ غشهم إياهم ، فإن الله يقول : ﴿لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عَنِتُّمْ﴾[1] .

ويقول : ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض﴾[2] والسلام» .

المدائني عن مسلمة قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي في عزل من كان من العمال من أهل الذمة وأنْ لا يستعين بهم . فعزل ابن رأس البغل ، وابن زاذا نفروخ بن بيزي ، وأقرّ زاد مرد بن الهربذ ، فكتب إليه في عزله فعزله .

قال : وكتب عمر في إباحة الأحماء ليرعى الناس فيها ، وكتب إلى بعض عماله : «كتبتَ تسأل عن الأسير أيكتب إلى أهله بوصيته وفيها عتقٌ ووصايا ، فَأَجِزْ وصيتَهُ وعتْقَهُ إذا عُلِمَ أنه على دينه لم يغيره ، وشهد العدول من المسلمين على وصيته» .

١ - سورة آل عمران - الآية : ١١٨ .
٢ - سورة المائدة - الآية : ٥١ .

المدائني قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عَدي : «أما بعد فإنه ذُكر لي أن رجالاً من أهل الجفاء وقلة الفقه يشترون الطعام ثم يبيعونه قبل أن يقبضوه ، ولعمري إنّ ذلك من الرّبا الذي لا شك فيه ولا مَرّية ، فإذا جاءك كتابي هذا فامنع من قِبَلَكَ منه أشد المنع وحذِّرهم العقوبة عليه أبلغ التحذير ، ومن كان عنده من ذلك شيء اشتراه من مسلم فليردّه إلى صاحبه ، ومن كان منهم على بيع شيء منه فليرفضه ، وإنْ قدرتَ على أحد منهم فَعَلَ ذلك بعد نَهْيكَ عنه فأوجِعه عقوبة واجعله نكالاً لمن رآه وسمع به ، إن شاء الله ، والسلام» .

حدثني عبد الله بن صالح عن سلام بن مسكين قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي وأهل البصرة فنهاهم عن القبالة[1] والصَّرف دراهم بدراهم إلا مثلاً بمثل ، ولبْس الحرير والتماثيل وعن الأوعية الأربعة : الدُّباء والنَّقِيْر والحنْتَم والمزفَّتْ[2] .

المدائني عن عمرو بن ميمون أنّ عمر كتب إلى عدي ـ وكان عدي كتب إليه في الرجل يفلس بالمال العظيم ، إنه قد كان بعض الفقهاء يرى بَيْعَهُ ـ : «قد فهمتُ كتابكَ في أمر المفلس فلا يُباعَنَّ حرّ ، وإنْ فَلَّس» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي : «إنّ رجالاً يولون نساءهم الطلاق : فيجعلون أمر نسائهم في أيديهنّ ، وإن الله لم يجعل للنساء من

١ ـ القبالة : الكفالة والضمان . القاموس .

٢ ـ الدباء : القرع ، كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب . والحنتم جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة . والنقير : أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً مسكراً . والمزفت هو الاناء الذي طلي بالزفت ، ثم انتبذ فيه . النهاية لابن الأثير .

الطلاق شيئاً ، فأيَّما رجل جعل أمر امرأته بيدها فاختارت نفسها فواحدة وهو أملك بها ، وإن ردّتْ الأمر إليه فليس بشيء» .

حدثني عمر بن شَبَّه عن هارون بن معروف عن ضَمْرَة بن ربيعة عن علي بن أبي حَمَلَة قال : رأيت يزيد بن المهلب يُطاف به في عسكر عمر بن عبد العزيز في محمل وإلى جنبه رجل من الحرس ، وهو يقول : ارفعْ رأسك يا فاسق .

وقال المدائني : حبس عمر يزيد بن المهلب بما كتب به إلى سليمان بن عبد الملك ، وحبس عدي إخوةَ يزيد بالبصرة .

المدائني عن أبي جَزي عن داود بن أبي هند قال : كتب بعض عمال عمر إليه في غلام ابن احدى عشرة سنة افتضّ جارية ابنة تِسْع ، فكتب عمر إليه : «إنّ الحدود والنّكال لا يكون إلا لمن بلغ الحلم وعلم ما ذا له في الإسلام ، وماذا عليه . والسلام» .

وكتب عمر في مسلم أُسِر فتنصّر : «أن تُزَوَّجَ امرأتُه ، وتكونُ في عدَّتِها من حين يبلغها تَنَصُّرُه ، ولا يتوارثان ، وإنْ مات هي في عدتها» .

وكتب عمر : «إنه لا قَطْعَ على المختلس ولكنه لا يُرثي له من طول حَبْس» .

وكتب عمر إلى بعض عمالِه : «اجلد القاذف حراً كان أو عبداً ثمانين إذا افتريا ، فانّ الله يقول : ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾[1] ولم يُسَمّ عبداً ولا حرّاً» .

---

١ ـ سورة النور ـ الآية : ٤ .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «إنّه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال : ما نُكِحَتْ عليه امرأة من صَداق فهو لها أو عدَّة لأهلها قبل أن تُنكح فهو لها ، وما كان من حَباء لأهلها بَعد أن تُنكح فهو لهم» .

المدائني عن شيخ من أهل الجزيرة قال : كتب عمر إلى بعض عماله : «أما بعد فلا يَغلبنَّك جهل الجاهل بك على علمك بنفسك ، فإن من الناس ناساً غَرَّهم الستر وفَتَنَهم حُسْن الثناء ، فأعاذنا الله وإيّاك من أن نكون مغرورين بِسِتْر الله مفتونين بمدح الناس ، والسلام» .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن عبدالله بن المبارك عن الأوزاعي عن سليمان بن حَبيب قال : شتم رجل رجلاً فادعى شهادة قوم غُيَبٍ أنَّ ما قال كما قال ، فلم يشهدوا له ، فقال عمر لسليمان : يا سليمان اضرب وفَرّق فلا يقع سوط على سوط .

المدائني قال : كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «إنه لا يُقتل رجل شتم رجلاً إلا أن يكون نبيًّا» .

المدائني قال : دخل أبو مجلز لاحِقُ بن حميد على عمر بن عبد العزيز فلما أُخبر بمكانه قال : إني لم أعرفك . قال : فهلا يا أمير المؤمنين إذ لم تعرفني أنكرتني فسألتَ عني .

حدثني هشام بن عمار قال : قال عمر بن عبد العزيز : إنّ من الغُرَّةِ بالله أن يصرّ العبد على المعصية ، ويتمنى على الله المغفرة .

المدائني عن أبي عبد الرحمن التميمي عن عبدالله بن يزيد بن جابر قال : قال رجاء بن حَيْوَة : قال لي سليمان بن عبد الملك في مرضه : إلى من ترى أنْ أعهد ، وله بَنُونٌ رجالٌ قد بلغوا ، أمهاتهم أمهات أولاد ، فهم

لا يطمعون في الخلافة ، وأولاد من المهائر صغار ، قلتُ : يا أمير المؤمنين قد سمعتك تقول ما ورث خليفة ميراثاً أفضل من ولي عهد صالح يعمل في الرعية بالعدل بعده .

وخرجتُ فقام اليّ عبد الملك بن أرطاة فقال لي : إلى مَنْ عهِدَ أمير المؤمنين؟ قلت: لم يعهد بعدُ وقد شاورني . قال : هل لك في رجل إنْ وُلي الناس لم يُرَ منه خلل ولا زَيغ إن شاء الله ؟ قلت : من هو؟ قال : عمر بن عبد العزيز المرضيّ المأمون . قلتُ : كنتُ أريده وقد قَوّى رأيي وعزمي قولك فيه ، فدخلت فأشرتُ به على سليمان فعهد إليه .

فلما مات واستُخلف عمر ، خطب الناس فقال : أيها الناس . والله ما سألت الله هذا الأمر في سرّ ولا علانية ، ولا دَسَسْتُ فيه بكلمة ، ولا خطوتُ فيه خطوة فإن شئتم فبيعتكم مردودة عليكم .

فقال هشام بعد ذلك : لقد ندمت يوم قال بيعتكم مردودة عليكم إذ لم أقل : نعم فَأَقِلْناها . فبلغ قوله عمر فقال : لو أن الأحول فعل لفعلتُ ، فكان أولَ ما قضى به ردُّه فَدَكَ إلى ما كانت عليه على عهد رسول الله ﷺ .

حدثني العُمَري عن الهيثم بن عدي قال : حدثني عوانة قال : مات سليمان واستُخلف عمر بن عبد العزيز فخطب الناس فقال : والله ما أردتُها ولا تمنيتُها ، ولا سعيتُ لها فاتقوا الله وأعطوا الحق من أنفسكم وردّوا المظالم فإني والله ما أصبحتُ وبي موجدة على أحد من أهل القبلة ، إلاّ على ذي سَرَفٍ حتى يَرُدّه الله إلى قَصْد ، ثم نزل وقد فرشوا له ، فترك الفرش وجلس ناحيةً .



وكتب إلى مسلمة وهو بأرض الروم يأمره بالقفول ، وأذن للناس بالقفول .

المدائني : قالوا:كتب عمر إلى سالم بن عبدالله بن عمر أن يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : إنّ عمر كان في غير زمانك ورجالك فإن قدرت أن تعمل في زمانك عمل عمر كنتَ أفضلَ منه .

المدائني عن غياث بن ابراهيم قال : قاد الناس الخيل إلى سليمان بن عبد الملك فمات قبل أن يُجريها فاستحيا عمر من الناس فأجرى الخيل التي جمعت ، ثم أعطى الناس ولم يُخيّب أحداً ، ثم لم يُجْر فرساً حتى مات .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : ارتد ابن وابِصَة وأتى الروم ، فبعث عمر في فداء مَنْ بأيدي الروم من المسلمين رجلاً ، فمر في طريق من طرقهم فسمع رجلاً يغنّي بشعر ابن دارة :

وكائِن بالبلاط[1] إلى المصلّى إلى أُحُدٍ إلى ما حَازَ ريْمُ[2]
إلى الجَمّاءَ[3] مِنْ خَدٍّ أَسِيْلِ نَقِيُّ اللون ليسَ بِهِ كُلُومُ
يَلُومُـكَ في تَذَكُّـرِها رجَـالٌ ولَو بِهُمُ كما بِكَ لَمْ يَلُومُوا

فدخل عليه ودعاه إلى الإسلام فأبى . ويقال بل أسلم ورجع إلى المدينة . فروى جويريةِ بن أسماء عن بعض أصحابه أنه رأى جنازة ابن وابصة بالمدينة[4] .

١ ـ البلاط موضع بالمدينة بين المسجد المقدس وسوق البلد . المغانم المطابة .
٢ ـ اسم واد قرب المدينة . المغانم المطابة .
٣ ـ الجماء جبل بالمدينة ، على ثلاثة أميال ، من ناحية العقيق ، إلى الجرف . المغانم المطابة .
٤ ـ بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

المدائني قال : قال أبو عاصم : خُنَاصِرَة من قِنِّسْرِيْن ، وبها مرض عمر ومات بدير سَمعان من أرض حمص . وبين خناصرة ودير سمعان ثلاثون أو أربعون ميلاً وهو على تخوم قنسرين .

قالوا : واشترى عمر موضع قبره من نصراني بدير سمعان بأربعين درهماً وهو مريض ، فقال النصراني : وتعطيني قميصك ، فأعطاه إياه . وعند قبر عمر زيتون .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال: كان ليث بن أبي رقية، واسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير كاتبين لعمر بن عبد العزيز فدخلا عليه يوماً فقال : يا معشر العلوج أما يستطيع أحدكم إذا غدا أن يُسَرِح لحيته ؟ .

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه قال : كان من خاصة عمر : ميمون بن مهران ، ورجاء بن حَيْوَة ، ورياح الباهلي . وكان دون هؤلاء عنده : عون بن عبدالله بن عُتْبَة ، ومحمد بن الزُّبَيْر الحَنْظَلي .

المدائني عن مَسْلَمة بن مُحَارب قال : خرج بلال بن أبي بُـرْدة ، وأخوه عبدالله إلى عمر ، يختصمان إليه في الأذان في مسجدهم فارتاب بهما فدسّ إليهما من عرض عليهما ولاية العراق على أن يجعلا له جعلاً فقال له بلال: أعطيك مائة ألف درهم ، وقال أخوه : أعطيك أكثر من مائة ألف درهم . فأخبر عمر بما بذلا ، فقال لهما : الحقا بمصركما .

وكتب إلى عبد الحميد : «لا تُوَلّ بلالاً الشّر ، ولا أحداً من ولد أبي موسى شيئاً» . ويقال إنه كتب : «بُلَيْل الشر ـ صَغّره ـ» .

المدائني عن عبدالله بن أبي بكر قال : لما دُفن عمر بن عبد العزيز قام غُلَيْم أو جويرية من أهله وقد سوّد ذراعيه فقرأ : ﴿إذا الشمس كُوّرت﴾[1] فما بقي أحد حضر إلا بكى .

المدائني عن علي بن مُجاهد قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «اقطعوا رؤوس التصاوير ، ولا تدعون المعلمين يحملون الصبيان إذا حذقوا»[2] .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف قال : قال المنصور أمير المؤمنين : مَارَدَّ أحدٌ علينا حقنا إلاّ عمر بن عبد العزيز .

المدائني عن مَسْلمة بن مُحارب قال : دخل عَنْبَسَةُ بن سعيد على عمر فقال : يا أمير المؤمنين كان من قَبْلك من الخلفاء يَصِلون أرحامنا ويعرفون حقنا ، وإنك قد أمسكتَ عنا فإما أنْ تصنع بنا ما كانوا يصنعون وإما أنْ تأذن لنا في اللحاق بأهلنا فنشاهدهم ونصلح من شأنهم . فقال عمر : أما من كان مِن قَبلنا فقد كانوا يفعلون ما ذكرتَ ، وما كان ذلك لهم ، وأما ما سألتَ من الانصراف فهو إليك .

فَولّى عنبسة فدعاه فظنّ أنه قد بدا لعمر فيها كلّمه به فقال : اذكر الموت فإنك لا تذكره في حال سعةٍ إلاّ ضاقتْ عليك ولا تذكره في حال ضيقٍ إلاّ اتسعتْ لك .

المدائني قال : قال عمر لابنه : لا تَحْقِرَنّ أحداً ، فلعل بعض من تزدريه عينك أقرب إلى الله وسيلة منك .

---

١ ـ سورة التكوير ـ الآية : ١ .

٢ ـ حذق الصبي القرآن : تعلمه كله ومهر فيه . القاموس .

أبو الحسن المدائني عن أبي بَحْر الاصبهاني عن أبي سَيّار قال : اشتريت لعمر بن عبد العزيز ثوبين من خَزّ السُّوْس ، ذكر أهل السوس أنهم لم يعملوا مثلها لأحد ، فقال لي : ما أخشنهما فلما استُخلف اشتريت له ثوب كتّان بستّة عشر درهماً فقال : ما أَلْيَنَه ، فقلت في ذلك فقال : قلتُ ما قلتُ يومئذ وأنا في نفسي صادق ، وقلت هذا وأنا في نفسي صادق .

ورُوي أن بلال بن أبي بُردة قدم وعليه عمامة سوداء وكان مِن أطول الناس صلاة فقيل لعمر : ما رأَيْنَا أطول من صلاة بلال فلو استعنتَ به فإنه من أهل بيت لهم قِدَمٌ في الإسلام ، فقال لكاتبه : اعلم لي عِلْمه ، فأتاه فقال : ان أمير المؤمنين ذكَركَ للعراق فما تجعل لي ؟ قال : مثلي لا يُكلم بهذا . قال : والله لأصرفَنَّ عنك الولاية إن لم تُرضني . قال : فَلَكَ مائة ألف درهم ، قال : فاكتبْ لي رقعة بخطك فإني لا آمَنُ الغدر ، فكتب له رقعة وأشهد عليها خاصته . ثم أتى الكاتبُ عمر بالرقعة فنخس به عمر من الشام ، وكتب الي عبد الحميد بن عبد الرحمن : «لا تولّين أحداً من آل أبي موسى الاشعري شيئاً من العمل ، ولاسيما بُلَيْل» .

وحدثني عبدالله بن غياث عن أبي المقدام القرشي عن محمد بن كَعْب القَرظي قال : دخلتُ على عمر بن عبد العزيز فجعلْتُ أنظر إليه فقال : ما نظرك إليّ ؟ قلت : أَعْجَبُ لما حال من لونك وَنَحَلَ من جسمك . فقال : فكيف لو رأيتني يا محمد بعد ثالثة في قبري وقد سالتْ حدقتاي على وجنتيّ ـ أو قال خدّي ـ ورأيتَ جلدي قد امتلأ صديداً ودوداً وقد انشقّ بطني فبدا ما فيه كنتَ لي أشد إنكاراً ، حَدّثني حديثاً سمعتُك تحدثه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ . قال : قلت قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : «إنّ

أشرف المجالس ما استقبل به القبلة . اقتلوا الحيّة والعقرب ، ولو كنتم في صلاتكم . ومن نظر في كتاب أخيه المسلم بغير إذنه فكأنما ينظر في النار ، وإنما تتجالسون بالأمانة ، ومن سرّه أنْ يكون أكرم الناس فليتّق الله ، ومن سره أنْ يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ، ألا أنبئكم بشر الناس : من أكل وَحْدَه وجَلَدَ عَبْدَه ، ومنع رِفْدَه . ألا أنبئكم بِشَرّ من ذلكم : مَنْ لا يَقِيْلُ عَثْرة ، ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً . ألا أ نبئكم بشرٍّ من ذلك : من يبغض الناس ويبغضونه ، ألا أنبئكم بشر من ذلك : الذي يُخاف شرُّه ولا يُرجى خيره ، إنّ عيسى بن مريم ﷺ قال لبني اسرائيل : يا بني اسرائيل لا تعلّموا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» .

قالوا : وأتى رجل نصراني عمر بن عبد العزيز فتظلّم من هشام وادعى أنّ في يده ضيعة ، فقال : يا هشام قم مع خصمك . قال : بل أُوَكِّل وكيلاً بخصومته . قال : لا . فقام فجلس بين يديه ، فجعل هشام ينتهر خصمه فقال له عمر : يا أحول عندي تنتهره ؟ . إن عدتَ عاقبتك . فادَّعى النصراني فقال هشام : ضيعتي وقطيعةٌ أقطعنيها عبد الملك ومعي سجل من الوليد وسليمان . فقال عمر لابنه عبد الملك : يا بني انظر في سجلاته وأَمْـرِهِ . فنظر فقال : أرى أمر النصراني قوياً ، وحجته عالية ، وحقّ الله أَوْلَى ما أُوثِر . فقال عمر : أحرِق سجلاته . فأحرَقَها ، وردّ على الرجل ضيعته . فلما وُلي هشام استؤذِنَ في أخذ الضيعة من يد النصراني فقال : لا تردّوا حكماً حكم به عمر .

المدائني عن أبي يعقوب قال : أجاز عمر بن عبد العزيز عبد الحميد بن عبد الرحمن بعشرة آلاف درهم . قالوا : وكتب عمر إلى سليمان بن أبي كريمة : «إنّ أحقّ العباد بإجلال الله وخشيته منْ ابتلاه بمثل ما ابتلاني به ، ولا أحد أشد حساباً ولا أَهْوَن على الله مني إنْ عصيتُه ، فقد ضاق بما أنا فيه ذَرعي ، فَادْعُ الله لي في غزاتك ، فإنك بعرض خير وإجابة .

حدثني رَوْح بن عبد المؤْمِن ، ثنا وَهْبُ بن جرير بن حازم عن أبيه عن محمد بن الزبير الحنظلي قال : نظر عمر إلى رجل يكتب على الأرض : بسم الله الرحمن الرحيم . فنهاه وقال : لا تَعُدْ .

المدائني عن ادريس بن قادِم عن ميمون بن مهران قال : قال لي عمر : إني وضعت الوليد بن عبد الملك في حفرته ثم نظرتُ فإذا وجهه أسود ، فإذا مِتّ فاكشفْ عن وجهي . ففعلتُ فرأيتُ وجهه أحسن مما كان في أيام تَنَعُّمِه رضي الله عنه .

المدائني عن عبدالله بن سَلْم وغيره قال : دخل ناس من بني أمية على عَمَّةٍ لعمر فكلموها في أن تأتي عمر فَتَسْأَلَه أن يُجري عليهم ما كان جارياً لهم من الأرزاق ، ويقال بل أرادت كلامه في أرزاقها ، فلما صارت إليه ظنّ ما جاءت له فقال لها : إني قد ظننتُ ظنّاً فاسمعي ما أَصِفُ لكِ من حالي . إن الله بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً ، فبلَّغ رسالات ربه ، ثم اختار له ما عنده ، فقبضه إليه والناس على منهاج واضح مستقيم ، فَوُلِيَ ولاة بعده سلكوا سبيله واهتدوا بهديه ، وكان الطريق واحداً ، ثم وُلي بعد ذلك أقوام اشتقّوا من تلك الطريق طرقاً مختلفة وانتهى الأمر إليّ وقد كادت أعلام تلك الطريق النهجة تدرس فأردتُ إقامة تلك الأعلام ، فَضَجَّ من ذلك مَن

أخذ يميناً وشمالاً ، وثقل عليهم أن يرجعوا عن طريقهم التي سلكوها وسألوني اتباعهم ، وفي اتباعهم النار ، فما تَرَيْنَ ؟ قالت : أرىٰ أنهم أحقّ أن يتّبعوك . ثم قال : حاجتك ؟ قالت : ما أنا بذاكرة بعدما سمعت شيئاً .

المدائني عن مسلمة أن عمر بن عبد العزيز قال لعبد الملك ابنه : يا بنيّ إنّ الشباب عَوْنٌ على مساوىء الأخلاق ، فاذكر فضل الله علينا واغتنمْ فراغ نفسك ، وإيّاك والغفلة عن أمر مَعَادِكَ ، فإن الله قد أحسنَ إلينا في اللطيف والجليل من أمرنا .

المدائني عن عمر بن مُجَاشِع أنّ مَسْلَمة بن عبد الملك دخل على عمر فدعا عمر بالغداء فأتي بخلّ وزيت فأكلا ، ثم قال : يا أبا سعيد هل تشتهي شيئاً أو كنت تأكل شيئاً لو أتيتَ به ؟ قال : لا . قال : فأرىٰ ما في يديك من الدنيا لا تقدر علىٰ أن تُصيبَ منه من المطعم والمشرب إلا بقدر ما يطيق بدنك فعلام يُهْلِكُ من أَهْلَكَ نفسه ؟

أبو الحسن المدائني : أن عمر بن عبد العزيز قال : ما أحبّ أن يُهَوَّنَ عليّ الموت لأنه آخر ما أؤجر عليه .

قال: وقال عمر : لا يكون الرجل تقياً حتى يَسْلم الناس من لسانه ويده .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : قال عمر : ما كان الحجاج صاحب دين ولا دنيا ، لأن صاحب الدين مَن لم يسفك الدماء ولم ينتهك المحارم . ثم قدم العراق والخراج كثير دَارّ فمازال بالخرقِ والاعتداء حتى صار إلى خمسة وعشرين ألف ألف درهم .

حدثني هشام بن عمار عن سعيد المُرّيِّ قال : وعظ عمرَ بن عبد العزيز رجلٌ فقال : «إنك أدركتَ من الحق رسماً قد عفا ، وأمراً قد أدبر ، فأنت لا ترىٰ شيئاً واضحاً فتتبعه ، فكأنك في بحر تضطرب أمواجه ، فاعتَصِمْ بحبل الله ، واستَعِنْ بالله ، وعليك بالعدل الذي به تدمغ الباطل وتُزْهِقُهُ» .

المدائني قال : أُتي عمر بقوم على شراب وفُسْق ، ومعهم شيخ مسنّ ، فلما رآه عمر حسبه شاهداً فدعاه فقال له : هات بماذا تشهد ؟ فقال : إني أصلحك الله مُبْتلىٰ . فاسترجَع عمر وأجلسه مع القوم .

قال : وجاؤوا إلى عمر برجل شتم عثمان فقال له : لم شتمتَه ؟ قال : لأني أبغضه . قال : أوكلما أبغضتَ رجلاً شتمتَه ؟ قال : نعم . فضربه عشرين سوطاً .

المدائني قال : دخل محمد بن الزُّبير الحنظلي على عمر بن عبد العزيز فدعا له بغداء فلما وُضعتْ المائدة بين يديه قالَ عمر :

إذا مَـا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَميمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيْشَ فَجِىءْ بِزَادِ

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه قال : سئل عمر بن عبد العزيز عن عليّ ، وعثمان وأَمْرُ الجَمل وصفّين فقال : «تلك دماء كَفّ الله عنها يدي ، فأنا أكره أَنْ أغمس بها لساني» .

حدثني هشام بن عمار عن ابن واقد قال : بلغ صاحب الروم موت عمر بن عبد العزيز فقال : ليس العجب من الرهبان والعُبَّاد الذين تَعَذّرت الدنيا عليهم إنما العجب ممن رفض الدنيا وهو يملكها .

المدائني عن جويرية بن أسماء قال : قال عبد الملك بن عمر لعمر : ما يمنعك من إنفاذ رأيك في ردّ المظالم ؟ قال : إني أروض الناس رياضة

الصعب ، فإنْ أبقاني الله أنفذتُ رأيي ، وإنْ عُجّلت بي منيتي ، فقد علم الله أني أخاف إنّ بادهتُ الناس بما أريد أنْ يلجّوا ويُلجِئوني إلى السيف ، ولا خير في أمر لا يأتي إلا بالسيف .

حدثني هشام بن عمار قال : عزم عمر بن عبد العزيز على أخذ ما في أيدي بني أمية من حقوق الناس ، وَرَدِّهِ على أهله ، فاجتمعوا إليه فكلموه ، فقال : إنكم أُعطيتم في هذه الدنيا حظاً فلا تنسوا حظكم من الله ، وإني لأحسَبُ شطر أموال أمة محمد في أيديكم ظلماً ، والله ما تركتُ في يد واحد منكم حقاً لمسلم ولا معاهِد إلا رَدَدْته .

المدائني عن المقدمي أن عمر قال لابنه حين استحثه في رد المظالم : أي بني إنّ نفسي مَطِّيتي ، فإنْ لم أُرْفِقْ بها لم تُبْلِغْني ؛ إنّ الحَقْحَقَةَ في السير قلَّما تُورِدُ إلى خير .

وقال هشام : بلغني أن عمر بن عبد العزيز قال لَمْسلَمَة بن عبد الملك ـ ورأى عليه حُلَّةً يمنية : يا أبا سعيد إنّ أفْضَلَ الإقتصاد ما كان بعد الجِدَّة ، وأفضل الليْن ما كان في الولاية ، وأفضل العَفْوُ ما كان بَعْدَ القُدرة .

المدائني أن رجلاً أتى عمر من مِصْرَ فقال له : يا أمير المؤمنين إن عبد العزيز أخذ أرضي ظلماً ، فقال : وأين أرضك يا عبدالله ؟ قال : حلوان . قال : أعرفها ولي شركاء ، وهذا الحاكم بيننا . فمشىٰ عمر إلى القاضي فقضىٰ عليه ، فقال عمر : قد انفقنا عليها . قال القاضي : ذلك بما نلتم من غلّتها ، فقد نلتم منها بمثل نفقتكم . فقال : لو حكمتَ بغير ذلك ما وُلّيْتَ لي أمراً أبداً ، وأمر بردّها .

المدائني عن إدريس بن قادم قال : قال عمر لميمون بن مهران ـ ويكنى أبا أيوب ، وكان مهران مُكاتباً لبني نصر بن معاوية ، وكان ميمون مملوكاً لامرأة من الأزد من ثُمالة يقال لها أم أيمن فأعتقَتْه بالكوفة ، ثم تَحَوَّل إلى الجزيرة في أيام الجماجم ـ : يا أبا أيوب كيف لي بأعوان أثق بهم وآمنهم ؟! قال : يا أمير المؤمنين لا تُشغِل قلبَك بهذا فإنك سُوقٌ ، وإنما يُحْمَلُ إلى كل سوقٍ ما يَنْفق فيه ، فإذا عرف الناس أنه لا ينفق عندك إلا الصحيح لم يأتك إلّا الصحيح .

المدائني قال : قال عمر بن عبد العزيز : لا تعدم من الأحمق خلّتين : كثرة التَلَفُّت وسرعة الإجابة .

وكتب عمر إلى عَدي : «أما بعد فلا تَسِر سيرة الحجاج ، فإنه كان بلاءً وافق من قومٍ خطايا» .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يتحدث أول الليل ، ويَسَلُ عن أمور الناس ، ويصلي آخره ويقول : إن محادثة الرجال تلقيح لألبابها .

وحدثني أبو عبد الرحمن الجَعْفي مُشْدَانة عن عبدالله بن المبارك قال : قال زياد بن أبي زياد مولى ابن أبي ربيعة : دخلت على عمر بن عبد العزيز فترجّل لي عن صدر المجلس ثم قال : إذا دخل عليك مَن لا ترىٰ لك عليه فضلاً ، فلا تأخذ عليه شرف المجلس .

حدثني محمد بن مُصَفًّىٰ قال : بلغنا أن عمر بن عبد العزيز خَطَر بيده خطرة ثم بكىٰ فقيل له : ما أبكاك ؟ قال : ذكرت النار فأشفقتُ من أن تُغَلّ يدي في الآخرة .

المدائني قال : حُمل إلى عمر مِسْك فأمر ببيعه ، فلما أُخرج أخذ عمر بِأَنْفِهِ وقال : هذا للمسلمين وإنما يُنتفع بريحه ، ولا حاجة لي في الانتفاع بشيء من حق المسلمين .

قالوا : وسابق عمرُ الخيلَ بالمدينة ، وكان فيها فرس لمحمد بن طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وفرس لرجل جَعْدِيّ فتقدم فرس الجعدي ، فجعل يرتجز ويقول :

غَايَةُ مَجْدٍ نُصِبَتْ يا مَنْ لَهَا نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَكُنَّا أَهْلَهَا
لَوْ تُرْسَلُ الطَّيْرُ لَجِئْنا قَبْلَهَا

فلم يَنْشَب أن سبقه فرس ابن طلحة فقال عمر : سبقك والله ابن السَّباق إلى الخيرات .

المدائني عن مَسلمة بن محارب وغيره قالوا : بعث عَدي بن أرطاة إلى عمر رسولاً من بني تميم بقتل الخوارج الذين خرجوا في مسجد الحرورية فقتلوا ، وبهم سُمِّيَ مسجد الحرورية ، فقال للتميمي : ممن أنت ؟ قال : من بني تميم . قال : جَفاء كثير . قال : وخير كثير . فقال عمر : وخير لعمري كثير . ثم قال عمر : من أين خرج هؤلاء ؟ قالوا : قُدِمُوا من البحرين . قال : إنّ لهم هناك لَسَنْخَاً[1] .

قال : ودخل عبد الملك بن أرطاة على عمر فقال : يا أبا خالد جزاك الله عني جزاءك ، فقد جعلتَني غَرَضَاً للحتوف ، ودريئة للبلايا . فقال :

---

١ ـ السناخة : الريح المنتنة ، والوسخ ، وآثار الدباغ . القاموس .

يا أمير المؤمنين لا تجزع فإن الله إنْ علم منك الاجتهاد في النيّة ، والقَسَم بالسَّويّة ، والعدل في الرعية ، شكر سعيك ، وولي أمرك .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عَدي عن عَوانة قال : دخل ميمون بن مهران على عمر وهو محزون فقال : ما بك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إني قُلِّدت أمراً عظيماً ولم أُشاوَرَ فيه قبل وقوعه ، ولم أطلبه ، فقد تَفَرَّق عليّ أمري حتى وددتُ أنّ أمي لم تلدني .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : قال عمر بن عبد العزيز لزياد ، وكان عبداً لآل عياش بن أبي ربيعة ، فطلبه عمر فأعتقوه ، فقدم عليه فقال له : يا زياد ﴿إني أخاف إنْ عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾[1] قال : يا أمير المؤمنين إني لا أخاف عليك أن تخاف ، إنما أخاف عليك ألا تخاف . إنّ آدم أُخرج من الجنة بذنبٍ واحد فَصِيْحَ به في الأمم وذكر في الكتب ، فقال الله : ﴿وعصىٰ آدم ربه فَغَوىٰ﴾ فالنَّجاء النجاء يا عمر . وقد روي هذا عن غيره .

قالوا : وأتىٰ عمر رجل فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي الحاجة ، ونزعتْ بي إليك الفاقة ، فانتهيتُ منك إلى الغاية ، والله سائِلُكَ عن مقامي على عيالٍ قد أعييتُهم وأعيوني .

فقال : كيف أعييتَهم ؟ قال : أعييتُهم أنْ أُكْسِبَهم غِنىً ، وأعيوني أن يموتوا . فألْحَقَ له عياله وأعطاه نفقته . ويقال ألحَقَ له شطر عياله .

المدائني عن رجل عن الشرقي قال : قدم رجل من البصرة على عمر فشكا إليه عدي بن أرطاة فقال : غَرَّني بعمامته السوداء ، قد كتبتُ إليه : من

١ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١٥ .
٢ ـ سورة طه ـ الآية : ١٢١ .

جاءك ببينة على حقٍّ هو له فَسَلِّمْه إليه وقد عنّاك إليّ . فكتب إليه بما سأله ، وأعطاه نفقة من بيت المال وأعطاه دريهمات من ماله فقال : اشتر بها لحماً .

المدائني عن فُرَاتُ بن السَّائِب عن ميمون قال : قال عمر لَمَسْلَمَة : كَفِّني إذا مِتُّ بدينار من عطائي فإن ربي إن كان راضياً عني فسيُبْدلُني خيراً منه .

قال : وسأل عمر بن عبد العزيز اسماعيل بن عبدالله بن أبي طلحة الأنصاري حوائج فقال : ألم آمركم أن تَلحقوا بأمصاركم ، لستُ قاضياً لك حاجة حتى تلحق بمصرك ، ودفع عنه ، فقال : والله ما كنا نُدفع هذا المدفع عن محمد ﷺ . فوجم عمر ساعة وتغرغرت عينه ، ثم قضى حوائجه .

المدائني عن أبي بكر الهُذلي قال : قال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك : يا بنيّ التمس الرفعة بالتواضع ، والشرف بالتقوى وإيّاك والخيلاء ، ولا تحقرنّ أحداً فإنك لا تدري لعل بعض من تزدريه عينك أكرم على الله منك ، ولا تنسَ نصيبك من الله ونصيب الناس منك .

قال : ومات عبد الملك وهو ابن تسع عشرة سنة .

حدثني هشام بن عمار قال : بكى عمر بن عبد العزيز فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ذكرتُ انصراف أقوام كانوا يتقلّبون في النّعم السابغة ، والفضل العظيم في الدنيا إلى النار لا ينالهم الله برحمة منه أبداً .

المدائني عن أيوب عن خالد بن عجلان قال : كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر فقال لها : مِن أين صار إليك ؟ . قالت : أعطانيه أمير المؤمنين ـ تعني أباها ـ فقال : إما أن تردّيه إلى بيت المال ، وإما أن تأذني في فراقك ـ وكانت امرأته ـ فإني أكره أن أكون أنا وأنت في بيت وهو عندك .

قالت : لابل أختارك على أضعافه ، قال : فضعيه في بيت المال .

فلما ولي يزيد بن عبد الملك قال لها : إنْ شئت رددتُه عليك ، وإن شئت أعطيتك قيمته .

قالت : أطِيْبُ به نَفْسَاً في حياته ثم أرجع فيه بعد وفاته ، لا حاجة لي فيه ، فقسمه يزيد بين ولده ، وأهله .

قالوا : وكان عمر بن عبد العزيز يتلو كثيراً وهو جالس للناس : ﴿أفَرَأيْتَ إنْ مَتَّعْنَاهُم سِنينَ * ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتّعون﴾[1] يبكي .

المدائني عن يزيد بن قحيف قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يتمثل كثيراً بقول الشاعر :

تُسَرُّ بما يَبْلى وتُشْغَل بالهَوَى ... كما غُرَّ باللذّاتِ في النوم حالِمُ
نَهارُكَ يا مَغرورُ سَهْوٌ وغَفَلَةٌ ... ولَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لك لازِمُ
ولَسْتَ إلى الأمر الرشيدِ بِمُرْعَوٍ ... كذلكَ في الدنيا تَعيشُ البَهائمُ

المدائني عن مسلمة بن عثمان القرشي قال : بلغني أن عمر لما ولي الخلافة نظر إلى ما كان له من عبيد وإماء ، ورقيق ، ومتاع ، ولباس ، وعطر ، وغير ذلك فأمر به فبيع فبلغ ثمنه ثلاثة وعشرين ألف دينار ، فجعل ذلك في السَّبيل .

المدائني عن أبي اسماعيل الهمداني عن أبيه قال : رأيت عمر بن عبد العزيز وقد ركب يوماً وقد بَدَتْ ساقه أو ركبته من ضيق أسفل قميصه .

المدائني عن بشر بن عبدالله قال : مشى رجال من بني مروان إلى عمر بن عبد العزيز حين أسرع في بيت المال بما ردّ من المظالم فقالوا : يا أمير

١ ـ سورة الشعراء ـ الآيات : ٢٠٥ ـ ٢٠٧ .

المؤمنين إنك تردّ أمراً وَلِيَهُ غيرك فأمضاه فدعهم وما عملوا ، واستقبل أمرك . فقال : والله لوددت أنه لم يبق مظلمة إلاّ رددتها ثم خرجت نفسي .

المدائني عن عمر بن مجاشع قال : دخل عنبسة بن سعيد بن العاص بن أبي أُحَيْحَةَ على عمر بن عبد العزيز فسأله حوائج ، وبين يديه سراج ، يكاد يُطفأ مرة ثم يضيء مرة ، وفي ناحية الدار كتّابٌ يكتبون وبين أيديهم شمع ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أمرت بشمعة فوضعتْ بين يديك . قال : ذاك للمسلمين تُكتَبُ به حوائجهم ، وهذا لي وهو يجزيني . ثم قال لعنبسة : يا أبا خالد ألك حاجة ؟. فسأله معونة وزيادة في عطائه فقال : يا عنبسة إنْ كنت غارماً قضينا عنك ، وإن كنت محتاجاً أعطيناك ما يقيمك ويصلحك ، انظر من أين جمعتَ مالك فإن كان حراماً فارفضه وانظر لنفسك قبل يوم يتمنى فيه المفرط الرجعة .

المدائني عن شيخ من قريش قال : كان حُميد الأمجي يشرب الخمر وكان منزله أمج[1] فقيل فيه :

حُمَيْـدُ الـذي أَمْـجٌ داره أَخُو الخمر ذي الشَّيْبَةِ الأَصْلَعِ
أتـاه المَشِيْبُ علـى شُـرْبِهَـا وَكـانَ كـريمـاً فَلَمْ يَنْـزَعِ

فقدم على عمر فلما رآه قال :

حميـد الـذي أمْـجُ داره ....

قال : يا أمير المؤمنين كذب علي . قال : فاستغفر الله .

---

١ ـ أمج من أعراض المدينة . المغانم المطابة ، وفيه الشعر بزيادة بيت واحد .

حدثنا القاسم بن سلام عن مروان بن معاوية عن توبة بن سالم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «أما بعد : فارفع سوطك عن الناس ، وكفى بثلاثين سوطاً تضربها الرجل نكالاً ، إلاّ في حَدّ» .

حدثني داود بن عبد الحميد عن أبيه قال : اشتهى عمر بن عبد العزيز أو احتاج إلى عسل ، فقيل له ابعث رجلاً على البريد إلى قرية كذا ليأتيك به فقال : ما كان الله ليراني اشغل جناح المسلمين أو قال جناحاً من أجنحة المسلمين في شهوة أشتهيتها .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : كتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عامله على الكوفة : «أما بعد فقد بلغني أنّ من قِبَلَك يُسبُّونَ الحجاج ، فَانْهَهُم عن ذلك ، فإنه بلغني أن المظلوم يدعو على الظالم ، فيكون المظلوم ظالماً والظالم مظلوماً» .

حدثني بكر بن الهيثم ، ثنا أبو حذيفة ، ثنا سفيان عن طلحة بن يحيى قال : كان عمر بن عبد العزيز ولّى الكوفة الزهري ، فبلغه عنه شيء فنخس به وتَنَقَّلَهُ حتى ردَّه إلى المدينة ، ولم يستعمله وولى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفة» .

حدثني عمر بن شبة عن عفان ، ثنا عمر بن علي قال : سمعت أبا سعيد مولى ثقيف قال : أولُ كتابٍ قرأه عبد الحميد من عمر كتاب فيه سطران .

قالوا : وكتب عمر إلى عبد الحميد : «أما بعد : فلا أعلمنّ ما جعلتَ على أهل السجون قيوداً ثقالاً تمنعهم من الصلاة قياماً ، وذكرتَ أن قِبَلَك

قوماً فُسَّاقا إنْ تركوا أفسدوا البلاد ، وإن حبسوا استراح الناس من مَعَرَّتهم وبوائقهم»، فإن كان أمر هؤلاء القوم ظاهراً فاحبسهم في السجون ، وأَجْرِ على كلِّ امرىءٍ منهم في كل شهر خمسة دراهم وكساءً وقميصاً في الشتاء وإزاراً ورداءً في الصيف» .

المدائني عن أبي المليح الرّقي عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر وهو متغيظ على عبد الحميد فقلت : ما له يا أمير المؤمنين ؟. قال : بلغني أنه قال : لا أظفر بشاهد زور إلاّ قطعت لسانه ، قلت : يا أمير المؤمنين إنه لا يتم على ذلك إنما يهيب الناس ، فقال : انظروا إلى هذا الشيخ ، إن خصلتين خيرهما الكذب لخصلتا سوء .

حدثني عمرو بن محمد الناقد ، ثنا عبدالله بن وهب عن ابن لهيعة عن عبد الأعلى بن عبد الحميد عن أبي الزناد قال : كتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر بن عبد العزيز إنه فضل عندنا من المال شيء كثير بعد العطاء . فكتب إليه عمر : «انظر من كان عليه دين في غير سَرَفٍ فاقض عنه ، ومن تزوج فلم يجد ما ينقد فانقد عنه» . ففعل ، ثم كتب إليه يخبره أن قد فضل بعد ذلك مال كثير أيضاً ، فكتب عمر إليه : «أَنْ قَوِّ به ضَعْفَةَ أهل الذمة ، فإنا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين» .

المدائني قال : كتب عمر إلى بعض عماله إنّ البريد جناح المسلمين ، وبه نفاذ أمور السلطان ، وتَعَجُّل ما يحتاجون إلى معرفته من الأخبار ، فأَحْسِن تعهده والقيام عليه وإدرار أرزاق قُوَّامِه وأعوانه ولتجد[1] له علوفته وينظر في مصلحته إن شاء الله ، والسلام» .

١ ـ بهامش الأصل : لتتخذ .

حدثني العباس النَّرْسي ، ثنا يزيد بن زريع ، ثنا فضيل أبو معاذ أن أهل بيت من أهل الري من أهل العهد لحقوا بالديلم ، فأغارت خيل المسلمين على الديلم فأصابت أهل ذلك البيت ، فكتب الحارث بن عَبَّاد إلى عبد الحميد في أمورهم إلى عمر فكتب إليه : إجمع من قِبَلَك من أهل الرأي فإذا اتفقوا على شي فامضِهِ .

فجاء عبدالله بن ذكوان أبو الزناد إلى حلقة في المسجد فيها الشعبي والحكم بن عتيبة فقال : إنكم ستدعون إلى كذا ، فاتفق رأيهم على أن الأبوين وما استفادا من ولد ومال بالديلم في سهام المسلمين ، وما أدخلا الديلم من ولد صغير فليس عليه شيء ، فأمضى عمر رأيهم على ما اتفقوا عليه .

حدثني أبو عبد الرحمن الجعفي عن عبدالله بن المبارك ، ثنا يوسف بن المهاجر أن الأَصْبَهْبَذ صاحب طبرستان أهدى إلى عبد الحميد حين قدم الكوفة هدية من زعفران وطيالسة وورق وأشباه ذلك فقبلها وعزلها وكتب فيها إلى عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر : «إنْ كان الأصبهبذ عَوَّدَكَ الهدية بالجزيرة فاقبل هديته ، وإلا فانها هديته لولايتك عليه فارددها ، فإنْ أبى قبولها فَبِعْهَا وأدخل قيمتها بيت المال ، واحتسِبْها من خراجه ، إن شاء الله» .

حدثنا عفان ، أنبأنا شُعبة عن حَمَّاد قال : سألني عبد الحميد عن دية النصراني واليهودي والمجوسي فقلت : قال ابراهيم مثل دية المسلم ، فكتب إلى عمر فقال : النصف من دية المسلم . وقال حماد : قول عمر أحبّ إلي .

حدثني عمر بن شبه عن أبي نعيم ، ثنا سفيان عن حَمَّاد قال : سألني عبد الحميد عن بيع الاجام[1] فقلت : كان ابراهيم يكرهه . فكتب إلى عمر فقال عمر : لابأس به كنا نسميها الحبس . قال سفيان يعني السمك .

حدثني عبدالله بن مُعَاذ بن معاذ عن أبيه عن شُعْبَةَ عن حَمّاد قال : سألني عبد الحميد عن النصراني تُسْلِم امرأته فقلت : قال ابراهيم : هما على نكاحهما ، فكتب الى عمر ، فكتب عمر : يُفَرَّقُ بينهما . فقال حماد : وقول عمر أَحَبُّ إلي .

وروى عن خُصيف قال : كتب عبد الحيمد إلى عمر بن عبد العزيز في نصرانية أسلمت وزوجها نصراني كيف يصنع بالولد ؟ فكتب أَنْ فَرِّق بينها وبين زوجها وألحِق الولد بها .

حدثنا عبد الواحد بن غياث عن أبي عَوَانة عن بَيَان عن عامر قال : سألني عبد الحميد عن الخيار فقلت : قال عبدالله بن مسعود : إن اختارت نفسها فواحدة ، وإن اختارت زوجها فلا شيء . وقال علي عليه السلام : إن اختارت نفسها فواحدة بائنة ، وإن اختارت زوجها فواحدة وهو أحق بها ، وقال زيد بن ثابت : ان اختارت زوجها فواحدة وإن اختارت نفسها فثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، فكتب إلى عمر بذلك ، فاختار قول عبدالله بن مسعود .

قالوا : وسيَّر الوليد بن عبد الملك الأحوص الشاعر إلى دهْلك[2] فلما استُخلف عمر كتب إليه :

---

١ ـ بالقاموس : الآجام : الضفادع .

٢ ـ دهلك جزيرة في بحر اليمن ، بلدة ضيقة حرجة حارة . معجم البلدان .

كيف ترى للوم طعماً ولذةً وخالُكَ أمسَى مُوْثَقاً بالحَبَائِلِ
فَمَنْ يَكُ أمسى سائلاً عن شماتةٍ لِيَشْمَتَ بي أو شامِتاً غيرَ سائلِ
فَقَدْ عَجَمَتْ مِنِّي الحوادثُ ماجداً صَبُوراً على عَضَّاتِ تلكَ البلابِلِ[1]

فبعث عمر إلى عراك الغفاري ، وكان الذي شهد عليه ، فقال : ما ترى في هذا البائس فقد كتب بما ترى ؟ فقال عراك : مكانه خيرٌ له ، فلما ولي يزيد أَقْدَمَ الأحوص وسيَّر عراكاً ، فقال الأحوص :

الآنَ استقرَّ المُلْكُ في مُسْتَقَرِّهِ وعَـادَ لِعُرْفٍ أَمْـرُهُ المتنكِّـرُ
طريدٌ تـلافاه يـزيدُ بِـرَحْمَةٍ فَلَمْ يُمْسِ من نَعْمَائِهِ يَتَعَذَّرُ[2]

أي يعتذر ـ يعني يزيد ـ.

قالوا : وكتب عبد الحميد إلى عمر : «إني وجدتُ الموالي يتزوجون إلى العرب ، والعرب إلى الموالي» . فكتب إليه : «إني نظرتُ فيما ذكرتَ فلم أجد أحداً من العرب يتزوج الى الموالي إلا الطَمِع الطبع ، ولم أجد أحداً من الموالي يتزوج الى العرب إلا الأَشِرُ البَطِرُ ، ولا أُحرِّم حلالاً ، ولا أُحل حراماً ، والسلام» . وروي إنه كتب ؛ أَمْضِ فإن الله قد أحلّه .

المدائني : ان محمد بن الوليد بن عُتْبَة بن أبي شعبان خطب إلى عمر فقال عمر رادّاً عليه : الحمدلله ذي العزّ والكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فقد أَحْسَنَ بِكَ ظناً من أودعَك كريمتَهُ ، واختاركَ ولم يختر عليك . قد زوجتُك على ما جاء في كتاب الله : ﴿إمساكٌ بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[3] .

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص٢٢٦ ـ ٢٢٧ مع وفارق .
٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص١٤٢ .
٣ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٢٩ .

عمر بن شبه عن يحيى بن سعيد عن ابن عجلان عن أبي الزناد قال : كنتُ مع عبد الحميد بالكوفة فقضى باليمين مع الشاهد ، فأنكر ذلك ناسٌ من أهل الكوفة ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز في ذلك فكتب إليه أنْ أقْضِ بها ، وقال : وقد شهد عندي رجل من كبرائهم أنَّهُ شهد شُريحاً قضى بها .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز : «لا يحملَنَّ الخمر من رستاقٍ إلى رستاق» .

قالوا : وكتب عبد الحميد إلى عمر بن عبد العزيز : «إنّ يزيد بن المهلب دعا موسىٰ بن الوجيه ، ودعا بالسياط ، وقال : إنْ طلقت امرأتكَ وإلّا قتلتك» ، فكتب : «إن يزيد ظلم نفسه ، وأما موسىٰ فقد جاز طلاقه» .

وروي عن أبي هلال الراسبي قال ، ثنا يونس : أن مُرْتَدًّا ارتَدَّ بالكوفة في أيام عمر بن عبد العزيز فشاور عامله عبد الحميد الناس فقالوا : «اقتله فكتب إلى عمر فيه ، فكتب إليه : «إن اضرب عليه الجزية ، ثم خَلِّ عنه» .

قالوا : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد : «لا تَقْضِ بالجِوَار ، ولا تَدَعْ صورة على باب إلّا كسرتَها» .

حدثني عمر بن شبه عن سُرَيْج بن النعمان عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : خرجت حرورية في العراق في خلافة عمر بن عبد العزيز وأنا مع عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد ، فكتب عمر إلى عبد الحميد : «أن ادْعُهُم مرتين أو ثلاثاً ، فإن رجعوا ، وإلا فقاتِلْهم ، فإن الله لم يجعل لهم سَلَفاً يحتجون بهم علينا» .

فبعث إليهم عبد الحميد جيشاً فهزَمهم الخوارج ، فلما بلغ ذلك عمر بعث مسلمة بن عبد الملك في جيش من أهل الشام ، وكتب إلى عبد الحميد : «قد بلغني فعل جيشك جيش السوء - قال ابن أبي الزناد فسموا جيش السوء إلى اليوم - وقد بعثت إليهم مسلمة بن عبد الملك فَخَلٍّ بينه وبينهم» . فلم يَنْشَب أن أظفره الله بهم .

وحُدثت عن سُوَيْد بن سعيد عن بَقِيَّة بن الوليد عن محمد بن زياد عن ميمون بن مهران أنَّ حرورية دخلوا على عمر فقالوا : السلام عليك يا إنسان فقال : وعليكم السلام ، فقالوا : لا حُكْمَ إلاّ الله . قال : نعم لا حكم إلاّ لله .

حدثنا عمر بن شبة ، ثنا أبو عاصم النبيل ، ثنا إسحاق أبو النَّصر قال : أُخذ معي فَلْسٌ بَهْرَجٌ[1] زمن الحجاج فضربني ابن أبي مُسْلم وحبسني ، فتكلم فيَّ الحواري بن زياد فأخذوا مني ألفاً وتركوني ، فلما استُخلف عمر أتيتُه فأخبرتُه فبكىٰ وقال : ألف درهم في فلس بهرج ، وكتب إلى عبد الحميد : إن كان الأمر كما ذكر فاعطه ألف درهم ، قال فأتيتُه فإذا سياط موضوعة فقلت في نفسي أتيت أمير المؤمنين فلم أر سياطاً . قال : فأعطاني ألفاً وكتب لي عملاً وأعطاني نفقة .

وروي عن الصَّلْت بن بهرام قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول حين شكونا إليه عبد الحميد عامله : لقد عجلتم عليّ ، لعلكم ترون أنكم ترون عدلاً . والله لا ترون عدلاً أبداً .

---

١ - البهرج : الباطل والرديء . القاموس .

قالوا : وقع بين امرأة من أهل المدائن وبين عريفها مشاجرة فأسقط اسمها من الديوان ، فأَتتْ عمر بن عبد العزيز فكتب بيده إلى عبد الحميد بأن يَفِكَّ عن اسمها ويعيده ، ويُخْدِمها خادماً ، وأمر لها بخمسمائة درهم وكراها ، فقدمت على عبد الحميد وقد مات عمر فأوصلتْ إليه الكتاب فعرف خطه ، فبكى ثم قال : والله لأُنْفِذَنَّ ما فيه .

ولما مات عمر رضي الله عنه أَحبَّ عبد الحميد أن يتقرب إلى يزيد بن عبد الملك فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شَوْذَب الخارجي . فقال الخوارج : ما فعل هذا إلا وقد مات الرجل الصالح ، وأَقرَّ يزيد بن عبد الملك عبد الحميد على الكوفة ، حتى خلع يزيد بن المهلّب ووجه إليه يزيد مَسْلَمَة .

المدائني عن عيسى بن يزيد قال : كتب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم إلى سليمان بن عبد الملك : إن الشمع الذي كنتُ اخرج به إلىٰ الصلاة في وقت العشاء والصبح قد نَفَدَ ، وكذلك القراطيس التي كنت أكتب فيها ، فإن رأىٰ أمير المؤمنين أن يأمر لي بشمع وقراطيس ، وأن يُلحقني بشرف العطاء بالحجاز .

فوصل الكتاب إلى عمر وقد مات سليمان فكتب إليه : «أما بعد فقد قرأت كتابك إلى سليمان في الشمع وقد عهدتك تخرج في الليلة المطيرة الشديدة الظلمة إلى المسجد بلا شمع ، وأنتَ يومئذٍ خيرٌ منكَ اليوم ، وكتبتَ تسأل إلحاقك بشرف العطاء بالحجاز ، وقد عهدتك وأنت لا تحب الأَثَرَة ، وأنت يومئذ خير منك اليوم ، وقد كتبتُ إلى صاحب مصر آمُرُهُ أن يحمل إليك القراطيس علىٰ ما كان يحمل ، فأَلْطِفِ القلم ، واجمع الحوائج العِدَّة في

كتاب واحد ، ولا تُطْنب في الإملاء ، فلا حاجة لنا في كثرة الكلام والسلام» .

قالوا : تزوج رجل من بني فَرّاص ـ كانت أخته عند عدي ـ امرأةً من الحدان كان لها موضع من قومها ، فطلّقها وهو يشرب ، ثم جَحَدَ فأتت إياس بن معاوية بشاهد فَعَدَّلَهَ ، وجاءت بعبدٍ لها وقد أعتقته فَعُدِّل ، فانتزعها إياس من الفراصي ، فأمر عدي بها فَرُدَّتْ علىٰ الفراصي . وأراد عدي أن يُقْدِم على إياس بمشورة وكيع بن أبي سود ، فقال له داود بن أبي هند : ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾[1] . فهرب إياس إلى عمر بن عبد العزيز ، وولى عدي الحسن بن أبي الحسن القضاء ، وكتب عدي إلى عمر يعلمه ذلك فكتب إليه عمر : «الحسن أَهْلٌ لما وَلَّيْتَهُ ، ولكن ما أنتَ والقضاء ؟ فَرَّق بين الرجل والمرأة ، فَرَّقَ الله بين أعضائِكَ» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عماله : إنه بلغني أنّ نساء ذوات سعة يخرجن عند موت الميت ناشرات شعورهم يَنُحْنَ ، وهذا فعل أهل الجاهلية ، وإنّ الله لم يرخص للنساء في وضع خُمُرِهِنَّ مُذْ أَمرهُنّ بضربها على جيوبهنّ ، فتقدمْ في هذه النياحة تقدماً شديداً ، وقد كانت هذه الأعاجم تلهو بأشياء زيّنها الشيطان لهم ، فَازْجُر مَن قِبَلَك من المسلمين عن ذلك ، فلعمري لقدآن لهم أن يتركوه مع قراءة كتاب الله ، وَانْهَ عن ذلك الباطلِ واللهو من الغناء وما أشبهه ، فمن لم ينتهِ فَنَكِّلْ به غير معتدٍ ولا مسرف ، إن شاء الله ، والسلام» .

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٢٠ .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي في كتابه : «إن الله جعل لأهل الخير أعوانا عليه ، ولأهل الشر أصحاباً مزينين له ، وقد نهيتك عن كاتبك فلم أرك متحاشياً لذلك ولا زاجراً له عن ظلم الرعية وانتقاص حقوقهم ، وإنك حين تفعل ذلك يا عدي لَمُغْتَرٌّ بي تارك حظك من الله ، فَاطْرُد عنك هذا الشائن ، ولا تشركْه في أمانتك ، وأخرِجْه عن المصر ، فإني لو أشركت أحداً من حزب الشيطان في أمانتي لاستعنت بابن أبي مسلم[1] ، فَاكْفِني نفسك يا عدي ، ولا تحملني على مكروهك ، إن شاء الله ، والسلام» .

قالوا : وكتب عمر إلى عماله : «أن انظروا من كان في أسواقكم من باعة اللحم من أهل الذمة فليؤخذوا بأن لا يذبحوا ذبيحة إلّا ذكروا اسم الله عليها ، وأن لا تُكْسَرَ ولا تُنْخَع حتى تموت ، ولتترك متشحطة مذبوحة ومنحورة ، ولا ينفخوا في اللحم فإنه من الغش ، والسلام» .

المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : كتب عمر إلى أبي بكر بن حَزْم : «أما بعد فإنّ الطالبين الذين نجحوا ، والتجار الذين ربحوا ، هم الذين اشتروا الباقي الذين يدوم بالفاني المذموم ، فاغتبطوا ببيعتهم ، وأَحْمَدُوا عاقبة أمرهم ، فاعمل لنفسك وبدنُكَ صحيح ، وأنتَ مريح ، قبل أن تنقضي أيامك وينزل بك حمامُك فإن العيش الذي أنت فيه ظِلٌّ يتقلص ويزول» .

وكتب إلى عبد الحميد : «أما بعد فإنه من ابتلىٰ بأمر الناس فقد عظُمت بليَّته ، نسأل الله عافيته وحسن معونته ، فكن لمن وليت أمره ناصحاً وعليهم شفيقاً حدباً ، واملك نفسك عند الهوىٰ والغضب واكفف يدك

---

١ ـ هو يزيد بن أبي مسلم وكان من كتاب الحجاج . انظر تاريخ خليفة ج ١ ص ٤١١ .

ولسانك عن الأموال والأَعْراض والأَبْشَار ، واستر ما استطعت من عورات الناس إلا شيئاً أبداه الله لا يصلح ستره، فإنْ سبق منك هوى أو غضب فاستغفر ربك وراجع أمرك ، نسأل الله تعالى أن يصلح لنا أعمالنا ويكفينا أمورنا ، وما نرجع إليه بعد الموت ، والسلام» .

المدائني عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران قال : كتب عمر إلى الجّراح بن عبدالله : «إنّ ولاة السلطان بِعُرْض مكاره وبلاء إلاّ من وَقَىٰ الله وأعان ، فاتَّق الله حق تقاته ، واذكر موقفك بين يديه ، وإذا حضرك خصم جاهل فرأيت منه رَعَةً سيئة فارفق به وسدده وبصِّره ، وخُذْ لَهُ الحق غير متجانف على خصمه ، وإن أتى رجل ذنباً يستحق به العقوبة فلا تعاقبه بغضب تجده في نفسك ، ولكن لما أتىٰ وجنىٰ ، جعلنا الله وإياك ممن ﴿لا يريدون عُلوّاً في الأرض ولا فسادا﴾[1] ، أو من المتقين الذين لهم العاقبة ، والسلام» .

المدائني قال : كتب عمر إلى عدي بن أرطاة ، بلغني أن عمالك بفارس يَخْرُصُون[2] الثمار ثم يُقَوِّمونها على أهلها بسعر فوق سعر الناس الذي يتباعون به ، ثم يأخذون ذلك وَرِقاً ، وإن طوائف من الأكراد يأخذون العُشْر من السابلة والمارة في الطرق . ولو علمتُ أنك أمرتَ بذلك أو رضيتَه ما ناظرتك ولأَتاكَ مني ما تكره . وقد بعثتُ بِشْر بن صفوان وعبدالله بن عجلان للنظر في ذلك ، وَرَدّ الثمن الذي أُخذ من الناس إلى ما باع أهل الأرض في

---

١ ـ سورة القصص ـ الآية : ٨٣ .
٢ ـ الخرص : الحزر ، والكذب ، وكل قول بالظن ، وخارصه : بادله . القاموس .

غلاتهم ، فلا تَعرِض لهم فيما وجهتهمَ له من ذلك ، وأحْسِن معونتهم عليه ، إن شاء الله ، والسلام» .

حدثني هُدْبَة بن خالد ، ثنا حَمّاد بن سَلَمَة عن يونس بن عُبَيْد أن رجلاً من الأنصار أتى عمر بن عبد العزيز فقال : أنا فلان بن فلان ، قتل جدي فلان يوم أُحُد . وجعل يذكر مناقب سلفه ، فنظر عمر إلى عنبسة بن سعيد فقال : هذه والله المناقب لا يوم مَسْكَن ، ويوم الجماجم ، ويوم مرج راهط .

تِلكَ المكارِمُ لا قُعْبَانُ مِنْ لَبَنٍ شِيْبَا بماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ

المدائني قال : كتب عمر إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم : «أما بعد فليكن سعيك في الدنيا للآخرة فليس لك إلا ما قَدّمْتَ ، واعلم أن مقطّعات الأمور أمامك ، وأن الله غير مُدخلٍ جنته إلاّ من رضي عنه ، وإنك لا تزداد من حَسَنةٍ ولا تستعتب من سيّئةٍ بعد الموت» .

قالوا : وكتب عمر إلى عمال الثغور : «أما بعد : فلا تشتروا للأمراء من حظ العامة من المغنم شيئاً ، وَأْمُرُوا القُسّام أن يجزئوا ما أفاء الله عليكم من السبي والغنيمة خمسة أخماس ثم ليُقرعوا عليها بخمسة أسهم ، لله الخُمس وأربعة للعامة الذي قاتلوا عليها ، فحيث وقع سهم الخمس فليُحَرر ثم يُخلىٰ بين الناس وأنصبائهم ، والسلام» .

المدائني عن حُباب بن موسىٰ قال : قال عمر بن عبد العزيز : نشأتُ على بُغض عليّ لا أعرف غيره ، وكان أبي يخطب فإذا ذكر علياً نال منه فلجلج ، فقلت : يا أبه إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيتَ علىٰ ذكر عليّ عرفتُ منك تقصيراً ، قال : أفَطِنْتَ لذلك ؟ قلت : نعم . قال : يا بنيّ إن الذين مِنْ حولنا لو نُعلِمُهُمْ من حال عليّ ما نَعْلَم تفرقوا عنا .

حدثني منصور بن أبي مُزَاحم عن شُعَيْب بن صَفْوان قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «أما بعد فإنه يجب على المسلمين أن يضعوا من أهل الشرك والكفر ما وضع الله منهم ، وأن يُنزلوهم بمنزلتهم التي أنزلهم الله بها من الذلّ والصَّغار ، ولا يُشركوهم في أمانتهم ولا يسلطوهم على أهل الإسلام فتجري عليهم أحكامهم ويستخدموهم بالطمع فيما عندهم ، وينزلوا بهم حاجاتهم فيغشونهم ويحرمونهم ، فلا يبقَ أحد ممن قِبَلَكَ على غير الإسلام على شيء إلا عزلتَه واستبدلتَ به رجلاً من المسلمين ترضىٰ دينه وأمانَته وعفافه ، وخذهُم بِشَدِّ المناطق ، وركوب الأُكُفِ ، وحَلْقِ أوساط رؤوسهم ، وأَطِعِ الله واتَّقِهِ ، فإنه لا حِرز لك ولا منعة إنْ عَصيتَه والسلام» .

وكتب عمر إلى عدي بن أرطاة : «أما بعد : فقد أتاني كتابك تذكر أنك لما قدِمْتَ البصرة جعلتَ سُفيان بن فَرْقَد حاجباً وتقدمتَ إليه ألا يرزأ أحداً شيئاً ، فبلغك عنه أمر تكرهه فأتاك بخمسين ديناراً ذكر أنه أعطاه إياها رجل ، فقبضتَها وعزلتَها في بيت المال إلى أن يأتيك أمري ، وليس بيت المال بموضع للرشاء فارِدُد ذلك الذهب إلى صاحبه الذي أُخِذَ منه فإن ابن فرقد يعرفه ، إن شاء الله ، والسلام» .

وكتب عمر إلى عدي : «إنّ بعض من وَرَدَ علينا أخبرني عن ناحية من نواحي فارس خراباً ، فأَسَهَرني ذلك وغَمَّني ، فتعَّهَدْ أهل عملك بالكتب والرسل ، واجتهد في عمارة البلاد بالعدل والرفق وترك الاستقصاء ، واعلم إنما يلتمس إصلاح قوم آثروا سَيِّئاً واجتهدوا في فساد ما تحت أيديهم حتى بلغ الأمر ما بلغ ، وليس بكثير على الله جل ثناؤه أن يجعل في عمارة سنة ما يعدل

خراب سنين مضت قبلها فيجبره بها ، فإن الله يبلغ من تضعيفه لمن يشاء أكثر من ذلك ، ﴿والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾[1] ، والسلام» .

قال : وكتب عمر إلى أبي بكر بن محمد : «ذكرتَ أن ناساً من بني أسد وفزارة تلاحوا ، فَرُمِيَ فراس الأسدي بحجر فأصاب ركبته ، ثم تفرقوا ، ومكث سنةً وَجِعاً من رميته فاصطلحوا على مائتين من الإبل وإنه لا صلح إلا ما يجوز في الإسلام ، فَأَنْفِذ الصلح بينهم على مائة من الإبل فليس بدم صاحبهم عن ذلك مَذْهَب ، ولولا السُّنة لم أُبال ما أعطاهم بنو فزارة من أموالهم ، والسلام» .

المدائني عن مَسْلمة بن محارب قال : قال عمر بن عبد العزيز : لم أر رجلاً كان أعلم بأمر الدنيا من عبد الملك ، ولا رجلاً كان أغضب للدنيا ولا اشتدت غلبة الدنيا عليه مثل الوليد ، ولا رجلاً آكل للدنيا من سليمان ، وهذه الدنيا تريد أن آكلها وتأكلني ، والله لا أفعل .

المدائني عن خالد بن يزيد بن بشر عن أبيه قال : شتم رجل معاوية عند عمر بن عبد العزيز ، فأمر بضربه ثلاثة أسواط .

المدائني عن بشر بن عبدالله قال : دخل عبد الملك بن عمر على أبيه فقال : يا أبه ما يؤمنك أن يأتيك أمر الله بياتاً وأنت نائم ، فقال : يا بني إنّ نفسي مطيتي وإن لم أرحها لم تحملني ، وإني لأحتسب من الأجر في العدل ما أرجو أن لا يقصر بي عن الأجر في ترك النوم .

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٦١ .

وقال عمر لميمون : لأن أَبَقِيَ لهذا المال حتى أُسلِكَه سبيله أَحَبّ إليّ من أنْ أتركه لولدي ميراثاً ، لا أُحاسب بشيء منه .

المدائني عن المبارك بن فضالة قال : كتب عمر بن عبد العزيز : «إنّ من كان عليه دين له وفاء به فليقض من ماله ، ومَن لم يكن عنده فليُنْظِره غرماؤه، فإنما وضعوا أموالهم عنده على أن يصادفوا مالاً أو عُدْمَاً» .

وروى الهيثم بن عدي عن عدي قال : كتب عمر إلى عبد الحميد : «كتبتَ تذكر أنك وجدتَ في بيت المال سبعة آلاف درهم مما أخذ ممن كان يختلف بالخمور ، ولا حاجة لي في خبيث ، فإنْ وجدتَ له أهلاً فاردده عليهم ، والسلام» .

المدائني قال : كتب إلى عمر صديق له من النساك : «إلى العبد المُبْتَلَىٰ بأمور المسلمين من أخيه فلان ، أما بعد : فإنك ممتحن بما وُلِّيتَ ومُجزىٰ بما عملتَ ، فأَصْلِح نيّتك وتَوَقّ على دينك فإنك بعرض خير وشر ، فإن اتَّبعتَ الخير سعدت ، وإن ملْتَ إلى الشر غَوَيتَ ، وكان يقال من تقلّد شيئاً من أمور المسلمين فإنما فُتح له باب إلى الجنة ، وباب إلى النار ، فأيّهما اختار فهو وَالِجُهُ ، عصم الله دينك ووفّر من الأجر حظك ووفقك للخير ووفقه لك» .

فكتب إليه عمر : «فهمت كتابك يا أخي ، وقد عظمتْ عليّ البليّة ، فاسألُ الله العون والكفاية ، لا تُخْلِنِي رحمك الله من كتبك بالنصيحة ، فإنك تقضي بها حق المودة ، والسلام» .

المدائني عن المُسَيَّب بن شريك قال : قدم على عمر بَشيرٌ من الصائفة فقال له : إن شئت زدناك في عطائك ، وإن شئت ألحقنا لك عَيِّلاً . فقال : كلاهما وتمراً ، فقال عمر : إنك لبطّال وليس لبطال عندنا شيء .

المدائني : أن عمر كتب إلى محمد بن عروة السَّعدي عامله على اليمن : «أن أخِرج من بيت المال قِبَلَك مائة ألف درهم للغارمين ولا تُعط منها من كان دينه في سَرَف وتبذير ، واعط من تزوج أو ابتاع ذا رحم فَأَعتقه أو تاجراً أتى على ما في يديه ، وأَخْرِج مائة ألف درهم لأبناء السبيل ، وَمُرْ رَهْطاً من ذوي الدين والحسبة والنية الحسنة أن يقعدوا بها على طريق الحاجّ فلا يدعوا منقطعاً به منهم ولا محسوراً إلا أعانوه ، ولا مُرمِلاً إلا زودوه ، ولا راجلاً إلاّ حملوه ، ولا عارياً إلاّ كسوه إن شاء الله ، فإنّ سبيل الحاج خير السبل» .

وقال كثير يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

أَقـولُ لـما أَتـاني ثَمَّ مَهْلَكُـهُ ... لَا يَبْعُدَنَّ قُوَامُ الأهلِ والدِّين
قد غادَرُوا في ضَريحِ اللَّحْدِ مُنْجَدِلاً ... بِدَيْرِ سَمْعَانَ[1] قِسْطَاسُ الموازينِ[2]

وقال الجُمَحي :

ثلاثةٌ ما رأتْ عينيْ لهم شَبَهاً ... يَضُمُّ أَعْظُمَهُمْ في المسجد الحَجَرُ
وأَنتَ تتبعُهُمُ لَمْ تَـأْلُ مُجْتَهِـداً ... سَقْياً لها سُبُلاً بالعَدْلِ تُفْتَقَرُ
فإنْ قَصُرْتَ عن العليا التي بلغوا ... وأنتَ تطلبُهُا واغتـالك القَـدَرُ
فما بَلَغْتِ التي مِنْ دون ما بَلَغُوا ... فَفُتَّ في ذاكَ من تثنىٰ له السِّيَرُ
لو كنتُ أَمْلِكُ للأقدار تَرْوِيَةً ... تَـأتي رَوَاحَـاً وتَبْيِتَـاً وَتَبْتَكِـرُ
دَفَعْتُ عن عُمَرَ الخيرات مَصْرَعَهُ ... بِدير سمعانَ لكنْ تَغْلِبُ المِرَرُ[3]

١ ـ يعرف الموقع الآن باسم «قرية الدير الشرقي» قرب معرة النعمان .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٣ ـ بهامش الأصل : المرر جمع مرة وهي القوة ، هذا ولم أهتد إلى معرفة اسم هذا الجمحي .

قالوا : وكان عمر بن عبد العَزيز أمر أن يُخرج الفرزدق من مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، وذلك إنه كان ينشد فيه الهجاء ، ويتبذّى فقال فيه الشاعر :

نَفَاكَ الأغرّ ابن عبد العزيز ومثُلكَ يُنْفَىٰ عن المَسْجِدِ

فلقي الفرزدق مخنثاً فقال له : ما فعلت عمتنا ؟ فقال : نفاها الأغرّ ابن عبد العزيز .

المدائني قال : تزوج عبد الرحمن بن عمرو بن سَهْل بن عمرو من بني عامر بن لؤي بنتاً لعبدالله بن عمر بن الخطاب ، فكانا أحسن زوج بالمدينة ، فكلَّمَتْهُ يوماً وقد مرض فأعرض عنها فقالت : يا حبيبي مالك أعرضت عني ؟ قال : أموتُ وتتزوجين بعدي . قالت : فإني لا أفعل إنْ ـ وأعوذ بالله ـ حدث بك حدثٌ بَلْ أنا المتقدمة قبلك، فخطبها عمر بن عبد العزيز فتزوجته ، فدخل عليها ابن قارظ الكناني فقال لها : مِثْلَكِ ما قال القائل :

تَبَدَّلْتِ بعد الخيزران جَرِيْدَةً وبَعْدَ ثيابَ الخَزِّ أَحلامُ نائِمِ

فقالت : ما ذاك مثلي ، ولكنه ما قال أرطاة بن سُمَيَّة :

ما كنت إلا وَالِهَاً ذات عَوْلَةٍ على شَجْوِهَا بعد الحَنينْ المُرَجَّعِ

متىٰ لَمْ تَجِدْهُ تنصرفْ لِطَيَاتِها مِن الأرضِ أَوْ تَرجِع لأَنْفٍ وَمَرْجَعِ

فأفحمتْهُ . وكانت ابنتها من عبد الرحمن عند الحجاج بن يوسف فقال لها : مات أبوكِ فجزعتِ ، فقال : لم تجزعين وقد تزوجت أمك عمر بن عبد العزيز ؟

وحدثني الحسين بن علي الحرمازي ، ثنا العُتْبي قال : سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يمدح فاطمة بنت الحسين ، ويقال فاطمة بنت عبد الملك

امرأته فقال : ما تعرف من الشرّ شيئاً . فقال عمر : معرفتها بالشر جَنَّبتها إياه .

وقال سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز وهما بطريق مكة ، وأراد أن يذكر له شيئاً ، فسأله : هل علينا من عَيْنٍ ؟ قال : نعم عليك من الله عين بصيرة وأذنٌ سميعة .

قال العتبي : قرأ قارىء عند عمر بن عبد العزيز آية فَلَحَنَ ، فقال مَسْلَمَة : لحن والله يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : أَوَمَا شغلك معناها عن لحنه .

حدثني عمر بن شبة ، ثنا أبو عاصم ، أنبأ عثمان بن خالد بن دينار عن أبيه عن ميمون بن مهران قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : لا تأتِيَنَّ سلطاناً وإن أمرتَه بمعروف ، ولا تَخلُوَنَّ بامرأة وإن قرأت عليها القرآن ، ولا تَصحبنَّ عاقّاً فإنه لن يصلك ، وقد عقّ والديه .

المدائني عن عيسىٰ بن يزيد قال : لما احتضر عمر بن عبد العزيز قيل له : اكتب إلى يزيد وأوصه بالأمّة فقال : وبماذا أوصيه ، إني لأعلم أنه من بني مروان .

ثم كتب إليه : «أما بعد : فاتَّقِ الله يا يزيد الصَّرْعَة بعد الغفلة حين لا تُقَالَ العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، إنك تترك ما تترك لمن لا يَحْمُدُكَ ، وتصير إلى من لا يَعْذُركَ ، والسلام» .

حدثني عباس عن أبيه عن عَوانة قال : أنشد عمر بن عبد العزيز قول الأحوص بن محمد الأنصاري :

سَيَبْقىٰ لها في مُضْمَر القلبِ والحَشا سَرِيْرَةُ حبٍّ يومَ تُبْلَىٰ السَّرائرُ[1]

فبكىٰ عمر وقال : وَيْحَهُ ما أَغْفَلَهُ عن قول الله ﴿يوم تُبْلَىٰ السرائر . فماله من قوةٍ ولا ناصر﴾[2] .

وقالوا : كان على شرطة عمر رَوْح بن يزيد بن يستر السكسكي .

حدثني عمرو بن محمد عن الحجاج الرصافي عن أشياخهم قال : عَزَّىٰ رجل عمر بن عبد العزيز عن ابنه عبد الملك فقال :

تَعَـزَّ أَمـيرَ المؤمنـينَ فَـإِنَّـهُ لما قد ترىٰ يُغذىٰ الصغير ويُولَدُ
هَلِ ابنكَ إلاّ مِن سُلالةِ آدمٍ وكـلٌّ لَهُ حَـوْضُ المنِيَّةِ مَـوْرِدُ

قالوا : ومرض عمر بن عبد العزيز ، فقيل له : لو تداويت . فقال : لو كان دوائي في مسح أذني ما مَسَحْتُها ، نِعْمَ المذهوبُ إليه ربي .

وحدثني محمد بن خالد الطحان عن يزيد بن هارون عن يحيىٰ بن سعيد قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حَزْم : «أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ ، وحديث عَمْرَة بنت عبد الرحمن فاكتبه ، فإني قد خِفتُ دُرُوسَ العلم ، وذهاب أهله» .

قال الواقدي : قال عمر بن عبد العزيز : ما بقي أحدٌ أعلمُ بحديث عائشة من عَمْرَة .

وحدثني عمرو بن محمد عن الحجاج قال : اشتهىٰ عمر بن عبد العزيز في صحته عَسَلاً يؤتى به من قرية على فراسخ ، فقيل له : تُوجِّهُ رسولاً على

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١٤٥ .
٢ ـ سورة الطارق ـ الآيتان : ٩ ـ ١٠ .

دابّة من دواب البريد ليأتيك به ، فقال : معاذ الله ، لا يراني الله شاغلاً جناحاً من أجنحة المسلمين في شهوةٍ اشتهيتُها .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن مولىً لعمر بن عبد العزيز عن عمر أنه قال لمحمد بن كَعْب : عِظْني . فقال : يا أمير المؤمنين إن فيك جِرأة ، وَجُبْناً ، وكَيْساً ، وعَجْزاً ، فَدَاوِ بعضَ ما فيك ببعض ، وعليك بأهل الدين والعقل فإنهم يكفونك أنفسهم ويُعينونك على غيرهم ، وإيّاك ومن مودته لك بقدر حاجته إليك فإذا انقطعت حاجته ذهبت مودته . وإذا اصطنعت صنيعة فأحسِن ربَّها وغذاءها . فقال عمر : أحسن الله جزاءك .

وحدثني هشام بن عمار قال : بلغني أن رجلاً تكلم عند عمر بن عبد العزيز فرفع صوته فقال عمر : بحسب الرجل أن يُسمع جليسه ، لو أُدْرَكَ شيء خيراً بشدَّةِ صوت لأدركته الحمير .

حدثني عبدالله بن صالح العِجْلي عن حماد بن عمرو قال : سمع عمر بن عبد العزيز باكيةً في جنازة أبيها وهي تقول : يا أبتاه ، كان يقصر المجلس إذا أتاه . فقال : ما أحسنَ ما وصفَتْ أباها .

هشام عن بقية قال : تزوج رجل يقال له سليمان بن عَثمةَ امرأتين فقال بعض الشعراء :

لِيُهْنِ ابنَ عِثمانَ مَا عِنْدَهُ فَلَسْتُ وإنْ حَسَدُوا حاسِدا
مَــهَــاتَــانِ لَــوْنُهما واحــدُ يُــذِيْـقَـانِـهِ ثَغَبَـاً بَـارِدَا
فَـبُـوْرِكَ فـيـه وفي أهْـلِهِ وفي مـالِـهِ وَنَمَـا صَـاعِـدَا

فشكاه إلى عمر فقال : ما أرى هجاءً ، ولكنه شَهَرَهُ ، فَأَدَّبَهُ .

وكتب عمر إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن : «إعلم أن كل ذي عادة مقتضٍ ما سَننتَ له» .

حدثني محمد بن سعد عن محمد بن عمر الواقدي عن مالك بن أنس قال : كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يقوم قال : إذا شئتم . وكان مالك يفعل ذلك ، وكان قبيصة إذا أراد أن يقوم يتناول نعله .

حدثني داود بن عبد الحميد قال : كان مشايخنا يحدثون أن عمر بن عبد العزيز كان صديقاً لعَدي بن أرطاة قبل الخلافة ، وكان يقول : ما رأيت أَشْبَه بمن مضىٰ في مذهبه وعفافه من عدي . فلما استُخلف ولاه البصرة .

حدثنا عفان ، ثنا أبو هلال قال : كان عدي يخطب فإذا خطب جلس في الخطبة الأولى ، ثم يقوم فيخطب الثانية حتى إذا فرغ مَدّ يده يدعو .

قالوا : وحفر عدي نهره ، وخرج الناس ينظرون إليه ، والحسن يمشي خلف حمار عدي ، فالتفت عَدي فرآه فنزل عن الحمار ، وحمل عليه الحسن ، وجعل يمشي بحيث كان الحسن يمشي من الحمار ، والحسن راكب .

قالوا : وكتب عمر إلى عدي : «أن يجري على من كبرتْ سنه ، وضعفتْ قوته ، وذهبتْ مكاسبه من أهل الذمة ، من بيت مال المسلمين ، وقال إن عمر بن الخطاب رأىٰ شيخاً من أهل الذمة يقوم على أبواب الناس يسألهم فقال : ما أنصفناك . أخذنا منك الخراج شاباً ، فلما كبرت سنك خذلناك . فأجرىٰ عليه قوتَه من بيت المال» .

المدائني قال : عاد عدي وكيع بن أبي سود فقال له عدي : كيف تجدك ؟ قال : وثّاباً على العتب ، أكالاً للعصب ، قال: فما بلغ عدي منزله حتى نُعي له .

قال أبو عبيدة : وبعث عدي إليه رجلاً يعوده فقال له : الأمير يقرئك السلام . فقال : أنا والله الأمير ولكني مظلوم ، ثم قال : يقول لك كيف تجدك ؟ قال : أجدني قفّازاً على العتب فلم يبلغ الرسول حتى سمع الواعية عليه .

وروي عن أبي شور القليبي قال : أشرف عدي على وكيع من دار الإمارة وهو مريض في داره فقال وكيع لبنيه : ارفعوا صدري . فقال له عدي : أبا مطرف كيف تجدك ؟ قال : صالحاً من رجل يجد أرواح طعامك ولا يأتيه منه شيء . قال : وكيف تراك لو رأيت منه شيئاً ؟ . قال : أكون قفازاً على العتب غشوماً . فقال عدي : أطيلوا الحائط بيني وبينه فلا أراه ولا يراني .

وأتى وكيع الحسن فقام فناوله نعليه فقيل له : أتقوم إلى وكيع مع جفائه ؟ فقال : بلغني أن في جسده كذا وكذا طعنة وضربة في سبيل الله ، وأنا أكرمه لذلك .

وقالوا : أرسل عَدي إلى محمد بن سيرين رجلاً وقال له : قل له عن نفسك إني رأيت أني حلبت ناقة فامتككتُها حتى حلبتُها دماً . فقال ابن سيرين : لم تَرَ أنتَ هذه الرؤيا ، وإنما رآها عدي فارجع إليه فقل له : اتق الله فإنك قد جاوزتَ في حلبِكَ وجبايتكَ ما أحلّ الله لك إلى ما حَرّمَه عليك .

قالوا : ولما قدم عدي البصرة قال لإياس بن معاوية بن قُرَّة المُزْني : أنتَ من أهل البلد وأعلم به مني فدلني على قوم من القراء استعملهم . فقال : إن القراء ضربان : ضَرْبٌ يقرأون لله فلا حاجة لهم في عملك ، وضربٌ يقرأون للدنيا ، فإذا استعملتهم أمكَنْتَهم مما أرادوا .

قال : فأشِر عليّ بقومٍ من أهل البيوتات ، فإنهم عسى أن يستحيوا لأحسابهم ويرعوا على أنفسهم ويتصنعوا لطول الولاية .

ثم شاوَرَ مالك بن دينار فقال له : أما أهل الدين فقد استغنوا عَنْكَ بما عندهم ، وأما أهل الدنيا فمنهم تهرب . قال : فمن بقي ؟ قال : عليك بأهل الشرف فإنهم يحامون على قديمهم ، ويربون حديثهم .

قال أبو داود الطيالسي : حدثني من سمع عدياً يخطب على منبر البصرة وهو يقول : ما أنا وهذه الشهادات ، ما أنا وهذه الخصومات . فتحتُ لكم بابي وأجلستُ فيكم إياساً ولا أراكم تزدادون إلا كثرة ، لقد كنت أرى القاضي من قضاة المسلمين وما عنده أحد ، ولقد أتيتُ شريحاً فقلت : يا أبا أمية أين أنت ؟ . قال : بينك وبين الحائط . قلت : إني تزوجتُ امرأة ، قال : بالرفاء والبنين . قلت : ولدتْ غلاماً . قال : ليُهْنِكَ الفارس . قلت : وشرطتُ لها دارها ثم بدا لي أن أحولها إلى الشام . قال : أنتَ أحقّ بأهلك . قلت : فاقضِ . قال : قد فعلتُ .

حدثني محمد بن سعد الواقدي عن ابن أبي سبرة عن صالح بن حسان قال : سمعتُ عمر بن عبدالعزيز يقول في خلافته وذكر أبا بكر بن عبدالرحمن فقال : إن هناك شرفاً وفضلاً ونسكاً واحتمالاً .

الواقدي قال : كان من سُراة الموالي أبو كثير مولى أسلم ، وهو من سبي فارس ، وكان يقال له زاد الرَّكْب . فبعث معه عبدالعزيز بن مروان بألف دينار إلى عمر بن عبدالعزيز فنسيها في دار عبدالعزيز ومضى فأتى عبدالعزيز بالألف ، فلما قدم أبو كثير المدينة دفع إلى عمر ألف دينار من ماله ، واكتتب منه البراءة ، فلما قدم مصر أتى به عبدالعزيز وكان تاجراً يتجر إلى مصر فقال له : ما فعلت الألف دينار؟ قال : دفعتها إلى عمر وأحضر البراءة، فقال : كيف دفعتها وهي عندنا؟ قال: نسيتها ولم أدر أين هي فكرهتُ أنْ أُسِرَّ عدواً فأشمِتَه ، أو أكبِتَ صديقاً فاغمَّه ، وخفتُ أن لا أُصَدَّقَ ، وعليّ فضلٌ من الله فاحتملتُها . فقال عبدالعزيز : ألكَ حاجة ؟ . قال : نعم ، تُوضَع عني العشور إذا دخلتُ مصر بتجارتي . فقال : نعم . ووضعها عنه . وكان عبدالعزيز يقول : من آمَنُ مِنْ ابن أبي كثير ؟! ودفع إليه الألف دينار .

حدثني ابن القتات عن شيخ من الشاميين قال : سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول : قيدوا العلم بالكتاب وقيدوا النِّعمَ بالشكر .

حدثني داود بن عبدالحميد حدثني أبي عن جدي أن عمر بن عبدالعزيز أُتي بسكران فقال : ألقوا رداءه في أردية فأُلقي . وقال : انظروا فإنْ لم يعرفْهُ ولم يخلّصه من الأردية فَحدُّوهُ .

الخوارج في أيام عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه

خبر بسطام بن مُرَيّ اليَشْكُرِي ولَقَبُهُ شَوْذَب.[1]

قال أبو الحسن المدائني : خرج بسطام بن مُرَيّ أيام عمر بن عبدالعزيز بن مروان ، فقال لأصحابه : يا أخلائي إنكم قد باينتم قومكم في ولاية هذا الرجل ، وهو يأمر بالعدل ويُظهره ويعمل به فاعذروا فيما بينكم وبينه ، وادعوه إلى أمركم . فكتبوا إليه فعظّموا طاعة الله وأمرِه ، وعابوا الظلم وأهله ، وأكفروا أهل الكبائر ، وبرئوا منهم ، ودعوه إلى رأيهم وإلى البراءة من علي وعثمان وردّ أحكام عثمان ، وما حكم به عليّ بعد الحكمين ، واستأذنوه في أن يوجهوا من يناظره ويُحَاجُّه على أن يؤمِّنه ، فكتب عمر إليهم : «إلى العصابة الذين خرجوا بزعمهم التماس الحق ، أما بعد ذلك : فان الله لم يُلْبِسَ على العباد أمورهم ، ولم يتركهم سُدَى ، ولم يجعلهم في عُمَيَّاءَ ، فبعث إليهم النُّذُر وأنزل عليهم الكتب ، فبعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين بشيرا ونذيراً ، وأنزل عليه كتاباً حفيظاً ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه

١ - بهامش الأصل : بلغت عراضها بالأصل الثالث ولله دل حمد .

ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[1]﴾ فيه علم ما يأتون وما يتقون ، فأوصيكم بتقوى الله ، وشكر نعمته ، والاعتصام بحبله ، والتوكل عليه ، فإنه ﴿من يتَّق الله يجعل له مخرجاً﴾[2] ، وقد بلغني كتابكم ، وما دعوتم إليه ، ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعىٰ إلى الإسلام﴾[3] وقد خاب من دعي إلى الحق ولم يجب .

وذكرتم ما اعتقد الله في عباده ؛ وأمرهم به من الطاعة ﴿فلله الحجة البالغة﴾[4] . وسألتموني أن أحكمُ بالعدل ، وأقومَ بالقِسط ، وفي الحق مقنع وفوز ونجاة لمن عمل به ، ﴿ولكل نبأ مستقر﴾[5] فلكم التي سألتم وبالله التوفيق .

وسألتموني ردَّ ما حكمَ به مَنْ كان في صدر هذه الأمة من الأئمة إلا ما كان من حكم أبي بكر وعمر وعلي قبل الحكمين ، وهم ومَن كان بعدهم من الأئمة كانوا أقرب عهداً برسول الله ﷺ وأصحابه ، والله يشهد على أحكامهم ويَعْلَمُها .

وسألتموني الإذن لكم في قدوم طائفة منكم عليّ ، فمن أحبَّ ذلك منكم فليقْدِمْ آمناً لا أحجُبُه ولا أبسط إليه يداً ، وإني أدعوكم إلى الله ورسوله ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والإنابة إلى أمر الله ، وأذكركم

١ - سورة فصلت - الآية : ٢٤ .
٢ - سورة الطلاق - الآية : ٢ .
٣ - سورة الصف - الآية : ٧ .
٤ - سورة الأنعام - الآية : ٤٩ .
٥ - سورة الأنعام - الآية : ٦٧ .

الله أن تخالفوا كتاب الله وسنة نبيه ، فقد بين لكم الهدى وأراكم البينات ، فاقبلوا أمر الله ، وإيَّاكم والبدع والغلوّ في الدين ، والسؤال عما قد كفيتموه ، فقد سبق فيه من الله ما قد سمعتم من قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تَسُؤْكُمْ﴾ (١) فـ﴿هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾ (٢) فإن تَقْبَلوا يقبل الله منكم ، وإن تُعْرِضوا فإن الله أمامكم ومن ورائكم ، فمن ذا يعجز الله و﴿شر الدواب عند الله الصُّمُّ البُكْمُ (٣)﴾ .

وقلتم لا حكم إلا لله العلي القدير ، ﴿ومن أحس من الله حَكَماً لقوم يوقنون(٤)﴾» .

وبعث بكتابه إليهم مع عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ، ومحمد بن الزبير الحنظلي وقال لهما : إن هؤلاء القوم قد خرجوا علينا بأسيافهم ، فإذا قَدِمْتُم عليهم فادعوهم إلى الحقّ والجماعة فإن دعونا من كتاب الله إلى ما لم أعمل به فاضمنا عني العمل به ، وإن دعونا من كتاب الله إلى ما قد علمناه وجهلوه فحاجُّوهم به حتى يرجعوا إليه .

قال : فقدما عليهم ، فقال عون : أيتها العصابة إنا قد أقمنا من كتاب الله ما قد حفظنا وعملنا بما علمنا فهل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا ، أَمْ أمِنْتُم على أنفسكم ما خفتم على قومكم ، أم رجوتم شيئاً لأنفسكم يئستم منه لقومكم ، أم تقولون ذنوب قومكم شرك وذنوبكم ذنوب ؟

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ١٠١ .
٢ ـ سورة يوسف ـ الآية : ١٠٨ .
٣ ـ سورة الأنفال ـ الآية : ٢٢ .
٤ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٥٠ .

قالوا : نترك الذنوب كفراً لقول الله : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [١] قال : أخطأتُم التأويل ، من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له فهو كافر فأما حاكم وقع حداً قد رآه عن صاحبه وهو مُقِرٌّ بالآية فلا يكون كافراً لأن الله تبارك وتعالى قال : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ [٢] وقال الله : ﴿زعم الذين كفروا أنْ لَنْ يبعثوا﴾ [٣] وهؤلاء يؤمنون بالبعث ، وأمير المؤمنين مجتهد لنفسه في الحكم بالعدل ، وإحياء ما قد أُميتَ منه ، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم .

قالوا : فإن عمال صاحبك يظلمون . قال : فتولوا أعماله . قالوا : لا نعمل له . قال : فكونوا أمناء على عماله ، فأي عامل منهم عمل بغير الحق فاعزلوه . قالوا : ولا هذا ، وقرأوا كتاب عمر فقالوا : نوجه رجلين يكلمانه فإن أجابنا فذاك ، وإن أبى كان الله من ورائه ، فأرسلوا مولىً لبني شيبان يقال له عاصم ، ورجلاً من بني يشكر من أنفسهم ، فقدموا جميعاً على عمر وهو بخناصرة ، فصعد إليه عون ، ومحمد بن الزبير ، وهو في غرفة ، وعنده ابنه عبدالملك بن عمر ، وكاتبه مزاحم فأخبراه بمكان الرجلين فقال : فتشوهما لعل معهما حديداً ، ثم أدخلوهما ففعلا ، فلما دخلا قالا : السلام عليكم . وجلسا فقال عمر : ما أخرجكم هذا المخرج ، وما الذي نقمتم ؟ فقال عاصم وكان حبشياً : ما نقمنا سيرتك لتحري العدل والإحسان فأخبرنا

---

١ ـ سورة المائدة ـ الآية : ٤٤ .
٢ ـ سورة فصلت ـ الآية : ٢٦ .
٣ ـ سورة التغابن ـ الآية : ٧ .

عن قيامك بهذا الأمر أعن رضى من المسلمين ومشورة كان أم ابتززتم إمرتهم ؟ قال : ما سألتهم الولاية عليهم ولا غلبتهم على مشيئتهم ، وعهد إلي رجل عهداً لم أسأله الله قط لا في سر ولا علانية ، فقمت به ولم ينكره عليّ أحد ، ولم يكرهه غيركم ، وأنتم ترون الرضا بكل من عدل وأنصف من كان من الناس فانزلوني ذلك الرجل ، فإن خالفتُ الحق ، وزغتُ عنه فلا طاعة لي عليكم .

قالا : بيننا وبينك أمر واحد . قال : وما هو ؟ قالوا : رأيناك خالفتَ أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير طريقهم فإن كنت على هدى وهم على ضلالة فَالْعَنْهُم وابرأ منهم ، فقال عمر : قد علمتُ أنكم لم تخرجوا طلباً للدنيا ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها ، إن الله لم يبعث رسوله ﷺ لَعَّاناً ، وقال إبراهيم : ﴿فمن اتَّبَعَنِي فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [1] وقال الله:﴿أولئك الذين هدىٰ الله فبهداهم اقتده﴾ [2] وقد سميتم أعمالهم ظلماً وكفى بذلك لهم ذَمَّاً ونقصاً ، فابلوا الله حسناً فيما آتاكم ودعوا ما فاتكم ، فليس لعن أهل الذنوب فريضة لا بُدَّ منها ، فإن قلتم إنها فريضة فاخبرني أيها المتكلم متى لعنتَ فرعون ؟ قال : ما أذكر متى لعنتُه . قال : أَفَيَسَعُكَ ألا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق وشرهم ، ولا يسعني إلا لعن أهل بيتي وهم مصلّون ؟

قال : أو ما هم كفار بظلمهم ؟ قال : لا لأن رسول الله ﷺ دعا الناس فكان من أَقَرَّ بالإيمان وشرائعه قُبل منه ، فإن أحدَثَ حدثاً أُقيم عليه

---

١ ـ سورة ابراهيم ـ الآية : ٣٦ .

٢ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ٩٠ .

الحد ، فقال الخارجي : إن رسول الله ﷺ دعا الناس الى التوحيد بالله والإقرار بما نزل من عنده والعمل بما سنّ من سُنّته ، ولو قالوا نؤمن بما جاء من عند الله ونخالف سنّتك ما قبل ذلك منهم .

فقال عمر : فليس أحد يقول لا أعمل بسنّة رسول الله ﷺ ، ولكن القوم أسرفوا على أنفسهم على عِلمٍ منهم بأن الذي أتوا مُحَرّم عليهم ، ولكن غلبَ عليهم الشقاء .

قال : فابرأ مما خالفَ عمالك ورُدَّ أحكامهم . قال : أخبرني عن أبي بكر وعمر أليسا من أسلافكم ؟ قال : بلى . قال : فهل تعلمون أن أبا بكر حين قُبض النبي ﷺ وارتدّتِ العرب قاتلهم وسبى الذراري وأخذ الأموال ؟ قالا : نعم . قال : أفتعلمون أن عمر ردّ السبايا بَعدَهُ الى عشائرهم بفدية فَدوهم بها ؟ . قالا : نعم . قال : فهل بريء عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا . قال : أَفَتَبْرَؤُنَ أنتم من واحد منهما ؟ قالا : لا . قال : فأخبروني عن أهل النهر وهم من أسلافكم ، هل تعلمون أنّ أهل الكوفة خرجوا فلم يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالاً ، وأنّ من خرج إليهم من أهل البصرة اعترضوه ، وقتلوا عبدالله بنِ خَبَّاب وجاريته ؟. قالا : نعم . قال : فهل بَرىء من لم يقتل ممن قتل واستعرض ؟ قالا : لا . قال أَفَتَبْرَؤُونَ أنتم من إحدى الطائفتين ؟. قالا : لا . قال : أَفَوَسِعَكُم أن توليتم أبا بكر وعمر وأهل البصرة وأهل الكوفة وقد علمتم اختلاف أعمالهم في الفروج والأعمال، ولا يَسَعني إلا البراءة من أهل بيتي والدين واحد ، فاتقوا الله فإنكم جهال تقبلون من الناس مَا رَدَّ عليهم رسول الله ﷺ ، وتردون عليهم ما قبل ، ويأمن عندكم من خاف عنده ، ويخاف عندكم من أمِنَ عنده ، ويخاف

عندكم من شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وكان من فعل ذلك عند رسول الله ﷺ آمناً ، وحُقِن دمه ، وأُحرِز ماله ووجبتْ حُرمته ، وأنتم تقتلونه ولا تقتلون سائر أهل الأديان فتحرمون دماءهم ويأمنون عندكم .

قال اليشكري : أرأيتَ رجلاً ولي قوماً وأموالهم فَعَدَل فيها ، ثم صيّرها بعده إلى رجل غير مأمون ، أتراه أدى الحق الذي يلزمه ، أو تراه قد سلم ؟ قال : لا . قال : أَفَتُسَلِّم هذا ليزيد من بعدك وأنت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق ؟ قال : إنما ولاّه غيري والمسلمون أَوْلَىٰ بما يكون منهم فيه بعدي . قال : أَفَتَرىٰ ما صنعَ من ولاّهُ حقاً ؟

فبكى عمر ، ثم خرجا فقال مولىٰ بني شيبان : لقد رأيتُ رجلاً يتحرىٰ الخير ، وما سمعت حجة أَبْيَنَ ولا مأخذ أقرب من قوله فارجِعْ بنا إليه ، فرجعا فقال عاصم الحبشي : أما أنا فأشهد أنك على الحق . فقال عمر لصاحبه اليشكري : ما تقول أنت ؟ قال : ما أحسنَ ما قلتَ وما وصفت ولكني لا أفتات على المسلمين بأمر حتى أعرض عليهم ما قلتَ وأعلمُ ما حجتهم .

فمضى الرجلان وسرح عمر معهما رجلاً يعلم خبر القوم فأخبرهم اليشكري بما جرى بينه وبين عمر ، فأقاموا وقالوا : كَفُّوا عنه ما تركَكم . فقال لهم رسول عمر : فهو يكف عنكم ما لم تفسدوا ، فرجع إلى عمر ، ونزل بسطام وأصحابه حَزَّة[1] من الموصل ، وأقام عاصم الحبشي عند عمر فأمر

١ ـ حزة موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور ، وحزة أيضاً قرب إربل من أرض الموصل معجم البلدان .

له بعطاء ، فمات بعد خمسة عشر يوماً . وكان عمر يقول : أهلكني أمر يزيد وخصموني فيه فاستغفر الله .

وكتب عمر إلىٰ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بما كان بينه وبين الخوارج من القول والكتاب ، ويأمره أن يكفّ عنهم ما كفّوا وأن يجاهدهم إن قاتلوه ، فبعث عبد الحميد إليهم : محمد بن جرير بن عبدالله البَجلي في ألفين ، وبعث عمر : هلال بن أُحْوَز في ألف ، وكان بسطام في ثلاثمائة ويقال في ستمائة ، فكان ابن جرير وهلال بإزائهم لم يقاتلوهم حتى مات عمر ، فقال رجل من الخوارج لهلال :

خرجتَ إلى الشراةِ وأنتَ حرب لقد غررتَ يا بن أبيٰ هِلال
وإنّـا مَـعْشَرٌ قَتَـلوا عَـليّـاً وعَبَّادَ بن أخضرَ في الضَّلال
وإنَّ بَـصِـيْـرَتِي لَمّـا تُـبَـدَّل وإنّ الـدينَ دينُ أبي بِـلالِ

وانّصَرَف هلال وأصحابه بعد موت عمر وولاية يزيد بن عبد الملك ، وتوجه بسطام إلى الموصل فقتل عاملها ، فقاتله محمد بن جرير ، فهزمه بسطام ، وهرب أصحابه ، وكان بمحمد طعنة ولم تكن له ولمن معه ناهية دون الكوفة .

وتشاغلوا بخروج يزيد بن المهلب علىٰ بسطام ، فأرسل يزيد بن المهلب حبيب بن خدرة أو غيره ممن هو على رأيه يدعو إلى نصره ، فضرب بسطام رسوله عشرين سوطاً ، وقال : لولا مكانك من الدين لقتلتك .

فلما قتل يزيد بن المهلب ، وجّه مَسْلَمة ، أو عامل الجزيرة ، إلى بسطام وهو بالموصل السَّحَاح بن وِدَاع الأزدي فقتل وانهزم أصحابه ، ومضى بسطام يريد الجزيرة ، فانتدب له تميم بن الحُبَاب أخو عُمير بن الحباب

السُّلَمي وقال : إن قتلنا بسطاماً أغرنا على ربيعة ، فعقد له عامل الجزيرة على ثلاثة آلاف فواقع بسطاماً ، فقتل تميم ومالك بن عمير وهو ابن أخيه ، وكانت الحرب بينهما بتامَرَّا[1] وقتل من الخوارج عدة فقال الشاعر :

لَقَد أسلَمَتْ قَيْسٌ تَميماً ومالكاً كما أسلم السَّحَاحُ قَبْلَكَ تائبه
تركنا تميم بن الحُبَابِ مُلحَّبَاً[2] تبكي عليه عُرْسَهُ وَقَرَائِبُه
وأقبلَ من حَرَّان يحملُ رايةً يُغالبُ أمر الله والله غَالِبُه

في قصيدة .

وقال آخر :

تركنا تميم بن الحباب مُجَدَّلاً بِغَيْضَةَ تَامَرَّا قليلاً عَوَائُدِه
ينادي سُلَيْماً وهي صُمٌّ سُمُوْعُهَا وقد أسْلَمَتْهُ إذ دعاها حَوَاشِدُه

وأتى بسطام جوخىٰ[3] فوجه إليه مَسْلَمة بن عبد الملك من الكوفة سعيد بن عمرو الحَرَشي وقال بعضهم : وجه يزيد بن عبد الملك نفسُه في أربعة آلاف فلقيه بسطام بجوخىٰ فانهزم سعيد ثم كَرَّ فقتل بسطام وأصحابه وانهزم من بقي وقُتل أكثر أصحاب سعيد ، وقتل مع بسطام الريّان بن عبدالله اليشكري ، فقال حسان وهو أحد الخوارج :

يا عينُ أذْرِي دموعاً منكِ تَسْجَاما وابكي صَحَابَةَ بسطامٍ وبسطاما

في أبيات .

---

١ ـ تامرا : طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي . معجم البلدان .
٢ ـ لحب : بالسيف ضرب ، الشيء أثر فيه ، واللحم قطعة طولا . القاموس .
٣ ـ جوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد . معجم البلدان .

وقد قال قوم : إن عمر وجّه مسلمة إلى الحرورية فظفر بهم ، وكان عبد الحميد وجه إليهم مَن واقَعَهُم تقرباً إلى يزيد ، فهزمه الخوارج .

قالوا : ولما مات سليمان بدابق ، وبلغ عبد العزيز بن الوليد موته ، عقد ألوية وصار إلى طبرية وهو لا يعلم مَن ولي بعده ، ودعا إلى نفسه ، فلما بلغه أن عمر الوالي وَصَحَّ ذلك عنده حلّ ألويته ، وأتاه فبايعه ، فقال له عمر : أردتَ أن تشقَ عصا المسلمين وتفتنهم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين الحمد لله الذي استنقذني بك ، والله لو يليها غيرك ما ملكها عليّ .

فولد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

عبدالله الأكبر ، وأم عمار ، أمهما لميس بنت علي من بني الحارث بن كعب. وإبراهيم، ومروان، أمهما أم شعيب بن زبّان الكلبّية: وإسحاق ، ويعقوب ، وموسىٰ ، أمهم فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . وعبد الملك الناسك ، وعبدالله الأصغر ، وعاصم ، والوليد ، وعبد العزيز ، وزبّان ، ومحمد الأصغر ، لأمهات أولاد شتى .

فأما عبدالله الأكبر ، فكان شجاعاً ، جواداً ولي العراقين ليزيد بن الوليد بن عبد الملك خلافته كلها ، وهي ستة أشهر ، فلما مات يزيد أقام والياً على العراقين فأراد أهل العراق أن يبايعوا له بالخلافة لمكان أبيه وقالوا : هذا ابن الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز ، فقال في ذلك يحيىٰ بن منصور الذهلي :

خـلافـتكـم حلوةٌ عـذبـةٌ   وتُدعىٰ على اسمك أُحلى لها
فَدُونْكَهَا يا بن عبد العزيـ   ـز سَربلك الله سِربـالهـا

وقال بعض الشعراء :

لعبــدالله عــبــدالله تجــري صحــائِفُنَــا أمــيرِ المؤمنينــا
لمن زادتــه إمــرتــه اتِّضَــاعــا فــذلــك سُنَّــةُ المُتَخَشِّعِيْنَــا

وهو احتفر نهر ابن عمر ، ونُسب إليه ، وساوم عبدالله بن عمر رجلاً بشيء فقال له الرجل : ما أشدَّ مكابتك . فَوَجَم عبدالله ثم قال : ويحك إياك أن تُغضب قريشاً فإنّ القرشي إذا غضب لم يكن له بقية .

وخرج في أيام ولايته عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وقد كتبنا خبره .

حدثني جماعة من أهل العلم منهم عباس بن هشام الكلبي عن أبيه ، وقد ذكـر ذلك المدائني ، قالوا : لما ولي يزيد الناقص ، بعد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وجَّه منصور بن جمهور إلى العراق والياً عليها وأمره أن يحمل يوسف بن عمر إليه ، فنفذ منصور إلى العراق في خمسة آلاف ويقال إنه لم يولّه العراق ، ولكنه أمره بحمل يوسف بن عمر ، فوافى منصور العراق ، وقد هرب يوسف منه إلى منزل له بالبلقاء من عمل دمشق ، وأقام منصور بالعراق أشهراً ثم ولىٰ يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وهو الناقص ، عبدالله بن عمر بن عبد العزيز وقال له : أن أهل العراق يحبونك فأحسن السيرة فيهم ، فلما قدمها قال لمنصور بن جمهور : أنت أحد أخوالي ، والخال والد فلا يتلعبنّ بك فتيان قريش وأقم معي .

وقال الهيثم بن علي : دخل منصور بن جمهور الكوفة ، لأيام خلت من رجب، فأخذ بيوت الأموال، وأخرج العطاء والأرزاق، وأطلق من في السجون التي ليوسف من العمال وأهل الخراج ، وأقام بالكوفة نحواً من

شهرين وخليفته عليها عبيدالله بن العباس بن يزيد الكندي. واستعمل على البصرة جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي .

فلما قوي أمر يزيد بن الوليد وجاءته البيعة من الآفاق ، ولى عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، فقدم على منصور فسمع له منصور وأطاع ، وكذلك جميع قواد الشام ، وقد كان خاف ألاّ يسلم له منصور .

قالوا : وأجرى عبدالله بن عمر على منصور في الشهر مع نزله ثمانية آلاف درهم ، وكان يقاتل معه ، وولى عبدالله : المسيح بن الحواري بن زياد بن عمرو العتكي أزدشير خُرّة من كور فارس ، وسليمان بن حبيب بن المهلّب الأهواز ، وأقر نَصْر بن سَيَّار الليثي على خراسان ، وأعطى الناس أعطياتهم وأرزاقهم ، فنازعه قواد الشام وقالوا : تقسم على هؤلاء فيئنا وهم عدونا ؟ فقال عبدالله لأهل العراق : إني قد أرد فيئكم فيكم ، وعلمت أنكم أحقّ فنازعني هؤلاء وأنكروا علي ، فخرج أهل الكوفة إلى الجبّانة وتجمعوا ، فأرسل إليهم قواد أهل الشام يعتذرون ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئاً مما بلغهم .

وثار غوغاء الناس وسرعانهم من الفريقين فتناوشوا ، وأصيب منهم رهط لم يعرفوا ، وعبدالله بن عمر حينئذٍ بالحيرة ، وعبيدالله بن العباس الكندي بالكوفة ، وكان منصور استخلفه عليها فأراد أهل الكوفة إخراجه من القصر ، فأرسل عبيدالله بن العباس إلى عمر بن الغضبان بن القبعثري فأتاه فنحىٰ الناس عنه ، وزجر السفهاء ، حتى تحاجزوا من بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك ابن عمر فأرسل إلى ابن الغضبان وكساه وحمله وأعظم جائزته ، وولاه

شرطه وخراج السواد ، وأمر أن يُفرض لقومه من بني شيبان ، ففرض لهم في ستين وفي سبعين .

وولى عبدالله بن عمر صَلاة الكوفة : عاصم بن عمر أخاه ، وقدم عبدالله والحسن ويزيد بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على عبدالله بن عمر ، فنزلوا في النَّخْع في دار مولاهم الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن عمر وأجازهم وأجرىٰ عليهم في كل يوم ثلاثمائة درهم ، فكانوا كذلك حتى هلك يزيد بن الوليد، وبايع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد، ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فَقَدِمَتْ بيعتهما على ابن عمر وهو بالكوفة ، فبايع الناس لهما وزادهم في العطاء مائة مائة ، وكتب ببيعتهما إلى الآفاق فجاءته البيعة ، فبينا هو كذلك إذ أتاه الخبر بأن مروان بن محمد بن مروان قد سار في أهل الجزيرة إلى إبراهيم ، وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس عبدالله بن عمر عبدالله بن معاوية عنده ، وزاد في البِرّ ، وفي ما كان يُجري عليه ، وأعَدَّه ليبايع له إن ظفر مروان بابراهيم ، ويقاتل مروان معه .

فهاج الناس في أمرهم وقَرُبَ مروان من الشام ، وخرج إليه إبراهيم فقاتله فهزمه مروان وظفر بعساكره ، ومضى إبراهيم هارباً ، وثبت عبد العزيز بن الحجاج ، فقاتل حتى قُتل .

وأقبل اسماعيل بن عبدالله القَسْري أخو خالد هارباً حتى قدم الكوفة ، وكان في عسكر ابراهيم فقاتل معه ، فافتعل اسماعيل كتاباً على لسان ابراهيم بولاية الكوفة ، وأرسل إلى اليمانية فأعلمهم أن ابراهيم ولاه العراق ،

ووعدهم الإحسان والتفضيل ، وقال : إني لا امن آن يعترض عليّ ابن عمر . فتقبّلوا ذلك منه .

وبلغ الخبر ابن عمر فباكَرَهُ مع صلاة الغداة فقاتله ومعه عمر بن الغضبان ، فلما رأى اسماعيل ذلك ، ولا عهد معه ، وأنَّ صاحبه الذي افتعل العهد على لسانه وقد هُزم وهرب ، وخاف أن يظهر أمره فيفتضح ويقتل ، قال لأصحابه : إني كارهٌ لسفك الدماء ، ولم أظن أنّ الأمر يبلغ هذا ، فكفُّوا أيديكم . فتفرقوا عنه ، ثم قال لأهل بيته : إنّ إبراهيم قد هزم وهرب ودخل مروان دمشق ، فتحدث بذلك أهل بيته ، واشتهر الخبر ، واشْرَأَبَّتِ الفتنة ، ووقعت العصبية بين الناس .

وكان سبب الفتنة أن عبدالله بن عمر أعطىٰ مضر وربيعة عطايا عظاماً ، ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شور الذُّهْلي ، وعثمان بن الخَيْبَري أحد بني تَيْم اللاَّت بن ثعلبة شيئاً ، ولم يُسَوِّهما بنظرائهما ، فدخلا عليه فكلماه كلاماً غليظاً ، فغضب ابن عمر وأمر بهما أن يُنَحَّيَا فدفعهما عبد الملك الطائي ، وكان يقوم على رأسه فخرجا مغضبين .

وكان ثُمامَة بن حَوْشَب بن يزيد بن رُوَيْم الشيباني حاضراً ، فغضب لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلى الكوفة وابن عمر حينئذٍ بالحيرة ، فلما دخلوا الكوفة نادوا : يا ربيعة ، فاجتمعت إليهم ربيعة واجتمعوا وائتمروا وبلغ الخبر ابن عمر ، فبعث إليهم أخاه عاصماً ، فأتاهم وهم بدير هند ، فاجتمعوا وحشدوا ، فألقىٰ نفسه بينهم وقال : هذه يدي لكم فاحكموا ، فاستحيوا منه وتشكروا له ، وأقبلوا على صاحبيهم فسكنوهما فسكنا وكَفَّا .

فلما أمسىٰ ابن عمر بعث من تحت ليلته إلى عمر بن الغضبان بمائة ألف فقسمها في قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف درهم ، وإلى عثمان بن الخيبري بعشرين ألفاً ، فلما رأت الشيعة ضعف ابن عمر أغمزوا فيه واجترأوا عليه وطمعوا فيه ، ودعوا إلى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ، وكان الذي ولي ذلك هلال بن أبي الورد مولى بني عجل ، فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد فاجتمعوا فيه ، وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبدالله بن معاوية ، ثم مضوا من فورهم إلى عبدالله بن معاوية فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد حتى أدخلوه القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلحق بأخيه عبدالله بالحيرة .

وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه وفيهم عمر بن الغضبان بن القَبَعْثَرَي ومنصور بن جمهور ، واسماعيل بن عبدالله القسري ، ومن كان من أهل الشام له بالكوفة أصل وأهل .

وأقام ابن معاوية بالكوفة أياماً ، فبايعه الناس ، وأتته الشيعة من المدائن ، وفم النيل ، واجتمع له الناس ، فخرج يريد عبدالله بن عمر بالحيرة .

وبرز له ابن عمر بمن كان معه من أهل الشام ، فخرج رجل من أهل الشام يسأل البراز فبرز له القاسم بن عبد الغفار العِجْلي ، فقال له الشامي : لقد دعوت حين دعوت وما أظن أنه يخرج إلي إلاّ رجل مُكْرَهٌ ، إني والله ما أريد قتالك ولكني أحببت أن أُلقي إليك ما انتهىٰ إليّ . أُخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن : منصور ، ولا اسماعيل ، ولا غيرهما إلاّ وقد

كاتبَ ابن عمر ، وقد كاتَبَتْهُ مُضَر وندموا على ما كان منهم ، ولم أَرَ لكم معشر ربيعة كتاباً ولا رسولاً ، وليسوا مواقعيكم يومكم حتى تصبحوا فيواقعوكم ، فإن استطعتم ألّا تكونَ بكم الحرّة[1] دون اليمن ومضر فافعلوا ، فإني رجل من قيس ، وسنكون غدا بإزائكم فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغتُه إياه ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أعلمتكم حال الناس ، فدعا القاسم بن عبد الغفار رجالاً من قومه فأعلمهم ما قال له القيسي وأن من مع ابن عمر من مضر وربيعة سيقفوا بإزاء ميسرته وفيها ربيعة ، فقال ابن معاوية : إن هذه علامة ستظهر لنا إذا أصبحنا فإن أحب عمر بن الغضبان فليأتني الليلة، وإن منعه شغل بما فيه فهو في عُذر، وإني لأظن القيسي قد كذب . وأرسل إليه بذلك فأتى الرسول عمر بن الغضبان فرده إليه بكتاب يقول فيه : إن رسولي هذا بمنزلتي عنده فتأمره أن يتوثّق من منصور واسماعيل ، فأبىٰ ابن معاوية أن يفعل ، وأصبح الناس غادين على القتال وقد جعل ابن معاوية أهل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة ، ونادىٰ مناديه : من جاء برأس فله كذا ، ومن جاء بأسير فله كذا ، والمال عند عمر بن الغضبان .

والتقىٰ فاقتتلوا ، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضى اسماعيل ومنصور من فورهما إلى الحيرة ، وزحمت غوغاء الناس أهل اليمن فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقتل الهاشمي وهو العباس بن عبيدالله بن عبدالله زوج بنت الملاءة ، أصابه سهم . وقتل

---

١ ـ كذا بالأصل وأرجح أنها تصحيف «الميسرة» .

مكبّر بن الحواري بن زياد في غيرهم ، ثم انكشفوا وفيهم عبدالله بن معاوية حتى دخلوا القصر بالكوفة ، وبقيت الميسرة من مضر وربيعة ومن بإزائهم من أهل الشام ، وحمل أهل القلب من أهل الشام على الزيدية فانكشفوا حتى دخلوا الكوفة وبقيت الميسرة وهم نحو من خمسمائة .

قالوا : كانت عاتكة بنت الملاءة تزوجت أزواجاً منهم : العباس بن عبيدالله بن عبدالله ـ بَبَّة ـ بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فقتل أيام عبدالله بن عمر بن عبد العزيز في العصبية بالعراق ، قالوا : وهو أخو عبدالله بن معاوية بن معاوية لأُمِّه أمهما بنت عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث .

وأقبل عامر بن ضبارة : ونباتة بن حنظلة ، وعطية بن عبد الرحمن التغلبي ، والنضر بن سعيد بن عمر الحرشي ، حتى وقفوا على ربيعة فقالوا لعمر بن الغضبان : أما نحن يا معشر ربيعة فما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونتخوف عليكم مثلها فانصرفوا ، فقال عمر : ما كنت ببارح أبداً حتى أموت . فقال : إن هذا غير مُغْنٍ عنك ولا عن أصحابك شيئاً . فأخذوا بعنان دابته حتى أدخلوه بيوت الكوفة .

قال أبو عبيدة : دخل ابن معاوية وأخاه القصر ، فلما أمسوا قال لعمر بن الغضبان وأصحابه : يا معشر ربيعة : قد رأيتم ما صنع الناس بنا ، فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم ، وإن كنتم ترون الناس خاذلينا وإياكم ، فخذوا لنا ولكم أماناً ، فقد رضينا لأنفسنا ما رضيتم به لأنفسكم ، فقال عمر : ما نحن بتاركيكم من إحدى الخلتين . إما أن نقاتل معكم ، أو نأخذ لكم أماناً . كما نأخذه لأنفسنا فطيبوا نفساً . فأقاموا في

القصر والزيدية على أفواه السكك يغدوا عليهم أهل الشام ويروحون يقاتلونهم أياماً ، ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبدالله بن معاوية أماناً ألاّ يتبعوهم ، وأن يذهبوا حيث شاؤوا .

وأرسل ابن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر ، وإخراج عبدالله بن معاوية ، فأرسل إليه ابن الغضبان فَرَحَّلَه ومن معه من شيعته ومن تبعه من : أهل المدائن ، وأهل السواد ، وأهل الكوفة ، فسارت بهم رسل ابن عمر حتى أخرجوهم من الجسر ، ونزل ابن عمر القصر .

وكانت أم عبدالله بن معاوية ابنة عون بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب :

لَقَدْ أَنكَرْتَ أَنْ تَأتِي بخيرٍ وأُمُّكَ أختُ يعقوب بن عَوْن

قال أبو عبيدة : وكان وفاة يزيد بن الوليد بدمشق لإنسلاخ ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ست وأربعين سنة ، فكانت ولايته ستة أشهر وليلتين، وبويع إبراهيم، وأمه أم ولد، بدمشق فلم يلبث إلا شهراً أو نحوه حتى أقبل مروان من الجزيرة ، فدخل دمشق لثلاث خلون من صفر ، فهرب ابراهيم وخُلع ، وبايع الناس مروان بن محمد ، وأمه أم ولد ، ويكنىٰ أبا عبد الملك .

قال أبو عبيدة : فلما ظهر مروان ، واستقام أمره ، كتب إلى النَّضْر بن سعيد بن عمرو الحَرَشي بولاية العراق ، وإلى من معه من النزارية يأمرهم بالسمع والطاعة له ، والنضر يومئذٍ مع عبدالله بن عمر مقيم بالحيرة ، فقال مَنْ مع النضر من المضرية الشاميين : إنه لا طاقة لنا بمن مع ابن عمر من

اليمانية إلّا أن يأتيك مَدَدٌ من قبل مروان يعلم به هؤلاء صحة أمرك وتولية مروان إيّاك ، وغلبة مروان على الشام ، واتساق الأمر له ، فكتب النضر بذلك إلى مروان ، وبلغ ذلك ابن عمر فبادر فأخرج النضر من الحيرة ، فأتى الكوفة ، فانطوت عليه ربيعة ، وأنزلوه دار مصقلة بن هبيرة الشيباني ، وتَقَوَّضَت إليه مضر الشام فأتوه بالكوفة فأنزل عامر بن ضبارة دار المِسْوَر بن عطاء في بني شيبان ، وأنزل أبان النميري إخوته دار حوشب بن يزيد بن رُوَيْم ، وأنزل نباتة ومن معه دار عُتْبَة بن النَّهَاس العِجْلي ، وفَرَّق بقية أصحابه في دور بكر بن وائل .

ولما بلغ كتاب النضر مروان وجه إليه خالد بن الغُزَيِّل الكلابي ، أحد بني خُوَيْلد بن نُفَيل ، في ثلاثمائة فارس ، وأبان بن معاوية النميري ثلاثمائة ، وبلغ ابن عمر مسيرهما فبادر إلى النضر ليقتله أو يخرجه من العراق قبل قدوم المدد ، ووجه رجلاً من بني تميم إلى الغُزيل وقد قرب من الكوفة فقال له : أنا رسول النضر بن سعيد إليك وهو يقول لك : إنّا قد توادعنا هذين اليومين لننظر في أمرنا ، فأقم في مكانك وَأجم خيلك ، فإذا مضى اليومان فأقْبِل فإن ابن عمر قد وعدنا أن يصير إلى طاعة أمير المؤمنين مروان .

وأراد ابن عمر أن يُرَبِّثَهُ ليخلو به فيقتله ، أو يخرجه من الكوفة ، فظن ابن الغُزيِّل أن الخبر حق ، فاستراح إلى المقام ، فأقام ،وأقبل ابن عمر إلى النضر فيمن معه من اليمانية والنزارية ، وأتاه النضر في النزارية من أهل العراق والشام ، وكانوا قليلاً ، فلم يقم لهم النضر ، وأقبل منهزماً حتى دخل الكوفة ، وبقي أخوه مسلمة بن سعيد ، وأبو أمية بن المغيرة الثقفي يحمون الناس على أفواه السكك .

وحلف ابن عمر ليحرقن دور بكر بن وائل ، وبلغ ابن الغزيِّل الخبر وهو بموضعه ، فعلم أنه مُكِرَ به فأقبل مُغِذّاً في سرعان خيله حتى دخل الكوفة ، فحمل ابن عمر وأصحابه ، وحمل مسلمة بن سعيد عليهم أيضاً فهزموهم حتى أدخلوهم الحيرة ، ثم إن حَنْظَلَة بن نُبَاتَة ، وعامر بن ضبارة ، والريّان بن سَلَمَة اجتمعوا فقالوا : إنما نطلب هذا الأمر لأهله من بني مروان ، وأي رجل منهم ظفر بالمُلْكِ فغير خارج منهم ، فعلامَ تقتلون أنفسكم ؟ فانصرفوا إلى عساكرهم ، وبعث ابن عمر في جوف الليل إلى ابن الغُزيِّل مائة ألف ، ووعده إن غلب عِداتٍ أرغب له فيها ، فتثاقل عن نصرة الحرشي ، وخرج أيوب بن حوشب بن يزيد في رهط من أصحابه في طلب الحرشي، وكان قد صار إلى دير الأعور، فَرَدَّه من ليلته، وأصبح في منزله . ثم تغادوا للقتال وجعلوا يغدون ويروحون للقتال حتى بلغهم إقبال الضَّحَاك بن قيس الخارجي في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من الحرورية إلى العراق .

وقال الهيثم بن عدي : كتب مروان إلى النَّضْر بن سعيد بولايته على العراق ، فامتنع عليه ابن عمر ، فصار الناس فرقتين : أهل اليمن ، وخصائص من قريش مع ابن عمر ، ومضر كلها من أهل العراق وأهل الشام مع النضر بن سعيد في طاعة مروان .

وتحول النضر : إلى دار مَصْقَلَة بن هبيرة الشيباني ، وتحولت إليه المضرية كلها ، وابن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان ، والحكم بن عبد الملك ، وآل بشر بن مروان ، فنهض إليهم ابن عمر يوم جمعة فهزمهم حتى دخلوا البيوت ، ثم انصرف ، فلما كانت ليلة السبت قدم ابن الغُزَيِّل من

قبل مروان في أربعة آلاف من أهل الجزيرة وقِنَّسْرِيْن ، فدخلوا الكوفة ليلة السبت ، ثم غدوا بغلس فأخذوا في أطراف الكوفة حتى انتهوا إلى الغريين .

وخرج ابن عمر في اليمانية إلى غربي الحيرة وكردس الكراديس ، وكان منصور بن جمهور معه ، وكان يومئذ على الميمنة ، وأقبل الحرشي في القيسيّة حتى حمل على ابن عمر في اليمانية ، فانكشفوا حتى بلغوا أدنى بيوت الحيرة ، وانحدر منصور إلى غربي بيوت الحيرة ، ثم أخذ على النجف حتى ظهر على الطريق الغربية من حيث تجري الخيل فصار من وراء القيسية ، ثم حمل عليهم وهو في نحو من أربعمائة وهيأ له الحرشي جلد أصحابه : ابن الغزيّل ومن معه .

قال الهيثم : فأزالهم منصور قَدْرَ غَلْوَةٍ ، ثم ثبتوا له في الخصاصات[1] ، ثم حمل عليهم منصور مرة أخرى فقتل منهم نحواً من سبعين فانكفأوا حتى لجأوا إلى مصلى خالد بن عبدالله ، ثم حمل عليهم فأدخلهم البيوت ، ثم غدوا يوم الأحد فسألهم الحرشي الموادعة إلى أجل سماه .

وأقبل الضّحاك بن قيس الحروري ، فلما بلغ ابن عمر والنّضْر بن عمرو الحرشي إقباله اجتمعت كلمة ابن عمر والنضر على قتاله ، ودخل ابن عمر قصر الكوفة ، وتحولت اليمانية ، فنزلت في عشائرها بالكوفة ، وذلك في رجب سنة سبع وعشرين ومائة ، وأقبل الضحاك حتى نزل النخيلة ، وخندق

---

١ ـ الخص : البيت من القصب ، أو البيت يسقف بخشبة كالأزج ، وحانوت الخمار ، والخصاصة : ما يبقى من الكرم . القاموس .

ابن عمر خندقاً في أطراف الكوفة ، وسنكتب أخبار الضحاك فيما بعد إن شاء الله .

وقال ابن الكلبي : لما ظهر مروان دعا عبدالله بن عمر إلى نفسه ، وقال : أنا عين بن عين بن عين، أقتل ميم بن ميم بن ميم ، فأظهر أهل العراق الرغبة فيه إذ كان ابن عمر بن عبد العزيز ، وقالوا : هذا ابن الرجل الصالح ، وهو أولىٰ بالأمر من الجعدي ، فقال فيه يحيىٰ بن منصور الذهلي :

عليكَ بِها يا بنَ عبد العزيـ ـز سَـربَلَكَ الله سِـرْبَـالَهَـا

وولى عبدالله بن عمر : عمرو بن سهيل بن عبد العزيز البصرة ، وهو كيلجة .

ثم إن الضحاك بن قيس الشيباني الحروري أقبل من ناحية الموصل ممايلي شهرزور فيمن معه من الخوارج ، فلما بلغ ابن عمر إقباله إليه وهو بالحيرة استعد له وتحول إلى قصر الكوفة ، فنزل الضحاك بإزائه فواقعه فهزمه الضحاك ، وقُتل ممن معه : عاصم بن عمر أخوه ، قتله البرذون بن مُوَرِّق الشيباني أو غيره وجعفر بن العباس الكندي أخو عبيدالله بن العباس ، قتله عبد الملك بن علقمة العبدي . وكان جعفر على شرطة ابن عمر ، وكانت المعركة بين الكوفة والحيرة ، ومضى عبدالله بن عمر نحو واسط ، وسار النضر بن سعيد الحرشي يريد مدينة واسط ، فلم يدخلها لمنع عامل ابن عمر إياه من دخولها ودفعه له عنها ، وهو شبيب بن مالك الغساني ، وكان شبيب لما بلغه قرب النضر من واسط أغلق أبواب المدينة وتحصّن ، وبَدَرَ ابن عمر فدخلها وتحصن بها ، واتبعه الضحاك فحصره بها أشهراً حتى أظهر الجنوح إليه وصالحه على أربعة آلاف ألف درهم ، وعلى أن يسير الضحاك إلى مروان

فيحاربه ، فإن هو ظفر بمروان سمع وأطاع له ، وإلا فلا بيعة له عليه إن غلبه مروان . وتعاقدا على محاربة مروان وأصحابه .

وغلب الضحاك على الكوفة وسوادها ، وتوجه الضحاك يريد مروان ، وسار مروان يريد العراق لقتال الضحاك ، فلما بلغه وهو بقرب قرقيساء أنّ سُليمان بن هشام بن عبد الملك قد خرج عليه انصرف إليه فلقيه بخساف[1] أو قربها ، فاستباح عسكره ، وكان سليمان خليفة ابراهيم على عسكره ، ثم أمَّنَه مروان ، ثم خرج أيضاً عليه ، وانصرف مروان إلى الرقة وأتى حران وكان سليمان في مَوَالٍ لهشام ، فلقي الضحاك فصار معه وصلى خلفه ، فقال بعض الخوارج :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أنزلَ نَصْرَهُ وَصَلَّتْ قريشٌ خَلْفَ بكرِ بن وائلِ

ويقال إن ذلك قيل في ابن عمر ، حين جنح إلى السلم .

وبلغ مروان انتقاض أهل حمص عليه ، فأتاها وأقام عليها حتى فتحها ، وهدم حائطها ، ثم إن الضحاك أتى الجزيرة فحاصر نصيبين فلم يظفر بها ، فأتى حَرَّان ومنزل مروان بها فواقعه مروان ثلاثة أيام ثم قتل .

وولى مروان يزيد بن عمر بن هبيرة العراق فسار إلى واسط وعبدالله بن عمر بها وقد تهيأ للحصار ، وانضم إليه قوم من الخوارج من قبل الضحاك ، وعزم على قتال ابن هبيرة ، ثم تفرقّت الخوارج عنه ، فتجمعت مضر ممن كان بواسط فردموا باب القصر على ابن عمر ، وبعثوا العلاء بن مزروع إلى

---

١ ـ خساف برية بين بالس (مسكنة) وحلب ، مشهورة عند أهل حلب وبالس . معجم البلدان .

ابن هبيرة يخبرونه أنهم قد حصروه فأقبل لا يلوي على شيء وحصره ثم أعطاه الأمان على حكم مروان ، وكتب إلى مروان بذلك فكتب إليه مروان اقتله ولا تُناظره . فراجَعَه في أمره فكتبَ إليه أنْ احْمِلْهُ إليّ فقال : أنا ابن عمر بن عبد العزيز وأرجو ألا يقدم عليّ مروان .

فحمله ابن هبيرة فحبسه مروان ، ثم بعث إليه من اغتاله بشربة سُقيها ، ويقال دِيْسَ بطنه ، ويقال غُمَّ حتى مات .

وقُتل ابن عمر وكان لابن عمر ابن يقال له بِشْر كان في صحابة المهدي أمير المؤمنين .

وأما منصور بن جمهور الذي قيل له ؛ منصور بن جمهور أمير غير مأمور ، فإنه خلع مروان وأقام بالجبل يجبي خراجه ، ومال إلى شيبان خليفة الضحاك وولي عهده .

ثم مضي إلى السند فغلب عليها حتى قدم عليه مُغلس العبدي والياً على السند من قبل أبي مسلم فحاربه حتى قتله وهزم جنده ، فلما بلغ أبا مسلم قَتْل عامله عقد لموسى بن كعب التميمي على السند فقدمها وواقع منصوراً فهزمه وجيشه وقتل أخاه منظور بن جمهور ، وخرج منصور مفلولاً هارباً حتى ورد الهل[1] فمات عطشاً .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن جده قال : قُتل مع ابن عمر : عاصم أخوه فدفنه إلى جانب الأشعث ، قال : وقتل جعفر بن العباس بن يزيد الكندي مع ابن عمر حين قاتل الضحاك والخوارج بين

١ ـ لم أقف على تعريف لهذا الموقع .

الكوفة والحيرة ، وكان عبيد الله بن العباس بن يزيد يقاتل مع أخيه ، ثم جنح إلى الخوارج . فقال أبو عطاء السندي .

فَقُلْ لعبيد الله لو كان جعفرٌ هو الحيّ لَمْ يَجْنَح وأنْتَ قتيلُ
جَنَحْتَ وقد ردُّوا أخاك وأكفَروا أباكَ فماذا بَعدَ ذاكَ تَقولُ

فقال : أقول أعضَّكَ الله ببظر أمك .

وولي عبيدالله لأبي العباس أمير المؤمنين قنسّرين ، وللمنصور أرمينية . وبها مات .

وقال امرأة من الصفرية :

نحن قتلنا عاصماً وجعفرا والفارس الضّبيَّ حين أَصْحرا
ونحن جُبْنَا الخندق المُقَعَّرَا

ـ ومن ولد عبد العزيز بن مروان :

أبو بكر ، وكان من خيار ولده وكان يقدّر فيه إذا أفضت الخلافة إليه يوليه عهده ، وله عقب . وعاصم بن عبد العزيز .

وكان من ولده : الأَصْبَغ بن سفيان بن عاصم ، وكان الأصبغ مخنثاً ، ه ابنة عمر بن عبد العزيز .

ومن ولد عبد العزيز : الأصبغ بن عبد العزيز ، وأمه أم ولد . وكان ولده : دحية بن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز ، خرج أيام موسى المؤمنين بمصر ، فقتله عامله عليها بعد قتال ، وهو الفضل بن صالح بن بن عبدالله بن العباس ، وبعث برأسه ، فنصب ببغداد على الجسر ، ، ان الذي حاربه وبعث برأسه علي بن سليمان بن علي .

فتنة ابن سهيل :

ومن ولد عبد العزيز بن مروان :

سهيل بن عبد العزيز، وكان ابنه عمرو بن سهيل بن عبد العزيز يدعى كيلجة لِقِصَرِهِ ، من رجال قريش ، ولاه عبدالله بن عمر بن عبد العزيز البصرة . وكان الذي يلي شرط البصرة قبله المِسْوَر بن عَبّاد بن عمرو بن الحصين الحبطي من بني تميم ، فاستعمل عمرو بن سهيل رجلاً من بني سدوس ، فحقد ذلك المِسْوَر عليه وجانَبَتْه تميم غضباً للمسور . وقتل عبدالله بن علي عمرو بن سهيل فيمن قتل وصلبه فيمن صلب من بني أمية .

المدائني وغيره قالوا : اجتمع الناس على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فاستعمل على العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز ، فكتب عبدالله إلى عبدالله بن أبي عثمان بن عبدالله بن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد بولاية البصرة ، ولم يكن معه جند فضعف أمره ، وكان أهل البصرة قد تراضوا به حتى قُتل الوليد ، وهرب عامل يوسف بن عمر عنها .

وقدم سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي داعية لمروان بن محمد ، فنزل عند أبي العسكر المَسْمَعِي مستخفياً ، ودسّ إلى وجوه أهل البصرة يدعوهم إلى الدخول في طاعة مروان ، وجعل يَعِدُهُم الأموال ويمنّيهم أن تأتيهم من قبل مروان . فلما تأخر ذلك ولمْ يروا لقوله مصداقاً جعل الصبيان يقولون في السككك : من يبايع بِنَسِيَّة ابن جعدة الشَّقِيَّة . ظنوا أن جعدة امرأة .

وبلغ ابن عمر بن عبد العزيز وَهَنَ أمر عبدالله بن أبي عثمان ، فولى البصرة عمرو بن سهيل ، ووجه معه جنداً من النجارية من أهل الشام فيهم

أبو بحر الجذامي ، فهرب ابن جعدة ، واستعمل عمرو على شرطه محمد بن وكيع بن أبي سود .

ومات يزيد بن الوليد الناقص في آخر ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وكتب مروان الى المسور بن عمر بن عباد ، ووجوه بني تميم ، يدعوهم إلى طاعته والوثوب بابن سهيل . ويقال بل كتب المسور إلى مروان مبتدئاً ببيعته وطاعته واستأذنه في الوثوب بابن سهيل ، وجعل المسور يبايع الناس لمروان ويدعوهم إليه حتى فشا ذلك والمسور في داره بالحبطات .

و بلغ ابن سهيل خبره فناهضه ، ومعه الأزد ، وربيعة ، وقريش والنجارية ومن معه من أهل الشام ، وكان مع ابن سهيل سفيان بن معاوية ، وداود بن حاتم ، وكان المسور في : بني تميم ، وباهلة ، وبني عامر بن صَعْصَعَة ، فكان يتقاتلان ثم يتحاجزان ، ويصير المسور إلى داره . فلامه حَرب بن قَطَن الهلالي على مصيره إلى منزله وحذّره أن يطرقه ابن سهيل ليلاً ، وقال : أخاف ألا يأتيك غياثك حتى يقضي القوم أربهم منك . فتحوَّل إلى بني العَنْبر ، وتحول من كان منزله نائياً عن بني تميم مثل : الحَكَم بن يزيد الأسيدي ، والترجمان بن هُرَيْم بن أبي طُخْمَةَ المجاشعي ، والمغيرة بن الفُزْع ، فكان يقاتلهم .

واتهم ابن سهيل محمد بن وكيع فَعَزَلَهُ عن شرطته ، وولاها المِنْهَال بن حاتم بن سويد بن منجوف .

وخندق المسور على أبواب السكك لما رأى من احتفال الأزد ، وربيعة مع ابن سهيل واختذال نجاريته ومن معه من الشاميين . وكان مع المسور عمرو بن قتيبة ، فكانوا يقتتلون خلف الخنادق ويخرجون فيقتتلون .

ثم ان بني سعد بن زيد مناة بن تميم قالوا : قد كتب مروان إلى وجوهنا ، كما كتب إلى المِسْوَر فلا نرضى أن تكون رئيساً . ففارقوه ورأسوا عليهم القاسم بن محمد الثقفي ، وتابعهم على ذلك : ضَبَّة ، وعَدِي ، والرّباب .

وبلغ ذلك ابن سهيل فوجه إليهم أبا بحر الجُذامي في الخيول فلما ناوشهم استطرد لهم حتى باعدهم عن أفواه السكك، ثم كرّ عليهم فهزمهم وقتل منهم .

وكان رؤبة بن العَجّاج يركب فرسه ويجول في هذه الفتنة ويقول :

صبراً بني الكرامَ ياحماةَ الأدبار إنّ الفرار يا بني تميم عَار[1]

ثم إنهم حكموا عبد الكريم بن سليط الحنفي في أن يجعل الرئاسة لمن يرى فحكم للمسور لبأسه ، وكثرة ولده ، ومواليه ، وفرسانه ، وكان الحَكَم مائلاً إلى المسور ، فاقتتلوا فهُزِمَ ابن سهيل وأصحابه وكُشفوا ووقعت العصبية ، فنزل أبو الفَيْض الشامي وأصحابه فصار مع قيس ، وكان أحد بني عبدالله بن غطفان ، وجعل يرمي أصحاب ابن سهيل وهو يقول : اللهم اخز عدوك . ولم يزالوا يقتتلون حيناً .

وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى : اقتتلوا سبعة أشهر .

قالوا : وألقى القاسم الحنفي ناراً في قصب وأتبانٍ كانت على نهر بني جشم بن سعد فقال حرب بن قطن الهلالي للمسور: وجّه إلى بني حنيفة من يحرقهم . فقال : فيهم قوم براء لا نؤاخذهم بفعلة فاسق سفيه .

---

١ ـ ليس في ديوان رؤبة المطبوع .

ثم مضى حرب مخالفاً له فحرّق على بني حنيفة ليلته حتى أصبح ، قالوا : فبينا هم على أمرهم هذا إذ أقبل مروان يريد العراق ، والضحاك الشاري قد حصر عبدالله بن عمر في مدينة واسط ، ومعه منصور بن جمهور فجنح منصور إلى الضحاك وهذا الثبت ، وكلب تقول : لم يجنح إليه ، وبايعه ابن عمر وسلم الأمر إليه على شريطة اشترطها .

قال أبو عبيدة : ولحق النضر بن عمرو بمروان ، ووجه الضحاك إلى البصرة عماراً الحروري في أربعين رجلاً فنزلوا ببلاباذ[1] ونادى مناديهم : أيما رجل علق على بابه صوفة حمراء فقد جنح للسلم ، وبايعته الأزد ، وربيعة ، وكانوا شيعة ابن سهيل ، وثبتت مضر في مواضعها ، فلما رأى ابن سهيل ان ابن عمر قد غلب ، وأن مروان قد أقبل هرب ليلاً فأصبحت دار الإمارة وليس فيها أحد ، وهرب عمار لهرب ابن سهيل ، وإنما كان مجيئه للعقد بين ابن عمر والضحاك .

وغدا المسور ، وكان قد اختضب ، فسرَّح الحنّاء ولم يغسله ، وكان شعره كأنه اللّيف طويلاً سبْطاً وهو على بغلة ، فمنعه بنو سعد أن يدخل دار الإمارة حسداً له ، فلما رأى ذلك عَدَل إلى بيضاء ابن زياد فنزلها .

وجاءت بنو سعد بعباد بن منصور الناجي فأنزلوه دار الإمارة ، فكان يصلي بالناس ، واصطلحوا عليه ، ثم إن بني قيس بن ثعلبة أحدثوا أحداثاً ، فسار إليهم المسور فقاتلهم ، ثم حرق دورهم وسوقهم التي بالمربد ، ولم يزل المسور على هذه الحال حتى قدم سَلْم بن قتيبة عاملاً

---

١ ـ قرية في شرقي الموصل من أعمال نينوى ، بينها وبين الموصل رحلة خفيفة . معجم البلدان .

ليزيد بن هبيرة على البصرة ، ومات المسور بعد ذلك بقليل ، وكان المسور قد خرَّب دور آل المهلب لما بلغه قدوم سَلْم ، فلما قدم سلم حال بينه وبين ما بقي من دورهم . وكان عمرو بن سهيل حياً حتى قتله عبدالله بن علي فيمن قتل من بني أمية بالشام .

حدثني الحرمازي عن أبي عبيدة قال : قال عمر لابنه عبدالله : ما على خاتمك ؟ قال : لكل عمل ثواب . قال عمر : فاسْتَثِبْ ربّ الأرباب .

قالوا : وكان عبدالله بن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن سهيل يأمره أن يوفد إليه وفداً فأرسل إليه جماعة يأمرهم بذلك ، وأرسل إلى عمرو بن عبيد فامتنع عليه ، فأعاد إليه شبيب بن شيبة فقال عمرو لشبيب : قل له أن أول ما يسألني عنه عن سيرتك فما تراني قائلاً فيك ؟ فكفّ عن عمرو ، فخرج في الوفد : شبيب بن شيبة ، واسماعيل المكي ، وواصل بن عطاء .

قال خالد بن صفوان : فدخلوا على عبدالله بن عمر وأنا عنده فتكلموا رجلاً رجلاً فما بقي فن من فنون الكلام إلا تكلموا فيه ، وبقي واصل آخرهم وقد سبق إلى أبواب الفنون ، فتكلم رجل ضئيل الصوت ، خفي المنطق فلم يزل يعلو صوته ويرتفع ، وكأنما جُمعت له محاسن الأقوال فهو يتخيرها على بصيرة ، فأمر لهم بألفين ألفين فقبلوا إلاّ واصلاً ، فقال لهم واصل : والله لئن كنتم شخصتم لله فما فيما أُعطيتم عوض مما شخصتم له ، ولئن كنتم شخصتم للدنيا فما أُعطيتم ما تستحقون .

وجعل يعطي واصلاً ويزيده حتى بلغ مائة ألف درهم ، فقال واصل : إني لم آبَ ما أمرتَ به ، ولا استقلالاً له ، ولا استزادة لـك ، ولو

كنتُ إنما أتيتُ لذلك لقد بذلتَ ما مثله كَفَىٰ وأَقْنَعَ ، ولكني شخصتُ لغير ما أعطيتَ .

وقال الأصمعي : قدم ابن هبيرة فأقرّ المسور على الأحداث ، وعبّاد بن منصور على القضاء والصلاة ، قال غَيْلان بن حُرَيْث الرَّبْعي :

أما وَرَبِ الكعبةِ المُفَضَّله عـلىٰ البيـوتِ كُلِّهـا المُؤَثَّله
إنّ بني الاعز أعني حنظله وآل عمروٍ أُحموا في المنزله
بمـأزقٍ يُخـافُ فيـهِ المَقْتَلَه ضَنْكٍ تَرىٰ أبـطالَه مُجـدَّلَه
تميمونَ[1] حَوْلَ الترجمان قنبله حـولَ أغرٍّ لم يكن يُـزَمِّلهِ
مِن آلِ سفيان كريمِ المَعْدَلَه مُرْتَفِعِ الطَّرْفِ طويل المَحْمَلَه
يَضْرِبُ في الغَمَّا لُيُوثَ الغَيْطَلَه

في أبيات . وقال أيضاً :

يـا مسور بنَ عُمَـر بنَ عَبَّاد يا سيِّدَ المِصْرَيْن وابنَ الأَسياد
وخيرَ مَن غَابَ وخير الشُّهَاد كم فيكمُ أبيضَ وَارِي الأزنَاد
مقابل العمّ كـريم الأجداد إنكَ يومِ السبتِ غَيْرَ حَيَّاد
بالسيفِ ضرابٍ رؤوسَ الصُّدَاد

وقال رؤبة بن العجاج :

إنّ تميمـاً تبتـلىٰ بـأقــوام ليسوا بأخـوالٍ ولا بأعـمام
لا يَتَّقُونَ[2] لحدودِ الإسلام من رِقَّةِ الدينِ وبُعْدِ الأرحام

---

١ ـ بهامش الأصل : يمشون .
٢ ـ بهامش الأصل : موقون .

منهم لَكِيْزٌ وهي شر الأَصرام   والأزدُ والأزدُ صُغَار الأحلام
وقد رأوا في مستهلٍ زمزام   في لجب بَحْرٍ كَأَرْكَانِ الرَّام
كتيبة للترجمانِ المقدام   والمسور السامي بغير إحجام
منازل تملأ عين المغتام   إذا الكُماة استمسكوا بالاعصام(١)

في أبيات .

وقال أبو عبيدة : لما قام مروان ، وقدم يزيد بن عمر العراق شذَّب قتادة الخوارج ومن لحق بهم من شيعة يزيد بن الوليد ، وطار آل المهلب تحت كل كوكب ، وولى يزيد : سلماً البصرة .

ومن ولد عبد العزيز بن مروان : أبو زَبَّان ، واسمه الأَصْبَغ بن عبد العزيز ، وكان عالماً ينظر في النجوم والطب ، وكان ذا قدر في بني أمية ، وهلك بمصر قبل أبيه بخمس عشرة ليلة(٢) .

١ - ديوان رؤبة ص ١٣٦ - ١٣٩ .
٢ - بهامش الأصل : بلغ العرض ولله الحمد .

أمر يزيد بن عبد الملك بن مروان[1]

يكنى يزيد أبا خالد ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وإليها ينسب ، بويع له بالخلافة سنة إحدى ومائة ، وكان سليمان بن عبد الملك ولى عمر بن عبد العزيز العهد في مرضه ويزيد بعده .

وقال سليمان : لولا أني أخاف اختلاف بني مروان بعدي ووقوع الفتنة ما وليت يزيد ولاقتصرت على عمر بن عبد العزيز .

وقال عمر بن عبد العزيز حين احتضر : لو اخترت للإمامة غير يزيد كان أولىٰ ، ولكني أخاف إن أخرجتها من بني عبد الملك أن تقع في ذلك فتنة وفرقة ، وأنا أُوَلِّي سليمان ما تولّىٰ ، والمسلمون أولىٰ بالنظر في أمرهم ، فكانت ولاية يزيد بن عبد الملِك أربع سنين وشهراً ، ودفن بالجولان من سواد الأردن وذلك سنة خمس ومائة ، ويقال في أول سنة ست ومائة ، وله سبع وثلاثون سنة وأشهر ، ويقال ابن اثنتين وأربعين سنة ، ويقال مات بالبلقاء من عمل دمشق .

---

١ ـ بهامش الأصل : خلافة يزيد بن عبد الملك في سنة ١٠١ .

قالوا : وكان يزيد جميلاً ، حسن الشعر أهدل[1] ، وكان صاحب لهو وطرب وهزل ، وهو أول من غالىٰ بالقيان .

حدثني عبدالله بن صالح العجلي عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش الهمداني قال : كان يزيد صاحب طرب وفتوة ، وهو أول من اشترى حلة بخمسة آلاف دينار .

قالوا : وكان نديمه الأحوص بن عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، واسمه قيس بن عصمة بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان يرمىٰ بالأُبْنَةِ ، وكان منفياً ، نفاه الوليد بن عبد الملك بشهادة عَرَاك الغفاري إلى دَهْلَك ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك أقدمه ، ونفىٰ عراكاً فقال الأحوص :

الآن استقرَّ الملك في مُسْتَقَرِّهِ ... وعاد لِعُرْفٍ أَمْرُهُ المتنكَرُ
طريدٌ تلافاهُ يزيدٌ برحمةٍ ... فَلَمْ يُمْسِ مِنْ نَعْمَائِهِ يَتَعَذَّرُ[2]

حدثني أبو حسن المدائني عن أبي جَزي قال : عمد يزيد بن عبد الملك إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافقه فَرَدَّه ، ولم يرهب فيه شنعة عاجلة ، ولا إثماً آجلاً .

المدائني قال : وظف محمد بن يوسف أخو الحجاج على أهل اليمن وظيفة جعلها عليهم خراجاً ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر ، وقال: لأن لا يأتيني من اليمن حفنة كَتمَ أَحَبّ إلي من أن تُقَرّ هذه الوظيفة .

١ ـ أي مسترخي الشفة . القاموس .
٢ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ٤٥ .

فلما ولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر أمر بردّها ، وكتب إلى عروة بن محمد عامله إنّ ابن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك ، فأَعِدْ على أهل اليمن الضريبة التي كان عمر أسقطها ولو صاروا حرضاً[1] .

حدثني أبو مسعود عن عَوَانة قال : أَقَرَّ يزيد عدي بن أرطاة الفزاري عامل عمر بن عبد العزيز على البصرة ، وولى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري المدينة ، فشكته فاطمة بنت الحسين بن علي ، وهي أم عبدالله بن حسن بن حسن بن علي وإخوته وكتبت إليه كتاباً وأرسلت رسولاً وقالت إنه يدعوني إلى تزوجه وأنا أمرأة لا حاجة لي في التزوج لأني مُشْبِلَة على ولدي ولا آمن من أن يتكذب على ولدي حتى يوقعهم فيما أكره ليغيظني بذلك ، وأمير المؤمنين أحقّ من نظر فيَّ ودافع عني ، فإني ابنة عمه وإحدى نسائه . فكان ذلك سبب غضبه عليه وعزله ومطالبته بمال أخرج عليه ، فلما أراد الخروج من المدينة بكىٰ ثم قال : والله ما أبكي جزعاً من العزل ولا أسفاً على الولاية ، ولكني أربأ بهذه الوجوه أن يهينها من لا يعرف لها مثل الذي أعرف ، ولا يوجب من حقها ما أوجب . ثم أنشد :

فما السجنُ أضناني ولا القَيْدُ شَفَّني ... ولكنني مِن خِشْيَةِ النار أَجْزَعُ
علـى أنّ أقواماً أخاف عليهم ... إذا غِبْتُ أن يُعْطوا الذي كنتُ أَمْنَعُ

المدائني عن محمد بن خالد قال : كان لسعيد بن خالد بن أسيد قصر بحيال قصر يزيد بن عبد الملك ، فكان يزيد إذا ركب إلى الجمعة توافيا في

١ ـ أي حتى لو أشرفوا على الهلاك . القاموس .

موضع واحد ، فقال له يزيد في بعض الجمع : أما تُخِلّ بجمعة واحدة ؟ فقال سعيد : إن قصري بحيال قصرك فإذا ركبت ركبتُ فالتقينا في هذا الموضع ، فقال يزيد : فإن لي إليك حاجة . قال : إذاً لا تُرَدَّ عنها يا أمير المؤمنين . قال : قصرك . قال : هو لك . قال : فلك به خمس حوائج فاذكرها . قال : أولاهن أن ترد القصر علي . قال : قد فعلت فاذكر الأربع فذكرها فقضاها له .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قال يزيد : لذة الدنيا في أربع : الغناء ، والطّلاء ، ومجالسة من تحب ، وإعطاء السائل .

حدثني محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي عن يزيد بن عياض قال : لما ولىٰ يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس المدينة خطب فاطمة بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فأبت وقالت : ما النكاح من حاجتي أنا مشبلة مقيمة على ولدي ، فألح عليها الخطبة فقال : والله لئن لم تفعلي لأخذنّ أكبر ولدك ، يعني عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب في شراب ، ثم لأضربنه على رؤوس الناس ، ولأفعلنّ بعد هذا ، ولأفعلن حتى أفضحك ، فبعثت إلى يزيد بن عبد الملك رسولاً ، وكتبت معه كتاباً ، فذكرت قرابتها ورحمها ، وشكت عبد الرحمن وذكرت ما أرادها عليه ، وبعثت به إليه وسألته أن يجيرها منه ، وقالت : إنما أنا حرمتك واحدى نسائك ، والله لو كان التزويج من شأني ما كان لي بكفء ، وإن عمر بن الخطاب كان يقول على منبر رسول الله ﷺ : لأمنعنَّ ذوات الأحساب إلا من الأكفاء .

قال وكان ابن هرمز على الديوان بالمدينة ، وأراد الخروج ، فأرسلت إليه وأخبرته بما تَلْقَى من ابن الضحاك ، وسألته أن ينمي ذلك إلى يزيد ، فلما دخل على يزيد سأله عن المدينة وأهلها فبينا هو يخبره ، إذ أتى حاجب يزيد فأخبره بمكان رسول فاطمة ، فذكر ابن هرمز ما حملته وأعلمه أنها أرسلت إليه ، فألقت إليه أمرها وأمر ابن الضحاك ، فدعا يزيد برسولها وقرأ كتابها فغضب غضباً شديداً ، ونزل عن سريره إلى الأرض ، وضرب بقضيب كان معه الأرض حتى أثار الغبار ، وقال : ابن الضحاك يتزوج امرأة من بني عبد مناف ؟ ثم قال : من يسمعني صوت ابن الضحاك بعذابه إيّاه وأنا على فراشي ؟ قال ابن هرمز : أنا أدلك عليه . عبد الواحد بن عبدالله النصري ، وهو بالطائف ، فكتب إليه يزيد كتاباً يأمره فيه بالمسير إلى المدينة وولايتها ، وأن يغرم عبد الرحمن بن الضحاك أربعين ألف دينار ، ويقفه للناس ، وأمر لرسول فاطمة بجائزة وصرفه .

فمر الرسول الموجه إلى الطائف بابن الضحاك فوقع في نفسه خوف العزل ، فأعطاه ألف دينار فأخبره الخبر وأحلفه أن لا يبرح المدينة . وجلس ابن الضحاك على رواحله حتى لحق بمسلمة بن عبد الملك فقال له : يا أبا سعيد كن لي جاراً من أمير المؤمنين فإن لي رحماً وقرابة ، وان خليتني من يديك افتضحت .

فلقي مسلمة يزيد في غبش الليل فكلمه فيه فقال يزيد : لا أُرَيَنَّ وجهه ولا يخرج إلى عسكري حتى يرجع من حيث جاء فينفذ فيه أمري . فرجع من دمشق حتى وافى المدينة فوجد النصري بها فأغرمه أربعين ألف

دينار ، فلم يصل إليها حتى سأل الناس فيها ، وكان أخذ هذه الأربعين الألف الدينار من بيت المال ففرقها على نفر من قريش وغيرهم .

قال الواقدي:وحدثني عقبة بن سنان قال : لما رجع ابن الضحاك إلى المدينة اتبع الناس فأخذ ذلك المال منهم ، فمنهم من وجد عنده ما أعطاه ، ومنهم من لم يوجد عنده لأنه فرقه في غرمائه ، فكان يطاف به في جبة صوف يسأل فيها .

وقال الواقدي : حدثني زفر بن محمد الفهري عن أشياخه قال : لما أَحَسَّ عبد الرحمن بالعزل فَرَّقَ هذا المال في قومه فكتب يزيد أن يحتسب ذلك ويغرمه .

قالوا : فتنازع محمد بن علي بن الحسين ، وعبدالله بن حسن بن حسن ، وزيد بن علي فقال عبدالله بن حسن بن حسن لزيد : يا بن السندية الساحرة ، فيقال إنه قال له : يا بن الهندكانية ، فانصرف زيد إلى عمته فاطمة بنت علي بن الحسين ، وهي أم عبدالله بن حسن فقالت : إنْ سَبَّ أمك فَسُبَّني فعاد للخصومة فشتمه فقال له زيد : أتذكر ابن الضحاك حين كانت تبعث إليه أمك معك بالعلك الأخضر والأحمر والأصفر فتقول له : فمك فمك فتطرح ذلك في فمه . فأتاها بنوها فأخبروها فغضبت وقالت : كنتم فتياناً فكنت أداريه فيكم وأمنّيه أن أتزوجه حتى كتبتُ فيه إلى يزيد فعزله .

حدثني محمد بن سعد ،والوليد بن صالح قالا : ثنا الواقدي قال : وفد خالد بن المطرّف ، والمطرف بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان على يزيد بن عبد الملك ، فخطب إليه اخته فقال له : إن عبدالله بن عمرو بن

عثمان أبي قد سنّ لنسائه عشرين ألف دينار فان أعطيتنيها وإلا لم أزوّجك . فقال له يزيد : أو ما ترانا أكفاء إلّا بالمال ؟ قال : بلى والله إنكم لبنو عمنا وأشراف قومنا ، فقال يزيد : إني لأظنك لو خطب إليك رجل من قريش لزوجته بأقل مما ذكرت من المال ؟ قال : أي لعمري لأنها تكون عنده مالكة مملّكة ، وهي عندك مملوكة مقهورة . وأبى أن يزوجه ، فأمر أن يحمل على بعير صعب وينخس به إلى المدينة ، وكتب إلى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري وهو عامله على المدينة أن وَكِّلْ بخالد بن عبدالله المطرف من يأخذه بيده كل يوم وينطلق به إلى شيبة بن نصاح المقرىء : ليقرأ عليه القرآن فإنه من الجاهلين .

فلما قرأ على شيبة قال حين قرأ : ما رأيت أحداً أقرأ للقرآن منه ، وإن الذي جَهَّلَهُ لأَجْهَلَ منه . ثم كتب يزيد إلى عامله : بلغني أن خالداً يذهب ويجيء في سكك المدينة ، فمر بعض من معك أن يبطش به ، فضربوه حتى مرض ومات وله عقب بالمدينة .

وحدثني أبو مسعود عن عوانة قال : قال يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن عاتكة بنت يزيد بن معاوية : كان عمر بن عبد العزيز خيراً لنفسه ، وأنا خير للناس .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن عبدالله بن جعفر الزهري عن عبد الواحد بن أبي عون قال : لما ولي الوليد بن عبد الملك ، استعمل عمر بن عبد العزيز على المدينة ، ثم عزله وولي عثمان بن حيان المري على المدينة ، فاستقضى أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكانت ولاة البلدان تستقضي القضاة من أهل الفضل والمروءة والهيئة والعلم ، وكان القاضي

لا يركب مركباً ولا يذهب لحاجة إلا استأذن أمير البلد لأن يطيب له الرزق ، فقال أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم لابن حيان بعد العصر مساء عشرين يوماً من رمضان ، وعند عثمان أيوب بن سلمة المخزومي ، فقال أبو بكر : إن رأى الأمير أن يأذن لي غداً فأنام بعد الصبح ولا أجلس للناس لأن أقوى على قيام ليلة احدى وعشرين ، فإنه يذكر أنها ليلة القدر . فقال له ابن حيان : نعم . فلما ولى قال أيوب : ألا ترى إلى هذا الذي استأذنك فيما استأذنك فيه ؟ فقال ابن حيان : والله ما هو إلاّ رياء ، ولست لحيان إن لم أسأل عنه غدوة فإن وجدته نائماً ضربته مائة ، وحلقت رأسه ولحيته .

قال أيوب : فقال أمراً سرني ، فلما انصرفنا رجعت إلى منزلي مسروراً ، فلما كان في السحر خرجت فإذا سراج في دار مروان فقلت : عجل والله المري فأدخل الدار فإذا أنا بأبي بكر بن حزم وقد جاءته ولايته من قبل سليمان بن عبد الملك وهو جالس على المنبر والشمع بين يديه ، وابن حيان جالس بين يديه وابن حزم يقول : صيروا هذه الكبول في رجل ابن حيان ، قال أيوب : فنظرت إلى ابن حيان ونظر إلي فقال :

جاؤوا على أدبارهم كُشُفَاً والأمر يَحْدُثُ بعده الأمر

فلما صلى وحضر الناس دعا بقوارير كانت في منزل ابن حيان ، فقال : ما هذا الشراب ؟ قال ؛ شراب أشربه من الطلا . فقال أبو بكر لمن حضره : أنشدكم الله ما تقولون في هذا الشراب ؟ قالوا : هو الخمر . قال : أكنت تشرب من هذا الشراب ؟ قال : نعم فأمر بتلك القوارير فكُسِرت وضربه الحد ، وجاء عبدالله بن عمرو بن عثمان بالبينة أنه قال له : يا مخنث أو يا منكوح فضربه له حداً آخر . فلما ولي يزيد بن عبد الملك ولى على

المدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، وخرج عثمان بن حيان مع مسلمة بن عبد الملك حين خرج يريد يزيد بن المهلب فحمل رأسه حين قتل يزيد[1] إلى يزيد بن عاتكة[2] فقال له يزيد : ما تحب أن أصنع بك يا بن حيان ؟ قال : تُقيْدُني من ابن حزم ، قال : كيف أقيدك من رجل اصطنعه أهل بيتي وله فضل ، ولكني أولِّيك المدينة تفعل ما رأيت . قال : إنْ ضربتَهُ في سلطاني قال الناس إنما ضربه في سلطانه. قال: فاكتب إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً ننتفع به ، فكتب إليه يزيد : «أما بعد فإذا جاءك كتابي فانظر فيما ضَرب ابن حزم ابن حيان فيه ، فان كان ضربه في أمر بَيِّنٍ فلا تلتفت إليه ، وأَمْضِ الحدّ - يعني على ابن حيان - وإن كان في أمر منكر مشكل يُختلف فيه فأمضِ الحدّ أيضاً ، وإن كان في أمر لا يُختلف فيه فَأَقِدْه منه» .

فلما قرأ ابن الضحاك الكتاب رمى به من يده وقال : ما ضَرَبَكَ إلاّ في أمر بَيِّنٍ وما لك في هذا الكتاب منفعة . فقال له عثمان : إنك إن أردتَ أن تُحسنَ أحسنتَ . قال : الآن أصبتَ المطلب . قالوا : فأرسل إلى أبي بكر فلم يسأله عن حرف حتى ضربه حدين في مقام واحد ، وانصرف أبو المغرى عثمان بن حيان وهو يقول : والله ما قربت النساء منذ ضربني ابن حزم فاليوم أقربهن .

وكان ابن حزم قال :

نَحنُ ضَرَبْناً الفَاسِقَ ابن حَيَّان حَــدَّيْن لَمَّـا يُخْلَطَا بِبُهْتَـان

١ - المقتول المحمول رأسه : يزيد بن المهلب .
٢ - بالأصل : يزيد بن أبي عاتكة ، وأبي زائدة حذفتها .

فقال ابن حيان :

نحن ضربنا الفاسقَ ابنَ حَزْم حـدَّيْن لما يُخْلَطا بـإثـم

قال الواقدي : ولما أُغرم عبد الرحمن بن الضحاك أربعين ألف دينار نهى ابن حزم حاشيته ومن معه أن يعرضوا له بشيء يكرهه ، وأمر له بجميع ما احتاج إليه ، فكان ابن الضحاك يذكر ما صنع به ، وما صنع ابن حزم فيعجب ويقول : كان والله خيراً مني .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن رجل من آل الأَهْتَم قال : كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة ، وهو عامله على العراق : «إنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خوصة تمر على القطائع ، فَحُزْ فضولها لأمير المؤمنين ، فجعل عمر يأتي القطيعة فيسأل عنها ثم يمسحها حتى وقف على أرض فقال : لمن هذه ؟ قال صاحبها : لي . قال : ومن أين صارت لك ؟ فقال :

وَرِثْنـاهُنَّ عن آبـاء صِـدْقٍ ونُـورِثُهـا إذا متنـا بَنِيْنَـا

ثم إن الناس ضجوا من ذلك فأمسك عمر بن هبيرة .

قالوا : وبعث يزيد بن عبد الملك رسولاً في حمل ابن سريج [1] فلما انتهى إلى أداني مكة سمع رجلاً يغني :

فلم أر كالتجمير منظر ناظرٍ ولا كليالي الحج أَفْتَنَّ ذا هوى

١ ـ هو عبدالله بن سريج ، وكنيته أبو يحيى ، كان أحسن الناس صوتاً وغناءً ، وكان يغني مرتجلاً ، ويوقع بقضيب ، وهو أول من ضرب بالعود بمكة . مات في خلافة هشام بن عبد الملك وقد بلغ خمساً وثمانين سنة . جمهرة المغنين لخليل مردم بك . ط . دمشق ١٩٦٤ ص ٧١ ـ ٧٢ .

وإذا الرجل ابن سريج ، فقال الرسول : ما أجهل هؤلاء ، بعثوا إلى غير هذا وتركوه ، فأتى الوالي فبعث ابن سريج فإذا هو الذي رآه الرسول ، فقال : لقد أنكرت أن يكون ابن سريج غيرك .

وقال الهيثم بن عدي وغيره : كان المغنون يأتون يزيد فيصلهم ، وكان معبد[1] وابن سريج يزورانه فيقيمان عنده زماناً فيجيزهما ، وكان الأحوص يزوره من المدينة فيجزل عطيته ويحسن جائزته ، وكان ممن يتغنى بين يدي يزيد الغُزيّل الشامي ، وقد غنى يزيد لنفسه ومن غنائه :

أضْحى لسَلاَّمَةَ الزرقاء في كَبِدِي صَدْعٌ مقيمٌ طَوالَ الدَّهْرِ والأَبَدِ

وقال ابن الكلبي : هذا الغناء ليزيد والناس ينحلونه معبد والغزيل الشامي .

وحدثني حفص بن عمر العمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش قال : قدم عمر بن هبيرة على يزيد وهو عامله على العراق ، وأهدى له هدايا كثيرة ، وأتاه بغنائم وفيها مسك فأخذ ابن له من ذلك المسك وولى ، فقال يزيد : أي بني إنّ هذا غلول ، فقال ابن هبيرة : ان رجلاً من قراء أهل العراق كان بخراسان كان ينهى عن الغلول ، ويَغل المسك ، فقيل له في ذلك فقال : إن الله يقول : ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾[2] أما والله

---

١ ـ هو أبو عباد معبد بن وهب ، مولى ابن قطر ، وكان أبوه أسود ، وكان هو خلاسيا ، وكان مديد القامة أحول ، غنى في أول دولة بني أمية ومات أيام الوليد بن يزيد . جمهرة المغنين ص ٨٥ ـ ٨٦ .

٢ ـ سورة آل عمران ـ الآية : ١٦١ .

لآتينّ طيب الريح خفيف المحمل . قال يزيد : يا بني أما إذ رَخَصَ القُرَّاءُ فيه فَخُذْهُ .

وكان يزيد صاحب سَلّامَةَ وحَبَّابَة اللتين ذكرهما أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الخارجي فقال ، وذكره : أقعد سلامة عن يمينه ، وحبابة عن يساره ، ثم قال : أطير ، ألا فَطِرْ إلى لعنة الله وحرقه .

ـ وكان من قصة سلامة أنها كانت لرجل من أهل مكة فاشتراها منه سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ويقال إن سهيلاً هو رباها وعلمها ، ولم يشترها مغنية . والأول أثبت .

وكان عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمار ـ أحد بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقد أصابته منّة من صفوان بن أمية الجمحي ـ ينزل مكة ، وكان فقيهاً عابداً يسمى القَسّ لعبادته واجتهاده ، فمر يوماً بمنزل مولى سلامة فسمع غناءها فتوقف يسمعه فرآه مولاها فقال له : هل لك أن تدخل فتسمع فأبى ذلك فقال له : هل لك في أن أخرجها إليك ؟ فأبى ذلك ، فلم يزل حتى أخرجها ، فلما رآها وسمع غناءها ظاهره شغف بها ، وهَوِيَتْهُ أيضاً ، وكان جميلاً فكان يأتي مولاها ويغشاه ليسمع غناءها ويراها ، فزعموا أنها قالت له يوماً على خلوة : أنا والله أحبك . قال : وأنا والله . قالت : وأحب أن أضع بطني على بطنك . قال : وأنا والله أحب ذلك . قالت: فما يمنعك ؟ ان موضعنا خالٍ . قال: اني سمعت الله يقول : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين﴾[1] . وأنا أكره أن تؤول

١ـ سورة الزخرف ـ الآية : ٦٧ .

خلتنا إلى عداوة . ثم قام فانصرف وعاد إلى عبادته ، وقد كان قال فيها شعراً منه :

أَلَم تَرَهَا لا يُبْعِدُ الله دَارَهَا اذا طَرِبَتْ في صوتها كيف تَصْنَعُ
تَمُدُّ نظام القـولِ ثُم تَرُدُّهُ إلى صَلْصَلٍ مِن صَوْتِها يَتَرَجَّعُ

ومنه أيضاً

مـا بالُ قلبكَ لايَزَال يُهِيْجُهُ ذِكـرُ عَـوَاقِبُ غَيُّهُنَّ سِقَـامُ
بـاتَتْ تُعللنـا وَتَحْسَبُ أننـا في ذاك أيقـاظٌ ونحن نيـامُ
حتى اذا سطع الصباح لناظرٍ فـاذا وذلـك بيننـا أحـلامُ
قد كنت أعذل في السفاهة أهلها فـاعجبْ لما تـأتي بـه الأيامُ
فـاليـوم اعـذرهم وأعلم انمـا سبل الضّلالـةِ والهُدىٰ أقسام

ومنه :

ألا قل لهذا القلب هل أنت مبصر وهل أنت عن سلامةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألا ليتَ أني حيث صارت بها النوىٰ جليسُ لِسَلْمىٰ كلّما عَجَّ مِزْهَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسها يـطير إليها قلبـه حـين ينـظر
كـأنّ حمـامـاً راعبِّيـاً مُعَلَّمَـاً إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ[1]

ومنه :

علىٰ سلاَّمـةَ القلبِ السلامُ تحـيـةَ مَـنْ زِيـارتُـهُ لِمَـام
أحِبُّ لقـاءهـا وأَلُـوم نَفْسي كَـأَنَّ لِقَـاءَهَـا مِنِّي حَـرَام

---

١ ـ الغشمرة : اتيان الأمر من غير تثبيت ، وركوب الانسان رأسه في الحق والباطل لا يبالي ما صنع . القاموس .

إذا ما عج مِزْهَرَها وعجت أصـاخ إلى مقـالتهـا الكـرام
وأصغـوا نحـوهـا الآذان حتىٰ كـأنَّهُمُ ـ ومـا نـامـوا ـ نيـام

ومنه قوله :

سلام وَيْحَكِ هل تُحْيِينَ مَنْ مَاتَا أَوْ تُرْجِعِينَ علىٰ المحزونِ ما فاتا
ادْعِيْ بِمِزْهَرِكِ المَحْنُوّ فَاحْتَفِلِي ثم امنحي السَّمْعَ مِني مِنْكِ أَصواتاً

ومنه :

سَـلَّامُ هَـلْ لِيَ منكُمُ نـاصِرُ أَمْ هَـلْ لقلبي عنكُمُ زاجِـرُ
قد سمع الناسُ بِوَجْدِي بكم فَـمِنْهُـمُ الـلاَّئِـمُ والـعـاذِرُ

قال فشهر أمر عبد الرحمن القس حتى نسبها الناس إليه فقالوا : سلامة القس ، وفي سلامة يقول عبدالله بن قيس الرُّقَيَّات :

لقد فَتَنَتْ رَيَّا وسلَّامةَ القَسَّا فلم تَتْرُكَا لِلْقَسّ عَقْلاً ولا نَفْسَا
فتـاتـانِ أَمَّـا مِنْهُـمَا فَشَبِيْهَـةُ هِلالاً وأخرى منهما تُشْبِهُ الشَّمْسَا
يُكِنَّـانِ أَبْشَاراً رِقَـاقاً وَأَوْجُهـاً عِتَاقاً وأَطـرافاً مُخَضَّبَـةً مُلْسَا[1]

وغنىٰ في الشعر مالك بن أبي السَّمح . وفيها يقول ابن قيس أيضاً :

أُختان إحداهما كالشمس طالعةً فـي يوم دجْنٍ وأخرى تشبه القمرا[2]

أبو الحسن علي بن محمد المدائني عن ابن جُعْدُبَة قال : قدم يزيد بن عبد الملك المدينة في خلافة سليمان أخيه ، فتزوج سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان على عشرين ألف دينار ورُبيحة بنت محمد بن

١ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ٣٣ ـ ٣٥ .
٢ ـ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ١٣٨ .

عبدالله بن جعفر على مثل ذلك ، فلما ولي الخلافة اشترىٰ سلامة القس من سهيل بن عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف دينار ، ويقال ان التي تزوج : رقية بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وتزوجه سعدة أثبت .

وقال المدائني : كانت حَبَّابَة تسمىٰ الغالية ، وكانت لرجل من الموالي بالمدينة ، فلما قدم يزيد وتزوج ابنة عبدالله بن عمرو وربيحة بنت محمد ، اشترى الغالية من مولاها بأربعة آلاف دينار . وبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجزنّ على هذا المائق السفيه ، فلما بلغه قول سليمان استقال مولىٰ الغالية فأقاله وشخص بها مولاها إلى إفريقية فباع الغالية هناك .

فلما استخلف يزيد واشترى سلامة من مولاها ، قالت له ابنة عبدالله بن عمرو بن عثمان امرأته : هل بقي لك من الدنيا شيء مما تحبه لم تنله ؟ قال : نعم الغالية ، وقد بلغني أنها بيعت بإفريقية .

فبعثت بعض مواليها إلى إفريقية فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، وقدم بها فهيأتها ابنة عبدالله بن عمرو وأجلستها في البيت ، وقالت ليزيد : إن رأيت الغالية تعرفها ؟ قال : نعم لقد رأيتها فما أنساها ، فرفعت الستر فرآها فقال : هي هذه . قالت : فهي لك ، وأخلَتْها فسماها حَبَّابَة ، وحظيت ابنة عبدالله بن عمرو عنده .

وخطب يزيد إلى خالد بن عبدالله بن عمرو أخي مسعدة ، ابنة أخ له فقال : أما يكفيه أن أختي عنده حتى يخطب إليّ بنات أخي ؟ فغضب يزيد من ذلك ، فقدم خالد يسترضيه فبينا هو في فسطاطه أتته جارية لحبابة في خدمها فقالت : مولاتي تقرأ عليك السلام وتقول : قد كلمت أمير المؤمنين فيك فرضي عنك فارفع إليّ حوائجك ، فرفع رأسه إلى من حضر فقال :

ومَن مولاتها ؟ فقالوا : حبَّابة وحدثوه حديثها فقال للجارية : ارجعي إلى مولاتك فقولي لها إن للرضىٰ عني سبباً لست به .

فشكت حبابه ذلك إلى يزيد فغضب ، وأرسل إلى خالد، أعواناً ، ومعهم خدم حبابة فاقتلعوا فسطاطه وقطعوا أطنابه حتى سقط عليه وعلى من معه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟ قالوا : رسل حبابة . فقال : ما لها أخزاها الله ؟ ما أشبه رضاها بغضبها .

وذكروا أن يزيداً أقبل يوماً يريد البيت الذي فيه حبابة ، فقام من وراء الستر فسمعها ترنم وتقول :

كان لي يا يزيدُ حُبَّكَ حِيْنَاً   كـادَ يَقضي عليّ يـوم التقينـا

فرفع الستر فوجدها مضطجعة محولة وجهها إلى الحائط ، فعلم أنها لم تعلم به ولم تُرِده بما قالت في ذلك الوقت ليسمعه فألقىٰ نفسه عليها يقبلها وحركت منه .

قالوا : وجلس يزيد يوماً وحبّابة عن يمينه ، وسلّامة عن يساره ، فغنّتا فطرب ، ثم قال لحبابة : غنّي صوتاً . فغنت :

وبـين التَّرَاقِي واللَّهـاةِ حَـرارةٌ   مَكَانَ الشَّجَا[1] ما تَطْمِئنُّ فَتَبْرُدُ

فقال : أطير . ومدَّ يديه . فقالت : كما أنتَ . إن لنا فيك حاجةَ . فقال : والله لأطيرنَّ . قالت : فعلىٰ مَنْ تخلف الخلافة والمُلْك ؟ قال : عليكِ والله .

---

١ ـ بهامش الأصل : الحشا .

المدائني قال : غنت حبابة يوماً ، فطرب يزيد طرباً شديداً ، فقال : يا حبيبتي هل رأيتِ أطربَ مني قطّ ، قالت : نعم معاوية بن عبدالله بن جعفر الطيار ، فكتب إلى عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس عامله على المدينة في إشخاصه إليه ، فأشخصه مكرماً ، فلما بلغه ما أراده له قال : سَوْءَةً أعلى كبر السن يستدعى طربي .

فلما قدم على يزيد ، دعا يزيد لنفسه بطنفسة خَزّ ودعا له بمثلها ، وأمر فأُتي بجامين مملوئين مسكاً فوضعت بين يديه واحدة ، وبين يدي معاوية واحدةً ، ثم دعا بحبابة فغنت ، فأخذ معاوية وسادة فوضعها على رأسه وجعل يدور في البيت ويصيح : الدّجْرُ[1] بالنَّوىٰ ، الدجر بالنوى ، فأعجب به يزيد ، فضحك وأمر له بثمانية آلاف دينار .

وحدثني صاحب لي عن الزبير بن بكار الزبيري أن يزيد بن عبد الملك قال لحبّابة وسلاّمة : أيتكما غنتني ما في نفسي فلها حكمها ، فَغَنَّتْهُ سلاّمة ، فلم تُصب إرادته ، ثم غنته حبابة :

خلقٌ من بني كِنَانَةَ حَوْلِي ... بفلسطينَ يُسرعونَ الرّكوبا

فأصابت ما في نفسه ، فقال : احتكمي . قالت : تَهَبُ لي سلاّمة ومالها . قال : اطلبي غيرها ، فأَبَتْ ، فقال : خذيها ومالها ففعلت ، فتداخل سلامة من ذلك أمر جليل ، فقالت له حبابة : لن ترىٰ مني خيراً ، فسألها يزيد أن تبيعها منه بحكمها فقالت : اشهد أنها حرة فاخطبها إليّ حتى أزوجك إياها فأكون قد زوجتك مولاتي ، فضحك .

---

١ ـ الدجر : اللوبياء . والحيرة والهرج والسكر . القاموس .

وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن ابن كناسة أخبره أنّ حبّابة وسلّامة اختلفتا في صوت لمعبد وهو :

أَلَا حَيٍّ الدِّيارَ بِسَعْدَ إني أُحِبُّ لِحُبِّ فاطمةَ الدِّيَارا

فبعث يزيد إلي معبد ، فأتي به فسأله عما بعث له إليه فأخبر ، فقال : لأَيَّتُهُما المنزلة ؟ فقيل : لحبابة . فلما عرضتا الصوت عليه قضىٰ لحبابة فقالت سلامه : والله ما قضى لها إلا لحظوتها ، وإنه ليعلم أني المصيبة ولكن ائذن لي يا أمير المؤمنين في صلته فإ ن له حقاً ، فأذِن لها . قال معبد ؛ فكانت أوصل لي من حبابة .

قالوا : ودخلت حبابة ذات يوم على يزيد ، وعلى يدها دف وهي تغني :

ما أحسنَ الجيدَ من مَليكةٍ واللبّـ ـاتِ إذْ زانها تَرائبـها
يا ليتَني والإله إذ هجعَ الناسـ ـسُ ونامَ الكلابُ صاحبها
في ليلةٍ لا نرى بها أحـ ـدٌ يُخْبِرُ عَنا إلا كواكبها

والغناء لابن سريج ، فقام إليها يزيد فقبل يدها ، فخرج بعض خدمه وهو يقول : سخنتْ عينك فما أسخفك .

وقال أبو الحسن المدائني : مرضت حبابة فقعد يزيد عند رأسها ، وقال : كيف أنت بأبي ؟ فلم تجبه ، فبكىٰ . ويقال كان يزيد وحبابة في بستان فضاحكها ومازحها فأخذ حبة من عنب فحذفها بها فدخلت في فمها فأصابها شَرَقٌ ، وكان ذلك سبب مرضها الذي ماتت منه .

وقال هشام ابن الكلبي عن عوانة قال : قال مسلمة بن عبد الملك : خرجتُ مع يزيد في جنازة حبابة فجعلت أعزيه وأسليه وهو ضارب بذقنه

على صدره ما يجيبني بكلمة ، فلما انصرفنا ودنا من باب القصر قال :

فإنْ تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعُ الصّبا فباليأسِ تَسْلُو عنك لا بالتَّجَلُّدِ[1]

ثم دخل قصره فوالله ما خرج منه إلا ميتاً لحزنه وكمده عليها .

وقال أبو الحسن المدائني : لما دفن يزيد حبابة مرض فمات بعد أربعين ليلة ، ويقال بعد خمس عشرة ليلة .

وقال رجل من أهل الشام : أتى يزيد من ناحية الأردن ، وحبابة معه ، فماتت فمكث ثلاثاً لا يدفنها حتى أنتنت ، وهو يشمها ويقبلها وينظر إليها ويبكي ، فكُلم في أمرها حتى أمر بدفنها ، فحُملتْ في نَطْع وخُرج بها وهو معهم حتى أَجَنَّها ، ثم أنشد قول كثير :

فإن تَسْلُ عنكِ النفس أو تَدَعُ الصِّبا فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

فما مكث إلا أياماً حتى دفن إلى جانبها .

وروى الهيثم بن عدي عن ابن عياش أن يزيد أراد الصلاة على حبابة ، فسأله مسلمة بن عبد الملك ألا يفعل وقال : أنا أكفيك الصلاة عليها ، فتخلف يزيد ، ومضى مسلمة فأمر بعض أصحابه فصلى عليها .

وقال بعضهم : نبئتُ أن يزيد ضعف حين ماتت حبابة ، فلم يستطع الركوب من الجزع ، وعجز عن المشي فأمر مسلمة فصلى عليها ، ثم قال يزيد : إني لم أصلّ عليها فانبشوا عنها وأخرجوها حتى أصلي عليها ، فقال له مسلمة : أنشدك الله أن تفعل فأمسك ، ولم يزل كئيباً ، ولم يأذن للناس عليه إلا مرة واحدة حتى مات ، وصلى عليه مسلمة .

---

١ ـ ديوان كثير ص ٨٨ .

وقال المدائني : جعل يزيد يطوف في داره فيقف علىٰ المواضع التي كانت تقعد فيها ، فبينا هو كذلك إذ سمع وصيفة كانت لها تنشد :

كفىٰ حَزَناً للهائمِ الصَّبِّ أنْ يَرَىٰ   منازلَ مَنْ يَهوىٰ مُعَطَّلَةً قَفْرَا

فبكىٰ . وكان يُجلس تلك الوصيفة عنده فيحدثها ويذاكرها أمر حبابة ، ويأنس بها حتى مات .

وحدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال : أراد يزيد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز في بعض أيامه ، فبدا لحبابة هجران منه فأرسلتَ إلى الأحوص وكان مقيماً عنده : أَنْشِد أمير المؤمنين شيئاً يدعوه إلى ترك ما أخذ فيه فأنشده :

أَلَا لا تَلُمْهُ اليومَ إن يَتَبَلَّدا   فقد غُلِبَ المحزونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا
بكيتُ الصِّبا جهدي فمن شاء لامني   ومن شاء آسَىَ في البكاء وأَسْعَدَا
إذا كنتَ مِعْزَافاً عن اللهو والهوىٰ   فكُنْ حجراً من يابسِ الصخر جَلْمَدَا
هل العيش إلا ما تَلَذُّ وتشتهي   وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَآنِ وفَنَّدَا[1]

فقام يزيد وهو يقول : «هل العيش إلا ما تلذ وتشتهي» حتى دخل على حبابة ، وعاد الى أمره الأول ، ثم ماتت فجزع عليها ، وخرج حاملاً جنازتها حتى كلمه مسلمة في ذلك ، فرجع الى قصره ، ومات بعدها بخمسة عشر يوماً .

وقال المدائني : لم يعلم بموت يزيد بن عبدالملك حتى سمعوا صوت سلامة من فوق القصر وهي تقول :

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١١٧ ـ ١٢٢ .

قد لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلِي كأخي الداءِ الوَجيعِ
وَيَبِيْتُ الحزنُ مِنِّي دُونَ مَنْ لي مِن ضجيعِ
كلما أبصرتُ رَبعاً خالياً فاضتْ دموعي
موحشاً مِن سَيِّدٍ كان لنا غَيْرَ مُضِيْعِ

واأمير المؤمنيناه

قال : والشعر لبعض الأنصار إلا البيت الأخير .

وقال بعض الرواة : اشترى يزيد حبّابة وسلّامة بمائتي ألف دينار ، والأول أثبت .

أمر عمر بن هُبَيْرَة في أيام يزيد بن عبدالملك

حدثني جماعة من أهل العلم سقتُ حديثهم وردَدْتُ من بعضه على بعض قالوا : قدم عمر بن هُبَيْرَة بن مُعْيّة بن[1] سكين بن حُدَيْج بن بَغِيْض بن مَالِك بن سَعْد بن عَدِي بن فَزَارة بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان بن سعد بن قَيْس من البادية فافترض مع مَدَدٍ أُمَدَّ بِهِ بعض ولاة الحرب . وكان يقول : إني لأرجو أن لا تنقضي الأيام حتى ألي العراق .

وكان شخص مع عمرو بن معاوية العُقيلي في غزو الروم فأُتي عمرو بفرس رائع إلا أنه كان إذا دنا منه من خلفه دانٍ رمح ، وإن دنا من بين يديه كَدَمَ ، فكان لا يُستطاع ركوبه ، فقال عمرو بن معاوية : مَنْ ركبه فهو له ، فقام ابن هبيرة فشد عليه ثوبه ثم تنحى عن الفرس وأقبل يحضر حتى اذا كان بحيث تناله رِجْلاً ذلك الفرس إن رَمَحَه وثب فصار في سرجه ، وطعنه في

---

١ ـ بهامش الأصل : معية هو معاوية .

بعض حروبه طاعن فأذراه [١] عن فرسه فسقط إلى الأرض ، ثم إنه وثب فاستوى على ظهر فرسه .

ولما خلع مُطرِّف بن المُغِيْرَةُ بن شُعبةَ الحجاج ، وأَمَرَ الحجاج عَدي بن وتاد الإيَادي بالمصير إليه من الريّ لمحاربته ، كان عمر بن هُبيرة بالريّ معه وهو مغمور يومئذ ، فسار في جنده ، فلما التقى عَدي ومُطرف ، جنح ابن هبيرة إلى صف مطرف فَحَكَّمَ وتشبَّه بمن معه فآمنه مطرف وأَمِنَه ، فلما جال الناس ودخل بعضهم في بعض وثب ابن هبيرة على مطرف فضربه فقتله واحتزّ رأسه ، ويقال بل قتله غيره واحتز رأسه ودفنه في خيمته ، فلما أُجْلَتِ الحرب وانهزم من بقي من أصحاب مطرف أتى عدياً بالرأس فأعطاه مالاً وأوفده بالرأس إلى الحجاج ، فأوفده الحجاج إلى عبدالملك ، فأجاز عبدالملك ابن هبيرة وأقطعه قطيعة ببرزة [٢] .

ورجع الى الحجاج فحركه في أمور : وجهه إلى كَرْدم بن مَرْثَد الفزاري وهو على جازر [٣] والمدائن في حمل مال فحمله وكان مبلغه ثمانين ألف درهم ، ثم هرب فلحق بعبدالملك فقال : أنا عائذ بالله يا أمير المؤمنين من رجل يطلبني بِتِرَةٍ وإِحْنَةٍ ، قتلت ابن عمه مطرفاً وأتيت أمير المؤمنين برأسه ثم رجعت فأراد قتلي ، ولست آمنُ أنْ ينسبني إلى أمر يكون فيه هلاكي . فقال : أنت في جواري فأقام .

١ ـ ذرت الريح الشيء ذروا وأذرته ، وذرته : أطارته وأذهبته . القاموس .
٢ ـ بأحواز مدينة دمشق ، ما تزال تحمل الاسم نفسه .
٣ ـ جازر : قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد ، قرب المدائن ، وهي قصبة طسوج الجازر . معجم البلدان .

وكتب فيه الحجاج يحكي أمره وهربه بالمال ويسأل رده إليه ، فكتب عبدالملك : أَمْسِكْ عن ذِكره وَالْهُ عنه .

وزوّج عبدالملك ابناً له ابنة للحجاج ، فكان عمر بن هبيرة يلطفها بما يلطف به مثلها ، ويشير عليها بالرأي ، فكتبت إلى أبيها تثني عليه ، فكتب إليه الحجاج كتاباً لطيفاً وأمره أن ينْزِل به حاجاته .

وروي أيضاً ان ابن هبيرة قدم الشام في أيام ابن الأشعث يطلب الفريضة ، وهو أعرابي ، ففرض له مع خُرَيم بن عمرو المُرّي في ثلاثين درهماً ، ثم زيد عشرة مع من شهد الجماجم فكان في أربعين .

وكان يأتي كَردماً ، وصار إليه بفارس ، فلم يلق منه خيراً ، فمر بالمهلّب بن أبي صُفْرَة فلما سلم عليه وكلمه قال : أرآك الحجاج ؟ قال : لا . قال : أمَا لو رآك لا ستغنيتَ عن كردم وأشباهه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فكان يشكر المهلب على ذلك .

وقدم بأسراء آل المهلب على يزيد بن عبد الملك حين قدم بهم ، فشفع فيهم ، وقيل إن الحجاج وجّه إلى مُطَرِّف قبل عدي بن وتاد عَلقَمَة بن عبد الرحمن أو خُرَيْم بن عمرو ، وكان عمر بن هبيرة معه ، وقال بعضهم : قاتل خريم مطرفاً فقتله ، وبعث برأسه إلى الحجاج مع ابن هبيرةٍ والله أعلم .

حدثني علي بن المغيرة عن الأصمعي قال : بعث الحجاج خُريماً فقتل مُطَرِّفاً وبعث برأسه مع ابن هبيرة فزاده الحجاج على رزقه عشرة فصار رزقه خمسين درهماً ، ثم أوفده الحجاج بالرأس إلى عبد الملك ، فزاده في رزقه عشرة تتمة ستين ، وأقام بالعراق حتى وليه يزيد بن المهلب فوصله بثلاثة آلاف درهم ، دفعها إليه مروان بن المهلب .

ثم أتى كَردماً وهو على خراج فارس من قبل الحجاج ، والمهلب بإزاء الخوارج بشيراز ، فلم يصنع به كردم خيراً فأتى المهلب فلما كلمه قال : أنت والله أحق بالعمل من ابن عمك ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وذلك قبل صلة يزيد إيّاه بالثلاثة الآلاف بِحِينْ .

قال : وَهَمَّ ابن عاتكة بسبي نساء آل المهلب ، فطلب إليه ابن هبيرة فِيْهِنّ ، فكتب كتباً كثيرة حتى كَفَّ ، فكان ذلك مما يُعَدّ من شكر ابن هبيرة للمهلب ويزيد ابنه .

المدائني قال : غلبت حبابة على يزيد بن عبد الملك ، وانقطع إليها عمر بن هبيرة ، وكان يهدي إليها ، فلطفت منزلته من يزيد حتى كان يدخل عليه في أي الأوقات شاء .

قال : وحسد قوم من بني أمية مسلمة بن عبد الملك وقدحوا فيه عند يزيد ، وقالوا : وليته العراق فإن اقتطع من خراجه شيئاً أجللته عن تكشيفه لِسِنّه وبلائه وحقه ، وقد علمت أن أمير المؤمنين عبد الملك لم يطمع أحداً من أهل بيته في ولاية الخراج ، فوقع ذلك في نفس يزيد وعزم على عزله .

وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة ، فكانت تعمل له في ذلك حتى ولاه إياها يزيد .

وقال المدائني والهيثم بن عدي : كان الذي بين عمر بن هبيرة وبين القعقاع بن خليد العبسي سيئاً وكانا يتحاسدان فقيل للقعقاع : إن ابن هبيرة قد أشرف على ولاية العراق . قال : ومن يطيق ابن هبيرة . حبابة بالليل وهداياه بالنهار ، فلم تزل حبابة تعمل لابن هبيرة حتى ولي العراق .

وماتت حبابة فقال القعقاع :

هَلُمَّ فقد ماتت حَبابةُ سَامِني بنفسك تَقْدُمْكَ الذُّرا والكواهِلَ
أَغَرَّكَ أنْ كانت حبابة مَرَّةً تُمَيْحُكَ فانظرُ كيف ما أنتَ فاعِلُ
فأُقْسِمُ لولا أنَّ فِيْكَ نَغَالَةً وبُخْلاً وغَدْراً سَوَّدَتْكَ القبائل

المدائني قال : قاول ابن هبيرة القعقاع فقال لابن هبيرة : يا بن اللخناء . فقال عمر : يا بن الفحواء[1] قَدَّمَتْك أعجاز النساء وقدمتني صدور القَنا .

وأراد مسلمة أن يَفِدْ إلى يزيد فقال له الأَصَمّ عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي : إنك لذو عهد به قريب فأقم ، فأبى فقال له عبد العزيز : إن لم تُقِم فأول من يلقاك عامل على عملك ، فلقيه ابن هبيرة مقبلاً إلى العراق فأعظم مسلمة وترجل له ، فقال له : إلى أين يا بن هبيرة ؟ قال بعثني أمير المؤمنين لاصطفاء أموال بني المهلب . فقال : في حفظ الله ، فلما خرج قال له الأصم : والله ما هو إلا والٍ مكانك .

وولي العراق وخراسان فقال الفرزدق :

راحتْ بِمَسْلَمَةَ البِغَالُ مُوَدَّعاً فَارْعَى فزارةَ لا هُنَاكَ المَرْتَعُ
ولقد علمتُ إذا فزارهُ أُمِّرَتْ أنْ سوف تطمعُ في الإمارة أشجعُ
وأرى البلادَ تَنَكَّرَت أعلامُها حتى أُميّةُ عَنْ فزارةِ تَنْزَعُ
نَزَعَ ابن بِشْرٍ وابنُ عَمْرٍو قَبْلَهُ وأخو هَرَاةَ لمثلها يُتَوقَّعُ[2]

---

١ ـ لعلة أراد : يا بن ذات الرائحة الفائحة ، والفحواء : التوابل . القاموس .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٠٨ مع فوارق ٨

عبد الملك بن بشرٍ ، ومحمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة ، وأخو هراة : سعيد بن عبد العزيز خُذَيْنَة ، فعارضه خليفة بن براز الأقطع مولى بني قيس بن ثعلبة فقال :

قُلْ للفِرَزْدَقِ انْ فزارة أَرْتَعُوا فَانهُوا قيون مُجَاشِعٍ أَنْ يَجْزَعوا

في أبيات . فَعَرَضَ لخليفة حَكَمُ القرد مولى بني الهُجَيْم فقال :

إليّ هَلُمَّ دُوْنَ أبي فِراسٍ فقد لاقيتَ أَشْوَسَ ذا مِرَاسِ

قالوا : ولما قدم ابن هبيرة شخص عبد الملك بن بشر ، واستخلف على البصرة شريك بن معاوية الباهلي أحد بني قتيبة بن معن ، فأقره ابن هبيرة يسيراً ثم عزله ، وولى سعيد بن عمرو الحرشي البصرة ، فولى شرطه شريك بن معاوية ، وكان شريك يلقب : مقابل الريح ، وكان أَدْلَم[1] طوالاً يقابل الريح فيقول : شمال جنوب ، صَبَا دَبور . فقيل مقابل الريح .

ثم عزل ابن هبيرة سعيد الحرشي ، وولاه خراسان ، واستعمل على البصرة حسان بن مسعود بن عبد الرحمن بن مسعود الفزاري ، وكان فراس بن مسعود زوج أم ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة زوج أم حسان بن مسعود ، ثم عزل حسان وولى البصرة فراس بن سُمَيّ الفزاري فولى شرطته محمد بن رباط الفُقيمي ، فهجا الفرزدق ابن رباط فقال :

بكى المنبرُ الشرقيُّ والناسُ إذ رَأَوا عليـه فقيمياً قَصِـيْرَ القَـوَائِمِ
أليس عجيباً أن يَسُوْدَ محمـدٌ ألا تِلْكَ من إحدى الدواهي العَظَائِمِ[2]

١ ـ الأدلم : الشديد السواد . القاموس .
٢ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

وأرسل فراس بن سُمَيّ يطلب الفرزدق فحذره فهرب ، فأرسل إلى النُّوار امرأته فحبسها ، ولحق الفرزدق بالبادية ، ثم لحق بيزيد بن عبد الملك ، وقال ليزيد :

سَبَقْتُ إليكَ الطالبينَ وإنّهم لَخَلْفِي وقُدَّامِي على كُلِّ مَرْصَدِ[1]

فأجاره ووصله وأحسن الأحوص محضره عنده .

قالوا : وعزل ابن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي عن خراسان ، وولاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي ، فلما قدم على سعيد قيده وحمله إلى ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة أمره بذلك ، فلما أدخل اليه قال له ابن هبيرة : يا بن نسعة فعلت وفعلت . قال : يا بن بسرة لم أفعل ، فغضب ابن هبيرة فأمر به فضرب مائة سوط وعُذب ثم نُفخ في دبره بكير وأمر به فحبس .

بسرة بنت الحارث بن عمرو بن حرجة الفزاري .

وقال لمعقل بن عروة القشيري : قدمت العراق فوجدت سعيداً صعلوكاً خاملاً فوليته خراسان ، فبعث إليّ ببرذونين أعرجين ودعوته لأعاتبه وقلت له : يا بن نسعة فقال لي : يا بن بسرة ، فقال معقل : أَوَ فعل ابن الزانية ؟ . قال : نعم ، فأتاه معقل وهو في السجن فقال له : يا بن نسعة التي اشْتِرِيَتْ بثمن عنزة جرباء فكانت رافعة رجلها للصادر والوارد ، أجعلتها إلى ابنة الحارث بن عمرو بن حرجة !

فلما قدم خالد بن عبد الله والياً على العراق استعداه سعيد على معقل ، فضربه له الحَدّ ، فقال رجل من بني كلاب لمعقل : يا بن عروة

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

كيف رأيت عاقبة الظلم ، ظلمت ابن عمك فضربك حداً ، وتركك لا تُقْبَلُ لك شهادة أبداً . فقال معقل : فهل لك أن ألتحك[1] بمثلها وتحدّني ؟. قال : لا والله وما حاجتي إلى ذلك ؟.

وقال سعيد لمعقل : والله لولا ما أوهى مني ابن هبيرة لثقبت عن جوفك بخمسة أسواط . وكان يقول : أوهى ابن هبيرة فعل الله به وفعل مني بصراً حديداً ، وساعداً شديداً .

وقال عمر بن هبيرة لجلسائه : مَنْ رَجُلُ قيس الذي يقوم بأمرها إن اضطرب الحبل ؟ قالوا : الأمير ، قال : ما صنعتم شيئاً . أما الذي تُلقي إليه قيس مقاليدها فالأحمر الذي لو تورى ناره أتاه عشرون ألفاً لا يسألونه لم دعوتنا ، الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث .

وأما فارسها فهذا الحمار المحبوس ـ يعني سعيد بن عمرو الحرشي ، ولقد هممتُ بقتله ، وأما لسانها فالأصمّ عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي ، وأما داهيتها فعثمان بن حيان المريّ ، وأما أعطف قيس عليها وأبرّها بها ، فَعَسِيْتُ أن أكونه .

فقال له أعرابي من بني فزارة : ما أنت أيها الأمير كما وصفتَ . قال : وكيف ويحك ؟ قال : لأنك لو كنت أَبَرَّهَا لم تحبس فارسها ، ثم تَهُمَّ بقتله .

قالوا : وولى ابن هبيرة مُسْلِم بن سعيد بن أُسْلَم بن زرعة ثم عزله فقال له : أعزلتني عن خيانة أو تقصير في جباية ؟. فقال : لا ، فارجع إلى عملك . فقال : ما كنت لأَلِيَ إلاّ أجَلَّ منه . فولاه أصبهان ، ثم فعل به

---

١ ـ لتح : ضرب ، أو رمى . القاموس .

مثل ذلك فقال له هذا القول حتى ولاه خراسان وقال له : لا تتخذنَّ في عملك ضيعة فيصغر قدرك عند أهله ، ولا تُتْجِرَنّ في عملك فتغشّ رعيتك ، وإن اشتُكِيَ إليك عامل فاعزله .

قال المدائني : لقي رجل رجلاً من فزارة فقال له : من أين أقبلت ؟ . فقال : من عند ابن عمنا عمر بن هبيرة ، فوالله لقد كلمته في سيد قيس سعيد بن عمرو ، وكلمته في سيد الموالي جبلة بن عبد الرحمن فوالله ما شفعني ، ولقد حملني ووصلني بعشرة آلاف درهم ، وإني لَذَامٌّ له .

المدائني قال : سأل رجل من عبس ابن هبيرة فمنعه ، فلما كان الغد أتاه فسأله وقال : أنا العبسي الذي سألك أمس . قال : وأنا الفزاري الذي منعك أمس ، فقال : والله ما ظننتك إلا ابن هبيرة المحاربي . قال : فقال : والله أهون لك عليّ يموت مثله من قومك فلا تعلم بموته ، وينشأ مثلي في قومك فلا تعرفه .

وولى عمر بن هبيرة أعرابياً من فزارة عملاً فلما رأى الناس يهدون في يوم النوروز أهدى إلى ابن هبيرة ضَبَّاً وقال :

حَبَا الجامَ عُمالُ الخراج وحَبْوَتي ... مُحَذَّفَةُ الأذْنَابِ صُفْرُ الشَّوَاكِلِ
رعينْ الرّبا والهَجْلُ[1] حتى كأنما ... كَسَاهُنَّ سُلْطَاني ثيابَ المَرَاجِلِ
سَيُحْلَ بِمُهْدِيْهِ لَعَمْرِي فضيلةٌ ... على كلّ حَافٍ من معدٍّ وَنَاعِلِ

---

١ ـ الهجل : المطمئن من الأرض . القاموس .

وولى ابن هبيرة رجلاً همذان فأتى ما سَبَذان ، فأخذ عاملها فقيده ، فقال له العامل ووجوه أهل البلد : انظر في عهدك فنظر فإذا هو همذان فقال : خذوا عاملكم لابارك الله لكم فيه .

وأتى همذان ، فعمد إلى رجل عليه خراج فنصبه ثم رماه بسهم فقتله ، فأعطوه خراجهم مبادرين ، ولم يلتووا عليه في درهم فما فوقه .

المدائني قال : ألقى ابن هبيرة إلى مثجور بن غيلان بن خرشة الضبّي فَصّاً أزرق ، فقال له : اجعله في خاتمك فإنه حسن - يريد قول الشاعر :

لقد زَرُقَتْ عَيناكَ يا بنَ مُكَعْبَرٍ كما كُلُّ ضَبّيٍ مِن اللؤْمِ أزرقُ

فشدَّ مثجور على الفص سيراً ثم ردَّه عليه - يريد قول سالم بن دارة :

لا تأمَنَنَّ فزارياً خَلَوْتَ بِهِ على قَلُوصِكَ واكْتُبْهَا بأَسْيَارِ

فقال ابن هبيرة : خرجَ منها .

قالوا : وتنبّى في ولاية ابن هبيرة رجلان : ضبيّ يقال له الأخطل ، ورجل من الموالي يقال له سعيد ، فكتب إلى يزيد في أمرهما ، فكتب : اقتلهما ، فقتلهما .

العمري عن الهيثم بن عدي عن عطاء قال : دخلتْ امرأة جميلة على عمر بن هبيرة ، فَشَكَتْ زوجها وهو شيخ كبير فقال الشيخ : والله إنهم ليعلمون أني أقضي حقوقها وأقوم بنوائبها . فقال للمرأة : يا عدوة الله أَحِينَ أَدْبَرَ غزيرُهُ وأقبل هزيرُهُ[1] ، إنْ دخل ذل وإنْ خرج ظن نَشَزْتِ عنه تريدين البدل منه ؟. خذ عدوة الله فأدخلها أَضْيَقَ بيوتك ثم أوجعها ضرباً .

---

١ - هزر : أكثر من العطاء ، وضحك وأسرع في الحاجة ، وأغلى في البيع . القاموس .

المدائني عن المفضل بن فضالة قال : بعث ابن هبيرة إلى الحسن والشعبي ، فاجتمعا عنده ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك عبد من عباد الله أخذ عهده لهم وأعطوه عهودهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، وإنه يأتيني منه أمور لا أجد من إنفاذها بُدّاً ؛ والحسن ساكت ، فقال له : ما تقول يا أبا سعيد؟. قال : إنّ الله مانِعُكَ من يزيد ، وإن يزيداً غير مانِعِكَ من الله ، وإنه يوشك أن ينزل بك أمر من السماء فيخرجك من سعةِ قصرك إلى ضيق قبرك ، فلا يوسعه إلا عملك ، يا بن هبيرة إني أنهاك عن الله أنْ تَتَعَرّض له ، فإن الله إنما جعل السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركبوا عباد الله بسلطان الله فتذلوهم ، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية خالق .

المدائني قال ؛ أُتي ابن هبيرة بقوم فأراد ضربهم فقال له عامر الشعبي : أصلح الله الأمير إن أول من وضع الحبس كان حليماً فَمُرْ بحبسهم إلى أن تنظر في أمرهم ، فقال : صدقت ، وحبسهم .

المدائني : لما ولي عمر بن هبيرة العراق أراد الخيانة فخاف وكان صالح بن عبد الرحمن عند يزيد بن عبد الملك ، فقال لكاتبه ابن عبدة العنبري : هل إلى صالح سبيل ؟. قال : لا والله وكيف وهو أُعفّ الناس إلا أن تظلمه ، قال : فكيف لي بظلمه ؟. قال : إنه كان دفع إلى يزيد بن المهلب ستمائة ألف درهم ولم يأخذ بها منه براءة ، فكتب ابن هبيرة إلى يزيد بن عبد الملك ؛ إنّ لي إلى صالح حاجة فإن رأى أمير المؤمنين أن يوجهه إلي فَعَلَ ، قال : فدعا يزيد صالحاً فأخبره فقال : والله ما به إلي حاجة ولقد تركتُ العراق ولو أتاه أكْمَه أبكم عرف ما فيه ، فكتب ابن هبيرة يذكر ما قِبَلَهُ

من المال ، فدعاه يزيد فأعلمه ذلك فانتفى منه وقال : والله ما بقي عليّ درهم ، قال : فانطلق إليه ليحاسبك ثم تعود .

فانحدر إلى العراق فأمر به ابن هبيرة فَعُذِّب ، فكان كلما عُذِّب بنوع من العذاب قال : هذا القصاص قد كنتُ أعذب الناس بمثل هذا . حتى عذب بنوع من العذاب يدعى الفزاري فقال : هذا مما لم أُعَذِّب به .

وكان إياس بن معاوية المرّي دلّ ابن هبيرة على ذلك ، فلما ألح ابن هبيرة على صالح بالعذاب جاء جَبَلَة بن عبد الرحمن أخو صالح ، وجَيْهَان بن مُحْرِز ، والنعمان الكسكري فضمنوا صالحاً وما عليه فقال الكاتب : أحضروا المال ، قالوا : أقبل الليل ، فأعلم الكاتب ابن هبيرة ذلك فلم يخرج إليهم حتى أمسوا وانصرفوا ، وأصبح صالح ميتاً على مزبلة ألقي عليها ليلاً وبه رمق حتى مات .

وقال أبو عبيدة : كان محمد بن سعد ، كاتب يزيد بن عبد الملك ، هو الذي عمل في حَذْرِ صالح إلى ابن هبيرة ، وذلك أن يزيد بن عبد الملك كان ولى صالحاً خراج العراق ، وخاف مسلمة على إقطاعه ، فقال ابن سعد لصالح : احمل إلي مائتي ألف درهم . فقال : ومن أين أحملها فوالله ما في مالي سعة لها ، وما كنت لأخون أمير المؤمنين .

فلما أفضى ابن سعد إلى صالح بذلك وَجِلَ منه ، فعمل فيه حتى حَدَّرَهُ إلى ابن هبيرة ، وكان ابن سعد هذا مولى لبعض اليمانية وكان قد ولي قسمة أرزاق أهل اليمامة فأتاه جرير فحرمه ، فقال جرير :

تَظَلُّ عِيَالِي لَا فَوَاكِهَ عِنْدَهُم وعِنْدَ ابنَ سعدٍ سُكَّرٌ وزَبِيْبُ
وَقَدْ كَانْ ظَنِّي بابنِ سَعْدٍ سَعَادَةً وَمَا الظَنُّ إلَّا مُخطِىءٌ وَمُصِيْبُ

فَإنْ تُرْجِعُوا رِزْقِي إِليَّ فإنَّهُ مَتَـاعُ لَيَـالٍ والأَدَاءُ قَرِيْبُ[1]

قالوا : وكان ابن هبيرة أول عمال العراق اختان ، فقال يوماً لإياس بن معاوية : ما يقول الناس فيَّ ؟ قال : خيراً أيها الأمير ، قال : أسألك بالله لَمَا صَدَقْتَني . قال إياس : فقلت في نفسي : والله لأؤثرنّ الله عليك ، فقلت له : يزعم الناس أن ثم أمير يُصَانَعُ بالمال ، فإذا أُتي به جاءت فلانه جاريته فاحتملته . فقال ابن هبيرة : ما يخفى على الناس شيء . ولم يعزل يزيدُ ابنَ هبيرة حتى عزله هشام حين استخلف ، وولى العراق خالد بن عبد الله القسري .

المدائني قال : أتى ابن سيرين واسطاً فسأله ابن هبيرة عن البصرة فقال : تركتُ العلم بها فاشياً . فغضب ابن هبيرة ، وأبو الزناد عنده فجعل يقول إنه شيخ ، ثم عُرِضَ شيءَ تكلم فيه فضحك ابن هبيرة ، وأمر لابن سيرين بمال فلم يقبله ، فقال إياس بن معاوية : ألا تقبل صلة الأمير؟ فقال : إنْ كان صَدَقَةً فلا حاجة لي فيها وإن كان لما عَلَّمَني الله فلستُ آخذ عليه أجراً ، فأعجب به ابن هبيرة .

المدائني قال : التقى عمرو بن مسلم وجَبَلَة بن عبد الرحمن في طريق ضيقة مِنْ طرق واسط ، لا يجوز فيها فارسان ، فقال عمرو لجبلة : ارجع ، فقال : بل ارجع أنتَ فإنك أقرب إلى السعة مني ، فقال : ارجع وإلا وضعتُ السوط بين أذنيك ، ثم ضرب رأس بغلة عمرو حتى رجعتْ ، وتحدث أهل واسط بذلك وأرادوا الإيقاع به ، فاستجار بالقصابين فحموه ،

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٩ .

وقدم ابن هبيرة فحبسه ، ثم دعا به فلما كلمه أعجب به وقال : قبَّح الله من ضَيَّع مثلك ، وأنشد :

أكُمَّـثْرَى يَزِيْـدُ الخَلْقَ لِيْنـاً   أَحَبُّ إليَّ أمْ تِـيْنٌ نَضِيْـجُ

يُعَرِّض له بولاية نَهَاوَنْد أو كُرْمَان . فقال : تين نضيج ، فأطلقه وعقد له على كَرْمَان ، وعقد يومئذٍ لمسلم بن سعيد بن أَسْلَم بن زُرعة الكلابي على خُراسان ، فقال جبلة : كان هذا يتبعني طمعاً في أن أولّي عملاً أوليّه بعضه قرية أو قريتين ، ثم هو اليوم يُعْقَدُ له على خراسان ، ويُعْقَدُ لي على كَرْمَان .

وقال أبو عبيدة : أُخرجَ جَبَلَة إلى ابن هُبيرة مقيداً فقال ابن هبيرة :

ولقد جَرَيْتَ لما تَرَى مِنْ غايةٍ   فَاصْبِر لِما جَرمَتْ يمينُك حَارِ

فقال جبلة :

لَعَمْرِكَ ما جَنَيْتُ على سُلَيْم   بأَشـعاري فَيَهْجُـوني الشَّـرِيدُ

وأودع ابن هبيرة قوماً أموالاً ، فأخذَ سَيْرَاً فَلَواه على عود ثم كتب عليه : عند فلان كذا وعند فلان كذا ، فلما نشره ورمى بالعود جاء الكِتَاب مُفَرَّق الحروف لا تجتمع لقارئها ، فكان يلوي ذلك السير على عود فتجتمع[1] .

---

١ - بهامش الأصل : بلغت المعارضة بالأصل الثالث ، ولله الحمد .

أمر يزيد بن المهلّب وقصته قبل ولاية يزيد بن عبد الملك وفي أيامه

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن أبي مخنف ، وقال المدائني عن أشياخه وغيرهما قالوا : ولى الحجاج المهلب خراسان .

قال المدائني : وبعض ولد المهلب يقول : ولاه إياها عبد الملك بن مروان .

فمات المهلب بزاعول وهي قرية بِمَرْوِ الرّوْذ ، وأوصى حبيب بن المهلب أن يسير بجيشه حتى يسلمه إلى يزيد ابنه وكان بمرو . وقال : يزيد خليفتي على خراسان ، فتولى يزيد بن المهلب أمر خراسان بعد أبيه ، وكان متجبراً متكبراً فبلغ الحجاج عنه ما يكرهه .

ويكتب المفضل بن المهلب وهو أخوه لأمه بَهَلّة بخبره فيلقيه إليه ، فكتب الحجاج إلى حبيب بن المهلب بعد سنة من ولاية يزيد يأمره بالقدوم عليه ، فقدم فولاه كَرْمَان ، وكتب إلى يزيد أنْ ابعثْ إليّ أوثقَ مَن قِبَلَكَ في نفسك ، فبعث إليه الخيار بن سَبْرَة المجاشعي ، وكان من رجال المهلب وخاصته ، فقال له الحجاج : أخبرني عن يزيد ، فقال : أُخْبِرُ سِراً أَمْ أُخبر علانية ؟ قال : بل أخبر سراً ، واستدناه فقال : لقد رأيت رجلاً إنْ أَقْرَرْتَهُ

ولم تُهجْه فبالحري أن يَفي لك ، وإن رُمتَ عزله فلا أحسَبه والله يعطيك طاعة أبداً . فقال الحجاج : صدقتَ ، فاحتبسه الحجاج عنده ولم يزعجه للرجوع وولاه عُمان وأوصاه بإذلال مَن بها من أهل بيت المهلب وقال : إن الخيار قدم عليّ فرأيتُ رجلاً جَزْلاً ذا عقل فاحتجتُ إليه لولاية عُمان فوليته إياها . ثم إنه كتب إلى يزيد بعد أشهر يعلمه حاجته إلى مشافهته بأمر لا يحتمله الكتاب ، ولا تحمله الرسل ، فكتب إليه يعتلّ بالعدوّ وبشدة شوكته وانتشاره ، فكتب إليه إنه لا بد لك من القدوم ، فاستخلِفْ المفضَّل أخاكَ على عملك واقدم عليّ منبسط الأمل ، واثقاً برأي أمير المؤمنين فيك .

فأشار عليه حضين بن المنذر الرقاشي بالمقام والمدافعة ، وأشار عليه المفضّل بالقدوم على الحجاج وقال له : إن شيخنا أوصانا بالطاعة التي هي عِزُّنَا وبها كان نَبَاتُنَا ، وإليها تؤول أمورنا . فقال له : ويحك ، لئن طمعّكَ في ولاية خراسان فَوَلَّاك إياها لم يُقَرَّك بعدي إلا يسيراً .

وفكر يزيد فقال : إنّا قوم شَرِفْنا بالطاعة وبورك لنا فيها ، فإن خلعنا أيدينا منها غيَّرْنا ما بنا ، والله يقول : ﴿إنّ الله لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[1] وأرجو أن لا يقدم الحجاج عليّ بسوء مع رأي أمير المؤمنين عبد الملك في المهلب وولده وحفظه ما كان من آثاره وبلائه ، فاستخلف يزيد المفضل ، وسار إلى الحجاج حتى إذا صار إلى اصطخر لقيه موت عبد الملك وقيام الوليد بن عبد الملك ، فقال : الآن هلكنا . فلما قَدِمَ على الحجاج أظهر إكرامه وإعظامه وجعل يسايره إذا ركب ولا يُحْجَبُ عنه .

---

١ ـ سورة الرعد ـ الآية : ١١ .

ثم كتب إلى حبيب بن المهلب ، وهو الحَرُون ، وكان قتيبة بن مسلم على الريّ ودَسْتَبَىٰ فكتب إليه بولاية خراسان ، وأن يحمل المفضل بن المهلب إلى ما قِبَلَهُ ، فَقَدَّمَ قتيبة عبد الرحمن بن مسلم أخاه خليفة له ، وأمره بأخذ المفضل وعماله وكتّابه والاستيثاق منهم إلى قدومه ، فلم يشعر المفضل به حتى ورد عليه ، فاستوثق منه ومن أصحابه ، وقدم قتيبة خراسان فحمله إلى الحجاج فلما توافىٰ عنده : يزيد ، وحبيب ، والمفضل ، وعبد الملك وكان على شرطة البصرة حبسهم أربعتهم ، وحبس أبا عُيَيْنة بن المهلب ، وكان اتهمه بـأن لهم أموالاً عنده ، وكان أبو عيينة هو الذي زَوَّجَهُ هند بنت المهلب فلم يعبأ بذلك .

وذكروا أنّ يزيد بن المهلب كان يهوى امرأة رجلٍ كان معه من عبد القيس يقال له عُلَيْب ، فدعاه إلى الشخوص إلى الحجاج فاعتلّ عليه ، فدسّ إليه مَن سقاه شُربة فقتله ، وحَوّل أهله وولده إليه ، فكان يأتي المرأة ، وبلغ الحجاج ذلك ، فلما أراد حبسه بدأ بضربه حَدًّا وقال له : أتزني وأنت والي خراسان ؟ فقال الشاعر :

أُيورُ الناسِ من عَصَبٍ ولَحْمٍ وأَيْرُكَ يا بنَ دَحْمَةَ من عِظَام
وأَيْرُكَ يا يزيدُ علىٰ المَخازي جَـرِيءٌ حِـينَ يختلطُ اللِّطَام

وقال أيضاً :

أَباحَ يَزيـدُ أيرهُ عُـرْسَ جاره وكان يَزيدُ لَا يخَافُ المَخَـازِيَا

قالوا : وتحركت الأكراد بجبال الأهواز ، فسار الحجاج حتى نزل رستقاباذ ، وبنو المهلب معه ، فعسكر بها وخندق على عسكره ، وحبس بني المهلب في حظيرة من قصب بالقرب منه ، وأمر فحفر حولها خندق وضربت

عليهم فساطيط ووكل بهم حرس من أهل الشام ، وأمر بعذابهم والبسط عليهم .

وكانت مع الحجاج امرأته هند بنت المهلب فسمعت أصواتهم فصرختْ وولولت ، فقال الحجاج : يا عدوة الله أتصيحين بحضرتي ؟ فقالت له : لا حاجة لي فيك ، فطلقها وبعث إليها بمائة ألف درهم فلم تقبلها .

ثم إن يزيد بن المهلب بعث إلى يزيد بن أبي مسلم ، وكان على خراجه واستخراجه بمالٍ فلم يقبله ، وكان صحيحاً ، وقال : لقد لجأتَ إلي فوالله لأعملنّ في أمرك عملاً ، لو كنت قبلت هذا المال منك ما زدتُ عليه ، فكلم الحجاج في أن يكفل ولد المهلب ويوظف عليهم وظيفة جرماً يؤدونها ، فأجابه إلى ذلك ، وسأل يزيد بأن يخرج عبد الملك بن المهلب ليسعىٰ في أمرهم ويبيع خيلهم وغيرها ، وأن يوجه حبيباً إلى البصرة ليلقى قوماً من صنائعهم وأهل ودائعهم في إعداد مالَهُم عندهم وليبيع عقدهم ، وجعل يكتب إلى عرفاء الأزد ليأتوه ويجتمعوا عنده فكان كالمناظر لهم في أمر كفالته، وكان يهيىء لهم وللحراس الموكلين بهم طعاماً فيعشيّهم ، فتعشوا ذات ليلة وقد أظلموا ، وأمر فاتخذت له لحية بيضاء مثل لحية طباخه ، وللمفضّل لحية صفراء كبعض لحىٰ عرفاء الأزد . فلما تعشىٰ الناس وأزعج الحرس مَنْ عند يزيد للإنصراف لبس ثياباً مثل ثياب طباخه وربط اللحية ، ووضع على رأسه جونة من جون الطعام ، ووضع الخباز على رأسه قدراً أو طنجيراً فلم يؤبه لذلك ، وخرج المفضل وقد اعْتَمّ ولحيته صفراء فبادر مع الناس ، فخرجا ، واحتال عبد الملك بحيلة حتى تخلص من أيدي الموكلين به الذين كانوا

يدورون معه فاجتمعوا في موضع اتَّعدَوا للاجتماع فيه ، وواعدوا من يقوم بأمرهم وخدمتهم أن يعدوا لهم خيلاً من الخيل التي كانوا يظهرون أنهم يريدون بيعها واداء قيمتها فيما ألزمهم الحجاج إياه ، وكان الذي ألزمهم ستة آلاف ألف درهم فساروا ليلتهم حتى صاروا إلى زورق قد أُعدّ لهم بجوخى الأهواز ، وانتهوا إلى مفتح دجيل الأهواز فركبوا سفينة أعدت لهم أخرى ؛ ثم خرجوا إلى البطيحة ، وتوجهوا إلى موضع كان فيه مروان بن المهلب وقد أُعَدَّ لهم نجائب فركبوها وساروا إلى الشام ، ودليلهم رجل من كلب يقال له عمارة ، واستخفى حبيب بن المهلب بالبصرة في بني راسب ، وانغمس مروان وبقي أبو عبيدة في يد الحجاج وطُلب القوم فلم يقدر عليهم .

وكان المتوجهون إلى الشام : يزيد ، والمفضل ، وعبد الملك ، وقيل إن مروان كان معهم . وصار هؤلاء إلى فلسطين ، وبها سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان والياً عليها من قبل أخيه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وكان ولي العهد بعده ، فكتبوا إلى رجاء بن حَيْوَة الكندي بخبرهم ، وشرحوا له أمرهم ، وكان أثيراً عند سليمان جريئاً عليه آنِسَاً به ، فقال له : إن يزيد بن المهلب قد أتاك مستجيراً بك ، فامتعض من ذلك ، فقال له رجاء بن حيوة : مَنْ ذا يرجوك وأنت ولي عهد وقد استجار بك مثله فلم تُجِرْهُ ، ولم يزل به حتى أجاره ، ودعا به وبأخويه فَأَمَّنَهم ، وكتب إلى الوليد يعلمه ذلك ، فكتب الوليد إليه فيه كتاباً غليظاً يعجِّزُه فيه في أمرهم ويقول : لهممتُ أن أُلْزِمَكَ ما يُطالب به يزيد ، وكان كتاب الحجاج قد سبق إليه بخبرهم .

وكتب الوليد إلى سليمان يعزم عليه أن يحملهم إليه مستوثقاً منهم فوجّه بيزيد ومعه ابنه أيوب ، وقال له : إذا دخلتَ على أمير المؤمنين فكن أنت وهو في سلسلة . فلما رآه الوليد قال : إنّا لله ، لقد شققنا على سليمان . فحطّ عن آل المهلب ثلاثة آلاف ألف درهم من الستة الآلاف الألف وألزمهم دمشق ، فيقال إن سليمان غرمها عنهم ، ثم كتب يسأل ردهم إليه ففعل الوليد ذلك .

ويقال إن الوليد نجّمها عليهم ، فجمع لهم زمل بن عمرو السَّكْسَكِي من أهل دمشق نجماً ، وجمع لهم يزيد بن حُصْين بن نُمَيْر السَّكُوني نجماً آخر ، وسار عبد الملك إلى الشام فجمع لهم مالاً عظيماً فأدّوا الأنجم .

ثم كتب سليمان إلى الوليد يسأله رد يزيد بن المهلب وأخويه إليه فردّهم ، فأقام يزيد عند سليمان مكرَّماً يؤنسه ويخصّه حتى مات الوليد ، وولي سليمان الخلافة .

وقال حُضَيْنُ بن المنذر في مخالفة يزيد إياه حين أمره بترك القدوم على الحجاج :

أَمَرْتُكَ أمراً حازماً فَعَصَيْتَنِي فأصبحتَ مَسْلوبَ الإمارةِ نادما

وخاف أن يبلغ الحجاجَ بَيْتُهُ هذا فزاد فيه :

فما أنا بالباكي عليكَ صَبَابَةً وما أنا بالداعي لِتَرْجِعَ سَالِمَا

وقال نهار بن تَوْسعة التيمي من ربيعة ، ويقال ابن سحبان الباهلي حين شخص يزيد من خراسان ثم حبس ومعه المفضّل :

أَبَنِيَّ بَهْلَةَ إِنَّمَا أَخْزَاكُمَا رَبِّي غَدَاةَ غَدَا الهُمَامُ الأَزْهَرُ
أَغَدَرْتُمَا بِأَخيكُمَا فَوَقَعْتُمَا في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أخوها المُغْوِرُ

عُـوْذًا بِتَـوْبَـةَ مخلصـينَ فـإنَّمـا يأبىٰ ويأنَفُ أنْ يَتُوبَ الأَخْسَرُ
لله دَرُّ الغـافِلِينَ لَقَـدْ عَـدَا فيهم نَـدَىٰ جَمّ وَمُلْكٌ قَسْوَرُ
وتَبَـدَّلَتْ مَـرْوُ بِـهِ لِخَـرَابِهَـا والدَّهْرُ يَتْعَسُ بـالجُدُودِ ويَعْـثُرُ
عُوْرَانُ باهِلَةَ الأُلىٰ في مُلكِهِم ماتَ الندىٰ فمضىٰ وعاشَ المُنْكَرُ
شَتَّانَ مَنْ بالصُّنْجِ أدركَ والذي بالسيفِ أُدْرِكَ والحروبُ تُسَعَّرُ

كان مسلم بن عمرو يضرب عند يزيد بن معاوية بالصنج . وقال الفرزدق :

أبا خالِدٍ ضاعَتْ خُراسانُ بَعْدَكُم وقال ذَوُو الحاجاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
فلا أَمْطَرَ المروانُ بعدكَ قطرةً ولا اخْضَرَّ بِالْمَرْوَيْنِ بَعْدَكَ عُوْدُ[1]

وقال الفرزدق حين هرب يزيد وإخوته من حبس الحجاج وأجارهم سليمان بن عبد الملك :

لم أَرَ كالقومِ الـذين تَتابعـوا علىٰ الجسر والحراسُ غير نيام
مضـوا وَهُمْ مُسْتَيْقِنُونَ بـأَنَّهُم إلىٰ أَجَـلٍ يلقـونـه وَحِمَـامِ
فساروا إلى أوفىٰ قريشٍ لجارِهِ وخَيْـرُهُمْ من أيمنٍ وَشَـآمِ[2]

وقال عمارة الكلبي دليلهم :

وَنَاسٌ مِنَ ابْنَاءِ الملوكِ هَدَيْتُهُم بِلَا عَلَمٍ بَادٍ ولا ضوءِ كوكبِ
ولا قمرٍ إلا ضئيـلٌ كـأنّـهُ سِوَارٌ حَنَاهُ صانِعُ السُّور مُذْهَب
ألَا جعـلَ الله الخلائقَ كُلَّهُم فِداءً علىٰ ما كانَ لابنِ المهلّبِ

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣٧ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٦٥ مع فوارق ولم يرد في الديوان البيت الثالث .

حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه عن لوط بن يحيىٰ وعوانة بن الحَكَم أنّ سليمان كتب إلى الوليد في أمر يزيد بن المهلب : «أما بعد يا أمير المؤمنين فقد كنت أظن أني لو أَجَرْتُ عدواً منابذاً لأَجَرْتَهُ ولم تَخْفِر ذمتي ، فكيف وإنما أجرتُ سامعاً مطيعاً له شرف وسلف ، ولأبيه بلاؤه وآثاره ، وله نصيحته ومكانفته ، وقد بعثت به إليك ، وأنا أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من اجترار قطيعتي ، وتَرْكِ بِرّي وَصِلَتي بإخفار ذمتي وحلّ عقدي ، فوالله ما تدري ما بقاؤنا ، ومتىٰ يُفَرّق الموت بيننا ، فإن رأى أمير المؤمنين أن لا يأتي علينا أجلُ الوفاة إلا وهو لي واصل ، ولحقي راعٍ ، وعن مَسَاءتي نازع ، فليفعل وليصفح لي عن يزيد ، وكل ما طالبه به الحَجاج فإنه عليٌّ ، فعلَ إن شاء الله ، والسلام» .

وقام يزيد حين دخل على الوليد فقال: يا أمير المؤمنين إنّ بلاءكم عندنا أهل البيت أحسن البلاء ، فمن ينسَ ذلك فلسنا بناسيه ، ومن يكفر فلسنا بكافريه ، وقد كان من آثارنا في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم ما المَنَّةُ علينا فيه عظيمة . فقال له الوليد : إجلس يا يزيد إجلس ، وأَمَّنَهُ وكتب إلى الحجاج : «إني لم أصل إلى يزيد بن المهلب وإخوته مع أخي سليمان فاكفف عن آل المهلب جميعاً ، ولا أعلمنّ ما راجعتني فيهم» . فكف الحجاج عنهم وخلّىٰ سبيل أبي عيينة ، وظهر مستخفوهم فلحقوا بالشام .

وحج المفضل وعبد الملك ، فولى الوليد يزيد بن أبي كَبْشَة السكسكي - وكان صديق الحجاج - حرب العراق ، وأقر يزيد بن أبي مسلم على الخراج .

قالوا : ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تتبع من كان بالشام وغير الشام من آل أبي عقيل[1]فدفعهم إلى يزيد ، وكان يزيد أول من عزاه بالوليد وسلم عليه بالخلافة ، وأمره أن يستأديهم ويبسط عليهم ، فولى أمرهم أخاه عبد الملك بن المهلب ، فعذب الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعتّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف حتى قتله بأمر سليمان .

وألح عبد الملك على يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود وغضب عليه يوماً فرماه بِسَفْرَجَلَة فَشَتَرَ عينه ، وكان عبد الملك يوكل به من يحفظه وهو يطوف في غرمه ، فدفعه يوماً إلى الحارث بن الجهضمي ، فخرج يطوف به ، وكان الحارث مُغَفَّلاً فقال له يوسف : أريد دخول هذه الدار فإن فيها عمة لي أسألها في غرمي شيئاً ، فتركه فدخل الدار ولها بابان فخرج من الباب الآخر فهرب .

وبعث يزيد بن المهلب إلى البلقاء من عمل دمشق ، وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم إليه ، وكان فيمن أتى به أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ، وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف وكانت امرأة يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأم الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول ، فكان عبد الملك يعذبها بأمر أخيه يزيد بن المهلب في منزله ، فكلمه فيها فأبى أن يشفعه فيها ، فقال : الذي وظفتم عليها عليَّ ، فأبىٰ قبول ذلك فقال يزيد : أما والله لئن وليتُ من الأمر

١ ـ بهامش الأصل : اسم أبي عقيل ، عمرو .

شيئاً لأقطعنّ منك طابقاً ، فقال يزيد بن المهلب : وأنا والله ـ فلئن كان ذلك ـ لأرمينّك بمائة ألف عنان .

وقال قوم : لم يفعل ذلك بـأم الحجاج بنت محمد ، وإنما فعله بأختها ، فجرى هذا القول بينه وبين يزيد بسببها .

وقال أبو الحسن المدائني : زعم قوم أن يزيد بن عبد الملك حمل المال عنها ، وكان مائة ألف ، ويقال أكثر من ذلك .

قال : ولما مضت لسليمان بن عبد الملك أربعون ليلة من خلافته ، ولى يزيد بن المهلب حرب العراق وخراجه فاستقال من الخراج ، فأراد أن يولي الخراج يزيد بن أبي مسلم ، وكان يزيد بن المهلب وصفه له بالعفاف لتسهيله أمره ، فقال عمر بن عبد العزيز : أتولي يزيد بن أبي مسلم ؟ فقال يزيد : هو عفيف عن الدراهم ، فقال عمر : إن الشيطان أيضاً عفيف عن الدراهم لم يأخذ درهماً قط .

واستشار سليمان يزيد بن المهلب فيمن يوليه الخراج غير ابن أبي مسلم ، فأشار عليه بصالح بن عبد الرحمن وكان صالح مع زاذانفروخ بن بيزي كاتب الحجاج ، فلما قتل في أيام ابن الأشعث استكتب ابن زاذانفَرُّوخ ، ثم استكتب صالحاً وهو من سبي سجستان ، مولى لبني تميم ، وقوم يزعمون أنه مولى لباهلة .

وأمر يزيد وهو على العراق باتخاذ ألف خوان ليطعم عليها ، فقال له صالح : بيت المال لا يقوم لهذا ، ومنعه إياه .

وشخص يزيد بن المهلب إلى العراق وخراسان مضمومة إليه ، وتخلف المفضّل وعبد الملك عند سليمان ، وكان بهما معجباً ، فلما قدم يزيد واسطاً

وجد الجراح بن عبدالله الحكمي على البصرة من قبل يزيد بن أبي كبشة ، فكتب إليه في المصير إليه ، وولى البصرة رجلاً يقال له مروان بن المهلب ، وولى سجستان مُدْرِك بن المهلب ، وولى عُمان زياد بن المهلب ، وأمره بقتل الخيار بن سبرة المجاشعي ، فقتله فقال الفرزدق :

فلو كنتَ مِثْلي يا خِيَارُ تَعَسَّفَتْ بِكَ البِيْدُ ضَرْبَ العَوْهَجِيٍّ وَدَاعِرِ
تَرَى إِبِلاً ما لم تُحَرِّكْ رؤوسها وَهُنَّ إذا حُرِّكْنَ غَيْرَ الأباعِرِ[1]

في أبيات . وولى السند حبيب بن المهلب ، وكان قتيبة بن مسلم مبايناً لسليمان فخافه حين مات الوليد فخلعه ، وذكر عمال خراسان وقبائل من قبائل العرب فعابهم وذمَّهم ، فاجتمعوا عليه فقتلوه ، وقلدوا أمرهم وكيع بن أبي سود التميمي .

وحدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة قال : أمر سليمان يزيد ان كان قتيبة لم يخلع أن يقتل وكيعاً ، وان كان خلع فلا . وبلغت قتيبة ولاية يزيد بن المهلب العراق وخراسان فقال :

رمـاني سليمانٌ بـأَمْرٍ أَظُنُّـهُ سيحملُه مني على شرٍّ مَركبِ
رماني بجَبّارِ العراقِ وَمَنْ لَهُ على كل حيٍّ حَدُّ نابٍ ومخلبِ
فأصبحتُ للعبد المزونيّ خائفاً وكانَ أبي قِدْمَاً على دين مصعبِ

فقال حضين بن المنذر يرد عليه :

أَقُتَيْبُ قد كَسِبَتْ يداكَ خطيئةً فَاهربْ قتيبةُ أينَ منه المَهْرَبُ
فَلأَنْتَ أَحْقَرُ والذي أنا عِنْدَهُ في عينِهِ من بَقَّةٍ تتـذبذبُ

---

١ ـ العوجهي وداعر فحلان من الإبل . ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٧ .

وكتب سليمان إلى يزيد بن المهلب في الشخوص إلى خراسان لإصلاحها ، وتسكين الناس بها ، ولَمِّ ما انتشر من أمرها ، فاستخلف الجرّاح على العراق ، وأتى جُرْجَان ففتحها ، وفتح دهستان ، وكتب إلى سليمان بفتحهما ، وأنْ قد غنم غنائم عظيمة ، فأدّى إلى كل ذي حق حقه وبقي بعد ذلك عنده ستة آلاف ألف درهم ، ويقال أربعة آلاف ألف درهم ، فلم يصل الكتاب إلى سليمان حتى مات ، وكان وروده على عمر بن عبد العزيز ، وقد استخلف بعد سليمان ، فكتب إليه عمر : «أما بعد فإن سليمان كان عبداً من عبيدالله قبضه إليه بعد نفاد أكله وانقضاء أجله ، ثم وليتُ الأمر بتصييره إليّ ، ويزيد بن عبد الملك إن كانَ مِنَ بَعدي ، وليس الذي ولاني الله من ذلك بهيّن عليّ ، ولو كانت رغبتي في اتخاذ الأزواج واعتقاد الأموال كنتُ قد بلغتُ من ذلك أفضل ما يبلغه أحد ، وقد بايع مَنْ قِبَلَنا ، فبايع مَن قِبَلَكَ ، إن شاء الله» .

فلما قرأ يزيد الكتاب قال : الرجل عازلنا لا محالة ، وكان عمر رأى يزيد يوماً ، وقد دخل على سليمان مختالاً ، فقال : إني لأحسبُ في رأسه غدرةً . فقال سليمان : لا تقل هذا يا أبا حفص ، وإن يزيد رجل منا ، فأغلظ له يزيد ، فلما أتى منزله قال : ماذا لقينا من لطيم الحمار .

ثم أتاه يزيد فاعتذر إليه ، ولم يلبث يزيد أن كتب إليه عمر يأمره أن يستخلف رجلاً ويقدم إلى ما قبله ، فاستخلف ابنه مُخْلَدُ بن يزيد وخرج ومعه وجوه أهل خراسان ، وفيهم وكيع بن أبي سَوْد وكان محبوساً قِبَلَهُ فحمله ، وكان معه عبدالله بن هلال الهَجْري الذي يُعْرَف بصديق إبليس ،

فيزعمون أنه قال له : والله لا تدخل البصرة أميراً أبداً ، فانتهى إلى واسط وهو أمير .

وقال مَعْمَرُ بن المُثَنَّى أبو عبيدة : قدم يزيد واسطاً قبل موت سليمان ، وكان مسيره على طريق الرَّيّ وحُلْوان ، فكتب إلى سليمان يسأله أن يأذن له في دخول البصرة فأذن له فانحدر وهو لا يعلم بموت سليمان ، وقدم عدي بن أرطاة حين قدم واسطاً بعد موت سليمان وهو أمير ، ثم شخص إلى البصرة فلما دخل نهر مَعْقل وأشرفت له البصرة ورأى الجنيدة التي تسمى الشهارطاق قال : أين ابن هلال قبّحه الله وقبّح علمه الذي يدّعيه ، ثم نظر فإذا سفينة كثيرة الجذّافين ليس فيها وطاء ، وفيها عَدي بن أرطاة الفزاري ، وقد ولاه عمر بن بعد العزيز العراق ، فقدم واسطاً بعد خروج يزيد منها ببعض يوم فاستعجل ليلحقه ، فلما لحقه عدي خرج إليه فصار معه في السفينة ، ودفع إليه كتاب عمر فقال : سمعاً وطاعة ، ثم خرجا عند الجسر ، وقُدمت إلى يزيد الدواب فركب ، وأمر فقدمت لعَدي ومن معه دواب فركبها .

وحشدت الأزْد ليزيد وضربوا قباب الآس ، وهم يرون أنه الأمير ، وصار عدي إلى دار الإمارة ويزيد معه حتى دخلها ، ثم دعا بيزيد فدخل ، وكان صالح بن عبد الرحمن مع عدي فقال : قَيِّده أصلحَ الله الأمير ، فقيّده عدي ، فلم يزل محبوساً عنده حتى كتب عمر إليه بحمله .

وقال أبو عبيدة : بل كان في عهده أن يُقيّده ويحمله ، قالوا : فحمله عدي إلى عمر مع موسى بن الوَجِيْه الحِمْيَري ، وكان يزيد أخذ موسى بتطليق امرأته ، وهي أخت أم الفضل بنت غيلان بن خَرْشَةَ الضَّبي ، امرأة يزيد بن المهلب ، وقال : لا أرضى بمُسَالَفَتِكَ ، وضربه حتى طلقها تحت السياط ،

وذلك في أيام سليمان بن عبد الملك ، فكان موسى يشتمه في طريقه ويزيد يقول له : يا دَعِيّ فقال له : يا بن المزونية ، وأيّ دعيّ أبْيَنُ دعوة منك ، ألستَ مولى عثمان بن العاص الثقفي ، أو لم يقل الشاعر :

نحن قطعنا مِنْ أبي صُفْرَة قَلْفَةَ مَن قد خالفَ الفِطْرَة
لّما رأى عثمانُ غُـرْمُوْلَـهُ[1] أنْحَى لـه عُثمانُ بـالشَّفْـرَة
ألم يكن أبو صفرة مجوسياًاسـ ـمه بسَفروخ فقلتم أبو صُفْرَة

وحدثني عمر بن شبّه ، ثنا أبو عاصم النبيل قال : لما احتبس سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلّب عنده ، ثم ولاه العراق ، عزل خراسان عنه ، فلم يولّه إياها ، وولى خراسان قتيبة بن مسلم ، وكتب عهده عليها وبعث به إليه ، فلما خَلَع وقُتل ولاها يزيد بن المهلب .

قالوا : ولما وافى يزيد بن المهلب عمر بن عبد العزيز قال له : هذا كتابك وهذا خاتمك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كتبته استعطافاً لسليمان عليّ ، وعلمت أنه لا يأخذني مع رأيه فيّ بالمال . قال : فنحن آخذوك بإقرارك .

وولى عمر الجَرَّاح بن عبدالله خراسان ، وحبس يزيد بن المهلب ، فزعموا أنه مرض في محبسه فأمر عمر بقيوده ففكت عنه ، وقدم بمُخْلَد بن يزيد فأُتي به عمر فلما دخل عليه وعليه كُمَّةٌ لاطِيَّة ، وقد شمر ثيابه ، قال عمر : ما هذا الزيّ ؟ قال : شمرّتم فَشمّرنا ، ثم قال : ياأمير المؤمنين لِيسَعْنَا ما وسع الناس من عدلك ، ولا نكن أشقى هذه الأمة بك ، فقال :

---

١ ـ الغرمول : الذكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .

إن أباك قد أقر بهذا الكتاب . قال : فأنا أضمن المال الذي فيه ، قال : أنت وذاك . قال : فصالحني على بعضه قال : لا ،لا . أنا أرى أن آخذه به كله أو أعلم أنه لا شيء عنده فأُنْظِرُه إلى المَيْسَرة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، انما أراد استعطاف سليمان بما كتب إليه به ، وهو يحلف ، ثم أتى أباه فقال : أتحلف على ما قلت وادعيت ؟. فقال : لا والله لا تتحدث العرب بأني صيرت يميني على مال أبداً ، فلم يزل محبوساً حتى مرض عمر ، فخاف أن يلي يزيد بن عبد الملك فيناله بِمَعَرَّةٍ لِمَا في نفسه عليه .

وكان يزيد بن المهلب في غرفة أسفلها بيت فاحتيل له ـ وقد تشاغلت الأحراس عنه ـ ويقال رُشُوا وصُونِعُوا فملىء البيت تبناً ، ثم نقب السقف وألقى نفسه ونكّر لحيته ولباسه ، وأعد له إخوته إبلاً ناجية ، فركب وركبوا معه ، ومضى يَؤُمّ العراق ، وكان عمر كُلِّم في يزيد فقال : هو رجل سوء قتّال ، والحبس خير له .

وقال علي بن محمد المدائني : حمل الجَرّاح بن عبدالله الحَكَمِي مُخْلَدُ بن يزيد من خراسان على البريد في سلسلة ، فقدم به الكوفة ليُحمل منها على البريد إلى عمر ، فسأله قوم فوصلهم ، فقال الناس : ما رأينا أسيراً أكرم من هذا ، ما فعل كرام الأمراء إلا دون ما فعل .

وأتاه حمزة بن بيض الحَنَفي في حمالة فأمر له بها ، وله يقول :

أتيناكَ في حاجة فَاقْضِهَا وقُلْ مَرْحَباً تَجِبُ المَرْحَبُ
ولا تَكِلْنَا إلى مَعْشَرٍ متى يَعِدُوا عِدَةً يَكْذِبُوا

وهَمّكَ فِيْهَا جِسَامُ الأمُـ ـورِ وَهَمٌّ لِدَاتِكَ[1] أنْ يلعبوا
بلغتَ لِعَشْرٍ مَضَتْ مِنْ سِنِيِّـ ـكَ ما يَبْلُغُ السَّيِّدُ الأشْيَبُ

ثم حمل على البريد من الكوفة حتى ورد على عمر فدخل عليه فجرى بينهما ما ذكرناه ، وشخص حمزة بن بيض إلى يزيد بن المهلب فمدحه فقال :

أَصْبَحَ في قَيْدِكَ السَّماحةُ والجُـ ـودُ وحَمْلُ الديَاتِ والحَسَبُ
لا فَـرِحُ إنْ تَظَاهَـرَتْ نِعَمٌ وصـابـرٌ في البـلاءِ مُحْتَسِبُ
برزتَ سَبْقَ الجوادِ في مَهَلٍ وقَصَّرَتْ دون شَأْوِكَ العَرَبُ

فكتب له بخمسمائة دينار ، وكتب له إلى وكيله بمال .

وقال الهيثم بن عدي : حبس عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهلب في حصن حلب ، فلما مرض عمر وهو بدير سمعان ، وبلغ ذلك يزيد بن المهلب ، دس إلى عامل حلب مالاً وإلى الأحراس ، وقال : قد ثقل عمر فليس يرجى فلا تشيطوا بدمي ، فإنّ يزيد إنْ وُلِيَ لم يَنْظِرْني فُواقاً[2] ، فأخرجوه فهرب وهم معه قد أعَدُّوا له الدواب فركبها وأمَّ البصرة ، وكتب إلى عمر كتاباً وقال : إنْ بَرِىء فَلْيُدْفَعَ إليه . وكان فيه : «إني والله لو وثقتُ بحياتك ولم أخَفْ وفاتك لم أخرج من محبسك ، ولكني لم آمن أن تهلك ويلي يزيد فيقتلني شر قتلة» .

فورد الكتاب وبه رَمَقٌ فقال : اللهم إن كان يريد بالمسلمين سوءاً فألحِقْهُ به وَهِضْهُ ، فقد هاضني .

---

١ ـ لداتك : تربك ، أبناء جيلك .
٢ ـ الفواق : الذي يأخذ المحتضر عند النزع ، والريح التي تشخص من الصدر ، أو بين فتح يدك وقبضها على الضرع . القاموس .

قالوا : وتوفي عمر بن عبد العزيز بدير سمعان يوم الجمعة لخمس ليال بقين من رجب سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وذلك قول الواقدي .

وقال ابو نُعيم الفَضْلُ بن دُكَيْنْ عن سفيان الثوري : كان عمر حين توفي ابن أربعين سنة ، ويقال ابن تسع وثلاثين .

وقال سفيان بن عيينة : قال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : مات عمر ابن تسع وثلاثين سنة ، قلت : ابن تسع وثلاثين ؟ قال : ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾[1] .

وولي يزيد بن عبد الملك ، فلم يكن له همة إلا يزيد بن المهلب ، فأُخبر بهربه ، وقد كان أُشير عليه أن يأتي مسلمة وكان بالناعورة وهي من عمل حلب فيستجير به فلفته عن ذلك معاوية ابنه ، وكان دليلهم يَعْدِلُ بهم حتى كادوا يموتون عطشاً .

ووجه يزيد في طلب يزيد بن المهلب الكوثر بن زُفَر بن الحارث ، ويقال الهُذَيْل بن زُفَر ، ويقال الوثيق بن زُفر ، ويقال تَميم بن عُمَيْر بن الحُبَاب ، ويقال عبد الرحمن بن سليم الكلبي في جماعة ، ويقال إنه وجَّه كل واحد من هؤلاء في وجه ، فلم يُلْحَق ، ولم يُوَقَع له على أثر .

وكتب يزيد إلى عدي بن أرطاة وهو مقرّ على البصرة ، وإلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو مقرّ على الكوفة ، يخبرهما بموت عمر ، وبهرب يزيد ، ويُحذّرهما إياه ، ويأمرهما بطلبه ويأمر عدياً

---

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ٥٤ .

بحبس من قِبَلِهِ من آل المهلب والاستيثاق منهم ، ففعل عدي ذلك ، وأشار عليه وكيع بن أبي سود بقتلهم جميعاً للذي كان في نفسه على يزيد بن المهلب ، فقال عدي : ما كنت لأفعل ذلك ولم يجلوا بأنفسهم ، قال : فأهدم دورهم فلا يجد يزيد ما يؤوي ، فأبى ، قال : فافتح بيت المال واعط الناس يقاتلوا عنك ، قال : لم يُؤذَن لي في ذلك ، قال : كأني بك وقد أخذتَ برقبتكَ . ومات وكيع في أيامه .

وقال بعضهم : كان الوثيق بن زُفَر قد كاد يظفر بيزيد فقيل له : إنك أَمسكتَ عنه ولم تُجَادُّه ، فقال : أجل ، قلت إن أدركتُه فقتلتُه قتلت رجلاً واحداً ، وإن بلغَ أهله انقادوا له ، ورجوت أن يَخلع ، فيقتله الله وأهل بيته ، فإن في رأسه نزوة .

وقال أبو مخنف : أقبل يزيد بن المهلب حتى ارتفع فوق القُطقطانية ، فبعث عبدالحميد بن عبدالرحمن : هشام بن مُسَاحِق بن عبدالله بن مَخْرَمَة ـ أحد بني عامر بن لؤي ـ في شرطة الكوفة وأهل القوة منهم فقال هشام : أصلح الله الأمير أآتيك به أسيراً ، أم آتيك برأسه ؟ فضحك عبدالحميد ثم قال : ذاك إليك ، فسار ابن مخرمة حتى نزل العُذَيْب ، ومرّ يزيد قريباً منه فأُخبر هشام بذلك فركب فحاد عنه متعمداً ، ومضى نحو البصرة .

وقال أبو عبيدة : بعث عبدالحميد : سليمان بن سُلَيْم بن كَيْسَان الكلبي لتلقّي يزيد وأَخْذِهِ ، فلم يقدر عليه ، وقيل إنه غُيِّبَ عنه .

وقال الهيثم بن عدي : أدرك يزيد بن المهلب الطلب ، ورأسه في حجر جاريته فهابته أن توقظه ، فرمت غلاماً له بحصاة وأومأت إليه أن نواصي الخيل قد طلعت فأيقظه غلامه ، فقال : اطرد بغلتي في وجوههم فإذا

سألوك : لمن هذه ؟ فقل ليزيد ، فإن قالوا : فأين هو ؟ فقل هوذا فإنهم إذا علموا بموضعي أحجموا ، وإن هجموا عليّ استقلّوا مَن معي فلم يرجعوا .

ففعل الغلام ذلك وسألوه فأخبرهم : فأقاموا ولم يقدموا عليه ، وجاءه وصيف بالمصلّى ، والإبريق فتوضأ وما معه إلاّ برذون أدهم أبيض الأذنين ، وعَجْلاَن وأبو فُدَيْك ومولى له آخر ومن على ثَقَلِهِ .

وقال المدائني : مرّ يزيد يحدث الرفاق ، وهناك منزل الهُذَيْل بن زُفَر ، وكان يزيد خائفاً من الهذيل ، فلم يشعر إلا وقد دخل يزيد عليه ، ثم دعا بلبن فشربه فاستحيا منه الهذيل وعرض عليه خيله وغيرها فلم يأخذ منه شيئاً ، ثم أتى الرصافة [1] وسار في البرّ حتى أتى القادسية ، فوجّه عبدالحميد في طلبه فأعجزه حتى دخل البصرة .

المدائني عن بِشْر بن عيسى أن يزيد بن المهلب دخل البصرة ليلة البدر من شهر رمضان سنة إحدى ومائة ، وعليه درع وهو مُعْتَمّ ، فمرّ بالحرس الذين في الأزد ليلاً وعليهم بَدَل بن نُعَيم من بني ثعلبة بن يربوع ، وكان عدي بن أرطاة صيّره هناك في جماعة من بني تميم ، فقالوا : مَنْ هذا ؟ قالوا : الأمير أبو خالد ، قالوا : قَدِمْتُم خير مقْدم ادخلوا بسلام .

فأتى يزيد دار المهلب فاستفتح ، فقالوا : حتى يأتي المنهال بن أبي عُيَيْنَة ، وكان عدي صيّر أمر الدار إليه ليعلمه قدوم يزيد ، فبسط له في الرحبة فجلس ، وجاء المنهال فقال : افتحوا للأمير ، ففتحوا له الباب فلم يدخل ، وبعثت اليه هند بنت المهلب بطعام فلم يأكله ولم يقبله ، ثم دخل

١ ـ على مقربة من الرقة تبعد عنها قرابة الخمسة عشر ميلاً .

الدار بَعْدُ ، وجاء بدل بن نعيم إلى عدي فقال له : قدم يزيد الساعة فَسَرِّحْ معي خيلاً حتى آخذه قبل أن يقوى أمره ، فأبى عدي ذلك وتفرقت المسالح التي في الأزد .

وكتب يزيد من ليلته إلى يزيد بن عبدالملك يسأله الأمان وبعث إليه بكتابه مع خالد ابنه ، وحميد بن عبد الملك بن المهلب ، والمثنى بن عبدالملك بن الرَّبْعَة . ويقال بعث به مع حميد ويزيد بن جديع والمثنى بن عبدالله ، ويقال : بعثه مع حُميد ، ويزيد بن جُديع ، والمثنى بن عبدالله .

وبعث إلى عدي بن أرطاة : القاسم بن عبدالرحمن الهلالي ، وأمه فاطمة بنت أبي صُفْرة ، يسأله أن يُخلي سبيل إخوته ، وقال : أقْرِهِ السلام وقل له : إني لم أخلع ولم أُرِدْ شقاقاً ، وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين أسأله أن يُؤَمِّنَّا ، فَخَلِّ سبيل إخوتي لنخرج عن المِصْر ، فإن أتى كتاب أمير المؤمنين بما نُحب فَذَاكَ وإلا كنتَ قد سلمتَ منا وسلمنا منك .

فأبلغ القاسم بن عبدالرحمن عدياً رسالته ، فقال عدي للقاسم : ما ترى؟ . قال : أرى أن تَشُدَّ يَدَكَ بهم حتى يضع يزيد يده في يدك ، ثم ترى مِن رأيك .

ورجع القاسم إلى يزيد فقال : قد أبى إلا أن تضع يدك في يده ، فبعث يزيد إلى الأزد وربيعة فجاءت الأزد وأبطأتْ ربيعة ، ثم جاؤوا فقال يزيد : لو كنا ندعوكم إلى معصية إنْ كان ليجب عليكم أن تجيبونا وأنتم إخواننا ، فكيف وإنما ندعوكم إلى حق ، عَلَامَ يَحبِسُ هذا الرجل إخوتي بغير جُرْم .

وأمر يزيد العرفاء أن يفرضوا للناس ففرضوا ، وجعل يعطيهم قطع الفضة يقطعها لهم غلمان رجل من الصيارفة يقال له حُرَيْث ، وأتى يزيد قوم من القُرّاء والقُصّاص ، وأرسل يزيد إلى الأسواق فَحَوَّلها أو أكثرها الى الأزد ، واشترى السلاح واعتزل فنزل مقبرة بني يَشْكُر . وكانت اليمانية والربعية تختلف إليه ، وكانت مُضَر تأتي عدياً ، وكان سَبْرَةُ بن نَخَف بن أبي صُفْرة يختلف إلى عدي معتصماً بالطاعة ، فبعث إليه يزيد : يا أبا عمرو إنك تأتي هذا الرجل ولا آمنُ أنْ يغتالك بعض المضرية فيذهب دمك ، فترك عدياً ولزم بيته .

وكان البَخْتَرِيّ بن مَعْن بن المُغِيْرة بن أبي صُفْرة يرى الطاعة أيضا ويكره ما صنع يزيد فخرج الى الشام وأتى يزيد بن عبدالملك فقيل له : إنه عَيْنٌ ليزيد بن المهلب . فحبسه ، فقال قصيدته التي يقول فيها :

فإنْ أكُنْ مُفْرَدَاً بِالشام مُغْتَرِباً دُوْني رِتَاجٌ له قِفْلٌ وإقلِيْدُ
وأصْبَحَتْ بَعْدَ قُرْبِ الدارِ نَازِحةً أُمّ الخليلِ بأرضٍ دُوْنَها البِيْدُ

وحدثني رَوْح بن عبد المؤمن عن وَهَب بن جرير بن حازم عن أبيه أن عدياً حبس من بني المهلب: حبيباً الحرون ، ومروان ، والمفضل ، وعبد الملك ، واستخفى محمد بن المهلب في الحدان ، وتغيب بقية ولد المهلب في قبائل الأزد ، فلم يقدر عدي عليهم ، وكانوا امتنعوا من المصير إليه ، فبعث إليهم من وجوه أهل المصر قوم ناشدهم وقالوا : لاتخافوا أميركم فقالوا : قد مات عمر بن عبد العزيز ولا ندري ما فِعْلُه بنا ، فلم يزالوا بهم حتى أتوا عدياً فلما أتوه حبسهم .

وحدثني روح بن عبدالمؤمن ، حدثني على بن نصر الجهضمي عن مشايخهم أن عدياً بعث الحسن بن أبي الحسن إلى ولد المهلب في عدةٍ منهم : عبدالله ، وخالد ابنا عثمان بن عبدالله بن خالد بن أسيد فناشدوهم أن يأتوا أميرهم ولا يُؤْثِروا على الطاعة شيئاً ، فقال عبدالملك بن المهلب : انكم واطأتم عدياً على هلاكنا وليست طاعته بواجبة علينا ، فقال له الحسن : كذبتَ . فغضب عبدالملك وقال للحسن : أتكذّبني يا بن اللخناء ، وأخذ بقائم سيفه وقال : والله لولا أن أُعيّر بقتلك وأنت في منزلي لضربتُ عنقك ، فأنك عبد تريد استذلال أهل المصر بتخاشعك ، وقد حَمَّقْتَ نفسك وعدوتَ طورك وقدرك ، فلم يزل المفضل أخوه يُقسم عليه ويسكّنه حتى سكن ، ولم يُجبه الحسن بشيء .

ثم قال له : يا حسن ألم تطمر نفسك من الحجاج حيناً ، وليس هذا سلطان بني أمية ، وذلك سلطانهم ، ولسنا نأتي عدياً على هذه الحالة لأنّا لا نأمنه على دمائنا كما لم تأمن الحجاج على دمك . قال الحسن : فإن عدياً أمنكم من كل ما تكرهون ، وأمرني أن أعقد لكم أماناً ، وأضمن لكم عنه الوفاء .

فوثق المفضّل بقوله ولم يزل بعبدالملك حتى مضى معه إلى عدي ، وتخلف الآخرون . فلما دخلا على عدي أَخْفَرَ الحسن وحبسهما مع حبيب ومروان ، ثم بعث فأُتي بأبي عيينة ومُدْرِك فحبسهما فصاروا ستة فقيدهم جميعاً .

فلما حبس بني المهلب صعد المنبر فنعى عمر وأخبر بقيام يزيد بن عاتكة ، وكان المغيرة بن عبدالله الباهلي في خمسمائة فارس بالطّف ، قد

جعلهم عدي هناك ليمنع يزيد من دخول البصرة ، فلما دنا منه انهزم وأصحابه من غير قتال ، فلما انتهى إلى محرس بني تميم قالوا : من هذا ؟ قيل الأمير يزيد ، فسلموا عليه بالإمرة ودعوا له ثم انصرفوا إلى عدي فأخبروه بمقدم يزيد ، فغضب عليهم وشتمهم وقال : تركتموه حتى دخل ، ثم جئتموني تخبروني عنه . قالوا : فعاجِلْهُ الساعة قبل أن يغلظ أمره وتشتد شوكته فإنه إن أصبح لم تصل إليه .

وسأل يزيد عن إخوته الذين حبسهم عدي مع حبيب ومدرك فقال : هَبْ هذين وُلِّيَا ، فما بال الآخرين ؟ وكان مدرك ولي ليزيد سجستان وولي حبيب السند ، فلما عزلهما عدي حبسهما .

ولم يُعْطِ عدي الناس من بيت المال شيئاً ، وجعل يعطيهم في اليوم درهمين درهمين سلفاً من مال يقترضه ويقول : خذوا هذا حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين يزيد، فقد كتبت إليه أن يطلق لي إعطاءكم من بيت المال، وإن أقدمت على إعطائكم من بيت المال لم آمن لائمته وأن لا يحسب ما تأخذونه لي ، فقال الفرزدق :

أظنّ رجالُ الدِّرْهَمَيْنِ تَقُودُهُم إلى الموتِ آجالٌ لَهُمْ وَمَصَارِعُ
وأَحْزَمُهُمْ مَنْ كانَ في قَعْرِ بَيْتِهِ وأيقن أنّ الغُرْمَ لا بُدَّ واقِعُ [1]

حدثني أحمد بن ابراهيم ، ثنا أبو عاصم النبيل عن أبي عامر الخزاز قال : فرضَ عدي لأصحابه درهمين درهمين ، فرأيت رجلاً من أصحاب

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٢١ .

الحرس وقد طعن فخرج تربه [1] وإنه ليقال له : قل لا إله إلا الله فيقول هاتوا الدرهمين . حتى خرجتْ نفسه .

حدثني عمر بن شبّه عن أبي عاصم عن أبي عامر الخزاز بمثله .

وحدثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف قال : جمع عدي لقدوم يزيد ، أهل البصرة وخندق عليها ، فبعث على خُمْس الأزد المغيرة بن زياد بن عَمْرو العَتَكِي ، وعلى خمس تميم مَحْرِز بن حُمْران السعدي أو جَيْهان ابنه ، ويقال عبيدالله بن مضارب الدارمي ، وعلى بكر بن وائل عمران بن عامر بن مسْمَع ويقال نوح بن شيبان المسْمَعِي . والثبت أن رجلاً من بني قيس بن ثعلبة يقال له أبو مُنْقِذ قال : إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسْمَع ؛ فدعا عدي بن شيبان بن مالك بن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ، وعقد لمالك بن المنذر بن الجارود على عبدالقيس ، وعقد لعبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كريز على أهل العالية . وقال غير أبي مخنف : عقد لعبدالأعلى بن الفرات الأسدي على أهل العالية .

وأقبل يزيد لا يمر بخيل من خيلهم ولا قبيل من قبائلهم إلا تنحوا له عن الطريق حتى يمضي .

وحدثني روح بن عبدالمؤمن عن علي بن نصر الجهضمي عن محمد بن أبي عيينة قال : غضب عمران بن عامر بن مسمع فمال إلى يزيد .

وقال أبو الحسن المدائني وأبو عبيدة : كان بالأهواز رجل من أهل الشام من السكاسك يكنى أبا السكن ، واسمه عبدالله بن هارون ، فلما بلغه

١ ـ الترب والترائب : عظام الصدر ، أو ما ولي الترقوتين منه ، أو ما بين الثديين والترقوتين ، القاموس .

أمر يزيد أقبل لينصر عدي بن أرطاة ، فخاف عدي أن يعرض له يزيد ، فبعث المِسْوَر بن عمر بن عباد بن الحُصَيْن والزَّرْد بن عبدالله السعدي ليمنعاه ممن أراده ، فبعث يزيد إليه محمد بن المهلب ـ أخاه ـ والمهلب بن العلاء بن أبي صُفْرَة ، فالتقوا عند الجسر ، ففر الزَّرْد والتقى محمد والمسور فضرب محمد المسور فأصاب أنف البيضة ، فجرحه على أنفه ، وضرب المسور محمداً فتناول محمد السيف من المسور وجذبه فَحَزَّ في أصابع محمد ، والتقى ابن العلاء وأبو السَّكَن فطعنه ابن العلاء ففقأ عينه وتحاجز القوم ، فقال الشاعر :

وأفلتَ في يوم الخميس بنفسه ... وكادَ يُلاقي الموتَ زَرْدُ بني سَعْدِ
حزننا بِحَدِّ السيف كفُّ محمدٍ ... ولم نَبْتَئِس إنْ فَرَّ زَرْدُ بني سَعْدِ

وقال قوم من الأزد : كانت ليزيد رَمَكَةٌ بالأهواز فوجه المهلب بن العلاء ليقدم بها ، وبلغ ذلك عدياً فسرح المسور لذلك ، وأرسل يزيد أخاه ليمنع منه فالتقوا بصهر تاج [1] ووافاهم أبو السكن على تلك الحال فقاتل مع مسور ففقئت عين أبي السكن وجرح مسور على أنفه ، وانهزموا .

وقال المدائني : ولى يزيد بكير الفراهيدي من الأزد الجسر ، فأقام هناك ، ونظم عدي ما بين دار الإمارة والمربد بالخيل والرجال .

قالوا : وسار يزيد لمحاربة عدي ، وعدي في دار الإمارة ، فأمر بظلال السوق فأُحرقت وهُدمت الدكاكين ، فقال هُرَيْم بن أبي طحمة ، واسمه

١ ـ صهرتاج : موضع بالأهواز . معجم البلدان .

عدي بن حارثة بن الشريد بن مرة بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، وهو أبو الترجمان بن هُريم ، والمسور بن عمر بن عباد بن الحصين الحبطي ، من بني تميم لعدي : ما تناظر من هذا المزوني وأنت أعز منه وأُعدّ ، فأمرهما أن يسيرا إلى المربد ، وبث خيله في النواحي واستعد للحرب ، وكتب إلى يزيد بن عبدالملك يعلمه خلع يزيد بن المهلب ، وخرج هريم بن أبي طحمة في جمع كثيف من بني تميم ومن قيس إلى المربد ، ووقف هو في القلب في حنظلة وسعد ، فوجه يزيد إليهم محمد بن المهلب والمشمَعلّ الشيباني ، ودارس مولى حبيب بن المهلب فقاتل دارس وأصحابه بني تميم من أصحاب عدي ، وكانوا في إحدى المجنبتين وهو يقول :

أنا غلام الأزد واسمي دَارِس   إنَّ تَمِيماً ساءَ مَا تُمَارِس
إذا دَعُوْنَا فارساً لِفَارِس

وقال الفرزدق

تَفَرَّقَتِ الجَعْرَاءُ أنْ صاحَ دارسٌ   ولم يَصْبِروا عند السيوفِ الصوارم
جَزَى الله قيساً عَنْ عَدِيٍّ مَلاَمَةً   ألاَ صَبَرُوا حتى تكون مَلاَحِم[1]

وقاتل محمد بن المهلب قيساً وهم في المجنبة الأخرى فهزمهم ، وانكشف أصحاب عدي جميعاً، وأعان بشر بن حاتم بن سويد بن منجوف أصحاب يزيد ، وقاتل فأبلى ، وأتاه محمد بن المهلب شاكراً له ، وبعث إليه يزيد بصلة سنية مع عثمان بن المفضل بن المهلب ، فزعموا أنه قيل لابن سيرين : أن بكراً أعانت الأزد فتمثل :

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٢٤ مع فوارق كبيرة .

إذا كانت الأنصار بكر بن وائلٍ فذلك دِيْنٌ ناقص غير زائدِ

وكان فيمن قاتل يومئذ سالم المتوف فقال بعضهم :

إنّ تَميماً ساء ما تُمارسْ ويل لها من سالم وَدَارِسْ

وقال الفرزدق :

والأَزْدُ قَد نَظَمتْ بالمِرْبَدَيْنِ وقد حَلُّوا بأرْعَنَ مِثْل الطَّوْدِ جَرَّارِ[1]

وإنما كره محمد ودارس أن يصير أصحاب عدي إليه فيقوى بهم ، وكره أصحاب عدي أن يُولّوا فيكبّ محمد ودارس عليهم .

قالوا : ولما كان من الغد بعث عدي هريم بن أبي طحمة المجاشعي إلى المسجد المعروف بمسجد الأنصار في خيل ، فأرسل يزيد أخاه محمداً وهو ابن الطالقانية ، فشد على هريم فاحتضنه وأخذ بمنطقته فقال هريم : عمك يا بن أخي ، فتركه .

وقال أبو مخنف في بعض روايته : التقوا عند مسجد الأنصار ليلاً ، فأهوى محمد لمنطقة هريم ليحمله فيقتلعه من السرج ، فانقطعت منطقته فتركه ، وأقبل مسور بربذ[2] فضربه محمد على أنفه وانهزم أصحاب عدي .

وقال أبو عبيدة : ضرب محمد بن المهلب مسوراً ، ضربة على أنفه ، فقال خلف بن خليفة الأقطع :

كَسَروا راية ابن أُمِّ هُرَيْمٍ وَحَـذُوا مِسْوَرَاً على الخُرْطُومِ

ووجه يزيد عثمان بن المفضل بن المهلب نحو عدي ، وقد برز عدي إلى رحبة القَصّابِينْ ، فلقى عثمان خيل عدي فهزمهم وأسر منهم رجلين

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

٢ ـ الربذ : خفة ، الخفيف القوائم في مشيه ، وربذ العنان : منفرد منهزم . القاموس .

أطلقهما يزيد ، وأبلى عثمان يومئذ بلاء مذكورا فزوجه يزيد ابنته الفاضلة بنت يزيد .

وهُزم أصحاب عدي في كل ناحية ، وقتل خالد بن واقد العقيلي وغيره ، وهرب عدي فدخل الدار .

وأخذ دينار السجستاني مولى آل المهلب في العطّارين ، ثم صار إلى الوزّانين ، فَرُمِيَ بصخرة من سطح فأصابت ظهره فمات واحتز رأسه رجل من بني تميم فأُتى به عدياً ، وقال : هذا رأس بعض بني المهلب ، فبعث به عدي إلى المُحَبَّسِينْ الذين عنده من ولد المهلب ، فقالوا هذا رأس دينار مولانا .

وكان محمد بن المهلب ودارس ومن معهما مواقفين لهريم ومسور وأصحابها لا يقدم بعضهم على بعض ، وذلك عند مسجد الأنصار حيث كانت وقعتهم ، فلم يزالوا على تلك الحال حتى ظهر يزيد على عدي .

قالوا : والتقى عثمان بن المفضل وأصحاب عدي في الرحبة التي عند دار الإمارة فاقتتلوا ، فصُرعِ جيهان بن مُحَرّز السعدي ، فحماه معاوية بن أبي سفيان بن زياد ، فقال الفرزدق :

دعا ابن أبي سفيان والخيلُ دُونَهُ ... تُثيرُ عجاجاً بالسنابك ساطعِ
فَكَرَّ عليه مثل ماكَرَّ مُخْدرٌ ... من الأَسْدِ يَحْمِي وارداتِ المشارعِ (١)

وأم معاوية هذا أم أبان بنت حَكِيْم بن قيس بن عاصم التَّميمي .

ودنا الناس إلى عدي وهو في دار الإمارة ، وألصقوا بالدار ، فجعلت نبالهم تقع في الدار ، فقال عدي لحبيب بن المهلب : أَجِرْني . قال : لا ،

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

ولا كرامة . فقال لأبي عينية وعبد الملك : أجيراني . فقالا : نعم . وكانت الأصوات إذا خفيت دنا بنو المهلب إلى عدي كأنهم يتعوذون به ، وإذا علت دنا عدي منهم متعوذاً بهم .

وجاء عبد الله بن دينار مولى بني عامر وكان على حرس عدي منهزماً ، فدق الباب ، وقال : افتحوا فقد أخزى الله ابن المهلب فلم يفتح له حتى أُسر ، ودعا عثمان بن المفضل بسلم فوضعه على بيت المال أو دار الديوان فصعد الناس ثم انحازوا وخرجوا إلى دار الإمارة فأخذوا عدياً ، وفتحوا الباب، وأرسل عثمان إلى يزيد رجلاً أعلمه الخبر، فأقبل يزيد حتى وقف على باب الدار وأخرج إليه إخوته ، فأمر باطلاق قيودهم فأطلقت ، ولم يدخل الدار ليكون الأمر ـ زعم ـ شورى ونادى مناديه : الناس آمنون إلا عدياً وموسى بن وجيه الحميري ، فقُتل موسى ، قتله رجل عطار ، وقام أخو جرير بن حازم واسمه مُخْلدِ فاعتنق ابن وجيه وقال : اقتلوني وموسى فأصابه السيف ، فحمل وهو مثقل فمات بعد أيام .

ويقال إن شقران مولى العتيك شد على موسى فعانقه ، وقال : اقتلوني وموسى . وارتثّ شقران فحمل إلى العتيك فعاش إياماً ثم مات .

وأمر يزيد فَحُوِّل إليه عدي بن أرطاة وابنه ، وحاضر بن أبي حاضر الأسدي ويقال أبو حاضر نفسه ، وابن السَّمْط بن شُرَحْبِيْل بن السمط الكندي ، وزياد بن الربيع الحارثي وغيرهم ممن أخذ من أصحاب عدي فقيدوا جميعاً فقال له عدي : لا تغرنّك نفسك يا يزيد فقد رأيت جنود الله من أهل الشام وبلاءه عندهم فتدارك أمرك قبل أن يشخصوا إليك ، واعلم أن بقائي أبقى لك ، ولئن طلبتَ الإقالة فهو خير لك .

وقال الفرزدق :

أعطى عديٌّ بِاسْتِهِ وَاسْتِ أُمّهِ   أبا خالدٍ والخيلُ تَدْمَى نُحُورُهَا[١]

وأجمع قوم على الخروج من البصرة منهم : هُريم بن أبي طحمة ، والمسور ، وعمرو بن يزيد بن عمير الأسدي ، ومحمد بن رباط الفقيمي ، وهداب بن مسعود المازني ، ومالك بن المنذر بن الجارود ، والحواري بن زياد بن عمرو العتكي ، فمضوا إلى الكوفة ، فأكرمهم عبد الحميد بن عبد الرحمن الأعرج عامل الكوفة من قبل يزيد بن عبد الملك ، وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز ، فأقره يزيد على الكوفة وأدنى مالك بن المنذر ، فحسده عمر بن يزيد فسعى به وقال : هو عين ليزيد عليك . وقال السرادق الباهلي :

غاب العَرَانينُ مِن قيسٍ ولو شهدوا   يومَ ابنَ أرطاة ما سُبَّتْ به مُضَرُ

قالوا : ولما ظهر يزيد على عدي أقام يومه ذاك في دار بحيال المسجد الجامع ، فلما أصبح أمر فنودي في الناس فحضروا المسجد وحشدوا ، فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : «يا أيها الناس إنّا غضبنا لكم فانظروا لأنفسكم رجلاً يحكم فيكم بالعدل ، ويقسم فيكم بالسوِّية ، ويقيم فيكم الكتاب والسنّة ، ويسير بسيرة الخلفاء الراشدين» .

فقال الحسن بن أبي الحسن البصري : يا عجباً من يزيد إنه بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين اتبعوه تقرّباً إلى بني مروان ، حتى إذا منعوه شيئاً من دنياهم ، وأخذوه بحق الله عليه غضب فعقد خرقاً على قصب ثم نعق

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

بأعلاجٍ فاتبعوه ، وقال : إني قد خالفتُ هؤلاء فخالِفُوهم ، ثم يدعوهم إلى كتاب الله وسيره الخلفاء الراشدين ، ألا وإن من سيرة الخلفاء الراشدين أنْ يوضع في رجله قيد ويُرَدَّ إلى محبس عمر ، فقال رجل للحسن : كأنك راض عن أهل الشام ؟ فقال : قبّح الله أهل الشام وتَرَحَهُم . أليسوا الذين أحلّوا حرم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام . وأباحوه أنباطهم وأقباطهم ، لا يتناهون عن سيئة ولا انتهاك حرمة ، ثم نصبوا المجانيق يرمون بيت الله ، فلم يُهِجْ يزيدٌ الحسن وكفّ عنه .

وحدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا شعبة عن الحسن أنه قال في فتنة يزيد بن المهلب : كلما نَعَرَ لهم ناعِرٌ اتبعوه ، هذا عدو الله ابن المهلب .

وحدثني عبد الواحد بن غياث عن جويرية بن أسماء قال : ذُكر ابن المهلب عند الحسن فقال : فاسق قاتل الناس مع هؤلاء على غير هدى ، ثم غضب غضبةً ، فعقد خرقاً على قصب ، ثم نعق بأعلاج وطغام فاتبعوه ، فهو يزعم أنه يدعوهم إلى كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وسيرة الخلفاء الراشدين الا وإنّ من سيرة الخلفاء الراشدين أن يوضع في رجله قيد ويُرِدّ إلى حبس عمر .

وحدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا وهب بن جرير بن حازم ، ثنا عمر بن يزيد قال : سمعت الحسن أيام ابن المهلب يقول : والله لو أن الناس إذا ابتُلوا من قبل سلطانهم صبروا لم يلبثوا أن يُفرّج الله عنهم ، ولكنهم يفزعون إلى السيف فيكِلُهُم الله إليه ، فوالله ما جاء الجازع إلى السيف بيوم خير قط .

قالوا : وبايع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، وتحول إلى دار الإمارة ، ووجد في بيت المال عشرة آلاف ألف درهم ، وخندق على البصرة ، وولى شرطته عثمان بن أبي الحَكَم الهنائي من الأزد ، واستعمل محمد بن المهلب على فارس ، وهلال بن عَيّاض الهنائي على الأهواز ، وزياد بن المهلب على عُمان ، والمهلب بن أبي عيينة على جزيرة ابن كاوان ، والأشعث بن عبد الله بن الجارود أو مُهْزِم بن القِرْن العَبْدي على البحرين ، وولى مُدْرك بن المهلب خراسان ، وولى وداع بن حميد اليحمدي من الأزد قندابيل ، فقال له حبيب بن المهلب : لا تُوَلِّه فإن في رأسه وعينيه غـدرة ، فكان من أمره أنه أغلقها دونهم ، فقال المفضل : رحم الله أبا بسطام ـ يعني حبيباً ـ لأنه كان يرى أمر وداع ، ويقال إن وداعاً كان قتل قبل هربهم إلى قندابيل .

قالوا : ولما كان يوم الفطر خرج يزيد بن المهلب إلى المصلّى فخلع يزيد بن عبد الملك ، وشتم بني مروان ، ودعا إلى الرضا من بني هاشم ، وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن فقال : وهذه الضَّبْعَةُ العرجاء مضطجعاً بالكوفة ، فأخذ الناس عليه قوله : الضبعة ، وإنما هي الضَّبُع والذكر ضِبْعَان .

وأصاب الناس يومئذ مطر شديد ، فانصرفوا وانصرف يزيد عن المصلى إلى الأزد وصحبه ناس قليل فغدَّاهم وكساهم وأعطاهم مالاً قُسم بينهم ، ثم رجع إلى دار الإمارة .

ووجه يزيد بن المهلب إلى بسطام بن مُرّي المعروف بشوذب الشاري السميدع ، ويقال حبيب بن خدرة يدعوه إلى نصرته ، فقال شوذب للذي

أرسله يزيد من هذين الرجلين : لولا مكانك من الدين لقتلتك . أتدعوني إلى نصر يزيد ؟، وضربَهُ عشرين سوطاً . وكان السميدع وحبيب صُفْرِيَّين .

قالوا : وقدم عبد الملك ومالك ابنا مسمع بن مالك بن مسمع من السند ، فكرها أن يقاتلا يزيد ، فدعوا بني بكر إلى نصرة عدي ، وكتبا إلى يزيد بن عبد الملك كتاباً في أمر يزيد بن المهلب ، فصار الكتاب إلى ابن المهلب فقال : أراهما يُعِينان عليّ ويبغياني الغوائل فحبسهما مع عدي وأصحابه .

قالوا : وكان قتادة بن دعامة السدوسي الفقيه ينتقص يزيد بن المهلب وينال منه ، فبلغ ذلك يزيداً فأرسل يزيد إليه ، وهو في الأزد ، فلما دخل عليه شتمه ، فأغلظ له قتادة فقال السميدع : دعني أبعج بطن هذا الأعمى ، أعمى الله قلبه كما أنه أعمى البصر والقلب ، فقال يزيد : أنا أراقب قومه ، وأمر به فَوُجِىءَ في عنقه ووضع فيها حبل وبعث به إلى الأهواز فحبس فيها . وخرج قتادة وهو يبكي فقال له رجل : أتبكي يا أبا الخطاب ؟ قال : نعم مما أرى . فلم يزل محبوساً حتى قتل يزيد فأخرجه صاحب السجن وكان من بني عجل .

وكتب ابن المهلب إلى زياد بن المهلب ، وهو بعُمان ، أن يفرض ففرض لثلاثة آلاف رجل من أهل عُمان ، واستعمل عليهم المِشْمَاس بن عمرو الأزدي ثم الجديدي ، فقدموا على يزيد ، قالوا : وكان بالبصرة قاض يقال له زَيْدَل[1] ، فشاور الحسن في صحبة يزيد فنهاه فصحبه ، فأخبر يزيد

١ ـ بهامش الأصل : زيدل : باللام .

بقول الحسن فقال : يا قوم مالي وللحسن يُخَذّل الناس عني ، إني لأخاف والله نفسي عليه ، فكان الحسن يقول : يأتينا أقوام فينتصحونا فننتصح لهم فيسيئون بنا . زيدل ، وما زيدل . لعن الله زيدلاً .

وقال يزيد وذكر الحسن : والله ما أدري ما استبقائي إياه فإنه شيخ جاهل ، لهممتُ أن أضربه حتى يموت ، فقال المفَضَّل : أصلح الله الأمير . إن له قدماً وفضلاً وقدراً بالمصر ، فكفَّه ذلك عنه .

وقال الشاعر :

لَبِئْسَ ما أَبْلَتْ تَمِيمٌ أَمْسِ ... عِنْدَ ابن أَرْطَاةَ وعند البَأْسِ
لَمْ يَصْلُحُوا إلا لِلَقْمٍ دحْسِ ... وفَلَقِ البَرْنِيِّ[1] والتَّحَسِّي
وَلَّتْ تميمٌ بظُهُورٍ قُعْسِ ... وأَسْلَمَتْ أدبَارَهَا للنَّخْسِ

وقال يحيى بن أبي حفصة :

لو نَالَ عَقْداً عَدِيٌّ من حِبَالِهُمُ ... ما حَلّ بالسِّجْنِ في قيد وأَصفادِ
إنْ يَقتُلُوكَ فإِنَّ الله قاتِلُهُم ... ودُونَ قَتْلِكَ يومٌ شَرُّهُ بادِ
آلَ المهلّبِ قومٌ خَانَةٌ غُدُرٌ ... لن يَهديَ الله كَيْدَ الخائِنَ العادي

وحَدثت عن مرحوم العطار عن أبيه قال : لما كانت فتنة يزيد اختلف الناس في أمره ، فانطلقتُ ورجل آخر إلى محمد بن سيرين فقلنا : ما ترى يا أبا بكر ؟ قال : انظروا حين قتل عثمان ما صنع ابن عمر فاقتدوا به ، فإن عبدالله بن عمر كفَّ يده .

---

١ ـ الدحاس : الامتلاء والزحام ، ودحس الصفوف لم يترك بينها فرجاً . القاموس النهاية ، والبرني من أنواع التمر الجيد .

حدثني أبو الربيع الزهراني ، ثنا حماد بن زيد عن كلثوم بن جبر قال : قلتُ للحسن : إنْ أكرهَني يزيد بن المهلب على الخروج معه فحمل عليّ رجل ؟ قال : تناشده . قلت : فإن أبىٰ ؟ قال : فكُنْ عبدالله المقتول . قال : فخرجتُ إلى مكة فسألتُ مجاهداً فقال لي مثل قول الحسن .

ودعا يزيد للفَضْلِ بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم وبايعه فتوارىٰ ، وهرب عبد الواحد من ولد ابن عامر بن كريز ، وخالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهْتَم المَنْقَري الخطيب وجماعة من بني تميم وغيرهم . قالوا : ولما ورد حميد بن عبد الملك بن المهلب ، وخالد بن يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك بكتاب ابن المهلب إليه في طلب الأمان استشار الناس في أمانه ، فقالت المضرية : لا تؤمنه فإنه أحمق غدار ، وقالت اليمانية تؤمنه فتحقن الدماء ويستصلحه قومه . فأمر فكتب له أمان على أن يقيم ببلده ، وأنفذه مع خالد بن عبدالله القَسْري ، وعمر بن يزيد الحَكَمي ، وصرف حميداً وخالداً معه ، فتقدم خالد بن يزيد إلى أبيه بالبشارة .

وكان يزيد بن عبد الملك قد ولى عبد الرحمن بن سُليم الكلبي خراسان ، فلما كان ببعض الطريق مما يلي الكوفة بلغه ما صنع يزيد بن المهلب بعده ، فأقام بمكانه ، وورد خالد بن عبدالله القسري ، وعمر بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب فلقيهم الحَوَاري بن زياد بن عمرو العتكي ، وكان قد صار إلى عبد الحميد فحمله من الكوفة على البريد إلى يزيد بن عبد الملك فأخبرهم بما فعل يزيد بن المهلب وقال : تركتُ عدياً محبوساً مقيداً فقال حميد : إن هذا عدوٌ لنا فهو يشنّع علينا .

وساروا حتى بلغوا الموضع الذي به عبد الرحمن بن سُليم بقرب الكوفة فَشَدَّ عبد الرحمن على حميد بن عبد الملك فاستوثق منه ، وأخبر عبد الرحمن بن خالد بن عبدالله والحكمي بما فعل يزيد بن المهلب وقال : لا تَنْفُذا إليه .

وقال أبو مخنف : ولى يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن سُليم الكلبي خراسان ، فلما كان بقرب الكوفة ، بلغه ما كان من ابن المهلب ، فأقام وكتب إلى يزيد بن عبد الملك : إنّ جهاد من خالفك أحبُّ إليّ من ولاية خراسان فاجعلني ممن تُنْهِضُه لقتال ابن المهلب ، فقد عصا وخلع وحبس عدياً .

وورد عليه خالد بن عبدالله ، وعمر بن يزيد بالموضع الذي أقام به ، ومعهما حميد فقال لهما : لا تنفذا ، وشد عبد الرحمن على حميد فبعث به إلى يزيد بن عبد الملك فحبسه .

ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن على خالد بن يزيد بن المهلب حين قدم الكوفة يريد أباه ليبشره ـ زعم ـ بالأمان ، فبعث به إلى يزيد أيضاً فحبسه ، فلم يفارق حميد وخالد الحبس حتى هلكا فيه بالطاعون ويقال بل قُتلا فيه ، ويقال إن ابن جهم بن زحر كان معه فحبسه عبد الحميد .

وورد الحواري على يزيد بن عبد الملك فَصَدَقَه عن خبر ابن المهلب فعندها أمر بتوجيه الجنود إليه ، وبعث يزيد إلى أهل الكوفة رجالاً من أهل الشام يسكنونهم ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويعدونهم الزيادة في أعطياتهم ، وفيهم القَطاميّ بن جَمّال الكلبي واسم القطامي حُصَيْنْ .

وكان القطامي في حين بلغه أمر يزيد بن المهلب قال :

لَعَلَّ عَيْني أنْ تَرىٰ يزيدا يَقُودُ جيشاً جَحْفَلاً رَشِيْدَا
نَسْمَعُ لِلأَرْضِ بـه وَئِيْدَا لا بَرِماً جَبْساً ولا حَيُودَا
ولا جَبَاناً في الوَغَىٰ رِعْدِيْدَا

ثم إنه بعد ذلك سار مع مسلمة بن عبد الملك فحارب يزيد بن المهلب ، فقال يزيد : ما أَبْعَدَ شعر القَطَامي بن جَمّال من فعله .

وحدثني عمر بن بكير عن الهيثم بن عدي عن عوانة قال : مرَّ يزيد بن المهلب بِفَرْقَد السَّبْخِي ، ومع يزيد إخوته : عبد الملك ، والمُفَضَّل ، وأبو عيينة ، فوقف على فرقد وعليه جبة صوف وعلى عاتقه منجل ، فقال له : يا أبا يعقوب إن بني أمية ابتزوا الناس أمورهم فلو خرجتَ سارع الناس إليك ، فقال : هيه ، اذهب عنا . فقال إخوته : مَن هذا ؟ قال : فرقد السبخي . فقال المفضل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، بعد الأحنف بن قيس والمهلب ، ومالك بن مسمع صرنا إلى فرقد السبخي ؟ هلكنا ورب الكعبة .

قالوا : ووجه يزيد بن عبد الملك ـ وهو يزيد بن عاتكة ـ مَسْلَمَة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك في جمع عظيم من أهل الشام والجزيرة يقال إن مبلغه سبعون ألفاً ، ويقال ثمانون ألفاً .

وكان يزيد حين خلع قال : إني لأرجو أن أهدم مدينة دمشق حجراً حجراً . فقال الفرزدق :

تُخَبِّرُكَ الكُهَّانُ أنكَ نَاقِضٌ دمشْقَ التي قد كانت الجنُّ جَزَّتِ
لَها من جبالِ الثلجِ صخراً كأَنهُ قَنَاعيسُ[1] حتى أشرفَتْ وَاشْمَخَرَّتِ

١ ـ القناعيس جمع قنعاس وهو من الإبل : العظيم ، والرجل الشديد المنيع ، العظيم الخلق . القاموس .

أَتَتْكَ خُيُولُ الشامِ تَخْطُرُ بالقَنَا لها خِرَقٌ كالطَّيْرِ لما اسْتَعَلَّتِ
يَقُودُ نَوَاصِيْهَا إليكَ مُبَارَكٌ إذا ما تَصَدّىٰ للكتيبةِ وَلَّتِ
مِنَ آلَ أبي العَاصي حَوَالَيْ لِوائِهِ ثمانُون ألفاً كُلُّها قد أَظَلَّتِ[1]

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أشياخه قال : نزل مسلمة والعباس النُّخَيْلَةَ بالكوفة ، فقال مسلمة : ليت هذا المَزْوَني لا يكلفنا اتباعه في هذا البرد ، فقال حسان النَّبْطِي : أنا أضمن لك أن يزيد لا يَبْرَهُ الأَرَصَةَ ـ يريد : أنا أضمن لك أن يزيد لا يبرح العرصة ـ فقال العباس : لا أم لك أنت بالنبطية أبصر منك بهذا ، فقال حسان له : نَبَّطَ الله وجهك أشقر أحمر أزرق ليس اليه طابِيءُ الخلافة ـ يريد أشقر أحمر ليس عليه طابع الخلافة ، فقال مسلمة : يا أبا سفيان ، لا يهولنّك قول العباس . قال : إنه أهمق لا يأرف ـ يريد أحمق لا يعرف ـ .

قالوا : وقد كان جرىٰ بين العباس ومسلمة اختلاف ، فبلغ ذلك يزيد بن عاتكة ، فوجّه عثمان بن حَيَّان المُرِّي ليصلح بينهما ، وضمن له يزيد بن عاتكة إنْ فَعَلَ أنْ يَفُكَّ عنه حدَّين كان حدّه إياهما أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم الأنصاري ، وهو يومئذٍ عامل سليمان بن عبد الملك علىٰ المدينة ، أحدهما لرجل من قريش قال له : يا مخنث ، أو يا منكوح ، والآخر في شراب .

فلما أصلح بينهما واستقام أَمْرُهُمَا عزل يزيدُ ابنَ حزم ، وكان عاملَهُ بعد سليمان وعمر أيضاً ، فاقتصّ عثمان منه الحدّين . وكان شاعر الأنصار قال :

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١١ ـ ١١٢ مع فوارق كبيرة .

نحنُ ضَرَبْنَا الفاسقَ ابن حَيَّان   حَــدَّيْنِ لَمْ نَخْلِطْهُــمَا بِبُهَتــان
فقال شاعر قيس :
نحن ضربنا الفاسق ابن حزمْ   حــديـن لم نخـلطهــما بــإثمْ

قالوا : ولما بلغ يزيد بن المهلب إقبال مسلمة والعباس في جند أهل الشام والجزيرة ، كتب إلى محمد بن المهلب في القدوم من فارس ، فقدم عليه وقيل له : ائت فارس فإن بها قلاعاً منيعة فإن أُعطيت ما تريد ، وإلا أتيتَ خراسان ، فقال : أَمَعَ الوعول بفارس ؟ فقال محمد : أقم فقاتل بأهل مصرك . فقال حبيب : لا تُخدعَنْ فإن أهل مصرك غير مقاتلين معك ، ولكن احمل هذا المال واخرج إلى الموصل فادْعُ عشيرتك بها ، فقال : يا أبا بَسْطَام أردتَ أن تقربني من عدوي فيقاتلني في بلاده ؟ لا ولكني آتِ واسطاً ثم أقرب من الكوفة وأرتاد مكاناً فيه مجال للخيل ، وأرجو أن ينضم إليّ من أهل الكوفة مثل من معي من أهل البصرة .

فعسكر بالبصرة عند الجسر ، وأمر مروان بن المهلب أن يستنفر الناس ، وكان الحسن البصري يثبط الناس عنه ويحذرهم الفتنة ، فأخذ مروان ناساً من أصحاب الحسن فحبسهم فكف عند ذلك فخلاهم مروان .

ثم وجه يزيد عبد الملك بن المهلب في أربعة آلاف إلى واسط فأتاها، وخرج يزيد من البصرة يَؤُمُّ واسطاً ، واستخلف على البصرة مروان بن المهلب ، فأُتي مروان بِمُرْتَدٍّ فاستشار فيه الحسن فقال : قال رسول الله ﷺ : «من بَدَّل دينه فاقتلوه» ، فقتله .

وقدم يزيد واسطاً في ستة عشر ألفاً ، وشخص معه بِعَديٍّ بن أرطاة ومن حبسه معه ، وتكلم الناس فعظموا أمر أهل الشام ، فخطبهم فقال :

رأيت ارتجاس هذا العسكر بقولهم جاء مسلمة ، وجاء العباس ، وجاء أهل الشام . وما أهل الشام هل هم إلا تسعة أسياف سبعة منها لي وسيفان علي ؟ وما مسلمة ؟ جرادة صفراء . وما العباس ؟ نسطوس بن نسطوس أتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة وأنباط وأبناء فلاحين وأوباش أخلاط كاسلَاءِ اللحم وأقباط . أليس لكم جنن[1] كجننهم ، أوليسوا بشراً يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ، فأعيروني سواعدكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم .

وكان خالد بن صفوان هرب من البصرة فلقيه يزيد بواسط وكانت بوجهه بثرة عليها دواء فاستأذنه وقال إنه وصف لي شرب التيادر[2] بطُوْس ، فأذن له ، فتنحىٰ .

وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص أو غيره :

أبا خالدٍ قد هِجْتَ حرباً فلا تُقِمْ   وقد شَمَّرَتْ حربٌ عُوَانٌ فَشَمِّرِ

فقال يزيد حين بلغه هذا البيت : قد كان ذاك .

وإنَّ بني مَروانَ قد زال مُلْكُهُمْ   فإنْ كنتَ لَم تَشْعُر بذلكَ فَاشْعُرِ
فَعِشْ ملِكاً أو مُتْ كريماً وإنْ تَمُتْ   وسيفُك مشهورٌ بكفِّكَ تُعْذَرِ

فقال يزيد : أما هذا فنعم .

وقال عَطِيَّةُ بن السَّائب الشَّنِّي

أبا خالدٍ إنَّ المنايا مُطِلَّةٌ   فَمُتْ صابراً قِدْمَاً كما ماتَ مُصْعَبُ
ولا تَقْبَلَنْ خَسْفَاً فما مِن سعادةٍ   لِمَنْ عاشَ مَذْمُومَاً يُلامُ ويُقْضَبُ

---

١ ـ الجنن : القلب ، والروع ، والروح . القاموس .
٢ ـ لم اهتد إلى التعريف بهذا الشراب .

فلما سمع يزيد قوله : كما مات مصعب . قال : صدق فُوْكَ .

ووجه يزيد إخوته يرتادون له موضعاً للمعسكر فاختاروه بالعَقْر ، فخلف على واسط ابنه معاوية بن يزيد ، وخلف عدي بن أرطاة ومَن حُبس معه عنده ، وسار يزيد حتى نزل معسكره بالعقر بين المدائن والكوفة وهو من سوراء[1] ، وأتاه ناس من أهل الكوفة يُعْيِنُونه .

ونزل عبد الحميد بن عبد الرحمن النُّخَيْلَة وبثقَ الأنهار لئلا يصل أحد إلى الكوفة ، وبعث مع سَنَدْ بِنْ هانيء الهمداني جيشاً إلى مسلمة ليقاتلوا ابن المهلب معه ، وقال الفرزدق :

هَلَّا زَجَرْتَ الطير إنْ كنتَ زاجراً   غداةً نزلتَ العَقْرَ إنكَ تُعْقِرُ[2]

ولما قرب أهل الشام منه وجه أخاه محمداً ، وكان يسمى المشؤوم ، وابنه المُعَارِك ، في جمع كثيف فلقوا العباس بن الوليد بِسُورَاء وهو في أربعة آلاف سوى من صار إليه من أهل البصرة مخالفين ليزيد ، فالتقوا فانكشف أهل الشام ، وصبر هُرَيْم بن أبي طَحْمَة وأهل البصرة ، فناداهم هريم : يا أهل الشام لا تُسلمونا . فعطفوا ، وأقدم هريم وهو يقول :

لما رأوني في الكتيبة مُعْلَماً   أَغْشَى الكريهةَ مثل ضُوءِ الكوكبِ
فاستيقنوا منّي بِضربٍ صادقٍ   ليستْ عَداوَتُنا كَبَرْقٍ خُلَّبِ

فهزموا أصحاب يزيد حين بلغوا إليه ، فقال الفرزدق :

أَحَلّ هُرَيْمٌ يَوْمَ سُوْراءَ بالقَنَا   نُذُوْرَ نِسَاءٍ مِنْ تميمٍ فَحَلَّتِ[3]

---

١ ـ سوراء : موضع يقال هو إلى جنب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها . معجم البلدان .
٢ ـ ليس في ديوانه المطبوع .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١١ .

وقال محمد بن المهلب ليزيد : لو وجهت إليهم خيلاً فحركتهم . فعقد يزيد لعبدالله بن حيّان العبدي على أربعة آلاف ، وضم إليه فضيل بن هناد الأزدي ثم الفراصي في خيل ، وضم إليه سالماً المنتوف في خيل ، وصيّره على خيل بكر بن وائل فعبروا الصَّراة . ووجه إليهم مسلمة سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كعب بن وَقْدَان بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة في أربعة آلاف ، وكان لأهل الشام كمين فاقتتلوا فقتل عبدالله بن حيان ، وفارس من أصحاب فضيل بن هناد ، وجال أهل العراق وخرج كمين أهل الشام عليهم عند جولتهم فكانت الهزيمة فلم يلووا على أحد حتى أتوا يزيد، وعثر بسالم المنتوف فرسه فصرع فأخذوه أسيراً فقال لمسلمة : استبقني لقتال الروم ، فقال : يا بن اللخناء طالما كفيناك قتال الروم وكفاناهم الله قبلك ، وأمر به فقتل . فقال موسىٰ بن حكيم السَّعْدِي :

وبـالمَنْتـوفِ عَبْـدُكُم فَخـرتُم فَهَلَّا بالصَّرَاةِ حَمَى الـذِّمَارا

ثم عبر مسلمة الصراة ، وخلّف الأثقال ، وخندق خندقين ، فقال المهلب بن العلاء بن أبي صُفْرة : إن هؤلاء قد خندقوا خندقاً بعد خندق ولا آمن من يصلوا بخندقهم إلى خندقنا فعاجلهم ، فضحك يزيد وقال : إن وصلوا فَمَهْ . فما أظن العسكرين ضمّا رجلاً أضعف قلباً منك ، فقال حبيب بن المهلب : أما والله إنك لتعرفه بغير الجبن وقد أشار عليك بالرأي ورماك به فبَيّتْهم وعاجلهم .

فَهَمّ يزيد بذلك فقال بعض من معه من القراء : لا يحل لنا أن نبيتهم حتى ندعوهم ، فأقاموا أياماً ثم التقوا .

قالوا : ولما كان اليوم الذي قتل فيه يزيد ، وهو يوم الجمعة ، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر ، سنة اثنتين ومائة ، خرج منسرٌ لأهل الشام ومنسر لأهل العراق فتهايجوا ، فسمع يزيد ضجة فقال : ما هذا ؟ فقيل : الناس يقتتلون . فدعا يزيد بدرعه وثيابه فلبسها وخرج ووضع له كرسي على باب خندقه ، ووضع لمحمد كرسي آخر وجعلا يتحدثان ، وقد كانت أصابت يزيد خلفة[1] قبل ذلك فضعف ، فأمر الناس فتقدموا وعلى ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى الميسرة المفضّل بن المهلب ، والراية مع المهلب بن العلاء ، وركب محمد فرسه فلحق بهم فصار ومن معه على حاميتهم .

وزحف أهل الشام ، وفي ميمنتهم الهُذَيْل بن زُفَر بن الحارث الكلابي ، وفي الميسرة القَعْقَاع بن خليل بن جزي العبسي ، ويقال الوليد بن تليد العبسي ، والوضاح البربري مولى عبد الملك في الوضاحية . ولوضاح هذا يقول جرير بن عطية :

لقد جَاهَدَ الوَضَّاحُ بالحقِّ مُعْلَماً فأَوْرَثَ مَجداً باقِياً أهْل بَرْبَرَا[2]

فاقتتلوا وصبر الناس ، فقال مسلمة للوضاح : انطلق إلى جسر الصَّراة فأحرقه وأحرق السفن التي في الصراة . فأحرق الجسر وبعض السفن فلما رأوا النار اضطرب عسكر يزيد فقال يزيد ما للناس ؟ قيل : انهزموا . قال : ولِمَ ؟ قيل : أُحرق الجسر . فقال : لعنهم الله رعاج[3] نفخ فطار ، بئس حشو الكتيبة والعسكر ، كأنهم غنم شَدَّ في ناحيتها ذئب .

١ ـ يقال أخذته خلفه : كثر تردده إلى المتوضأ . القاموس .
٢ ـ ديوان جرير ص ١٨٧ .
٣ ـ الرعج : البرق تتابع لمعانه . القاموس .

وصبر أهل الحفاظ ، وفقئت عين المفضل ، وجاء محمد وقد ضُرب على جبهته بعمود فقال له يزيد : من ضربك ؟ قال : لا أدري إلا أنه قال حين ضربني : أنا الغلام الحرشي فظننته سعيد بن عمرو الحرشي .

وكان يزيد جالساً على كرسيه ينقل من مكان إلى مكان ، ووضع على نشز من الأرض فنظر فإذا فرس حبيب بن المهلب قد جاء غائراً . فقال : هذا والله فرس أبي بسطام ولا أحسبه إلّا قد قتل ، وقال له بعض من معه : إني لأظنه كما قلتَ وأنت تشم التفاح ، وكان معه تفاحة يشمها لضعفه .

فدعا يزيد بفرسه الأشقر ثم ذكر قول القائل في الأشقر : إن تقدم نحر وإن تأخر عُقر ، فتطير وقال : ائتوني بفرسي الأشهب فأتي به فركبه وحمل فلما توسط المعركة لقيه القحل[1] بن عياش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عزين من ولد زهير بن جناب الكلبي ، فاختلفا ضربتين فقتل كل واحد منهما صاحبه ، وله يقول المسيّب بن رِفل بن حارثة بن جناب بن قيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب الكلبي :

قتلنا يزيدَ بن المهلبِ بَعْدَمَا ... تَمَنَّيْتُمُ أنْ يغلِبَ الحقَّ باطِلُهْ
وما كان في أهل العراق مُنَافِقٌ ... عن الدين الا مِنْ قُضَاعَةَ قَاتِلُهْ
تَخَلَّلَهُ فَحْلٌ بأبيض صـارمٍ ... حُسَامٌ جَلَا عن شَفْرَتَيْهِ صَيَاقِلُه

وقال أبو مخنف : جلس مسلمة على تل وحوله حماة أهل الشام ، وقصد أصحاب يزيد التل فلما رآهم مقبلين انحدر ، وركب يزيد فرساً له أشهب وقاتل فصدم أهل الشام أهل العراق صدمة منكرة واختلط الناس ،

---

١ - بهامش الأصل : اسم القحل عمرو .

وفقد يزيد فقال المهلب بن العلاء : ويحكم اطلبوا محمد بن المهلب فإن فيه خلفاً من يزيد إن كان يزيد قتل ، فطُلب يزيد فلم يوجد فألقى ابن العلاء اللواء وخنس في الناس .

ودخل أهل الشام عسكر يزيد فأسروا ثلاثمائة فسمي ذلك اليوم يوم التل ، ويوم العقر لأن مسلمة كان على تل ، فلما أقبل الناس نحوه نزل عنه .

وقتل في المعركة يزيد بن المهلب ، وحبيب ، ومحمد بنو المهلب ، وعبد ربه ، والحجاج بنو يزيد بن المهلب ، وحرب بن محمد .

وقال قوم من قيس : قَتَل يزيد الهُذَيل بن زُفَر بن الحارث الكلابي ، وقيل للهذيل : انزل فاحتز رأسه فأَنِف وقال : أنا أنزل فأحتز رأسه ؟ ـ استنكافاً ـ .

وقدم فَلّ يزيد بن المهلب واسطاً على معاوية بن يزيد بن المهلب ، فَقَدَّمَ عدي بن أرطاة ومن في الحبس معه فقتلهم ، وأراد قتل نساء آل المهلب لئلا يؤسرون فأغلقن الباب دونه ، فقال : أُوْلَى ، أما والله لو ظفرت بكنّ ما أبقيتُ منكنّ واحدة ، والله أولى بالعذر .

ومضى معاوية إلى البصرة ، وتحمل منها ففي ذلك يقول ثابت قُطْنَة .

وما سَرَّني قتل الفزاريّ وابنه عدي ولا أحببت قتل ابن مسمع
ولكنها كانت مُعَاوِي زَلّةٌ وضعت بها أمراً على غَيْرِ مَوْضِعِ

وكان الذين قتل معاوية بن يزيد بن المهلب : عدي بن أرطاة ، وعبدالله بن عروة النصري ، وابني مسمع .

وقال أبو الحسن المدائني : لما قتل يزيد جاء قوم يقولون : جاء الفتح ، ثم جاءت حقيقة الخبر ، فقتل معاوية بن يزيد وهو على واسط عديا ، وجميع من كان معه ، وكان عدي قال ليزيد : استبقني فهو خير لك ، فقال له : اني لخليق أن أشدك بالحديد وأضعك بيني وبين أهل الشام . فقال : إذاً لا يمنعهم ذلك من الإغراق في النزع .

قال : وأسر من أصحاب يزيد في المعركة ألفان وثمانمائة ، فبعث بهم مسلمة بن عبد الملك من العقر إلى ذي الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وكان عامله على الكوفة .

وحدثني حفص بن عمر المعروف بالعُمري عن الهيثم بن عدي عن ابن عياش ، وأخبرني الأثرم عن أبي عبيدة وقرأت على المدائني قالوا : لما قتل يزيد وأُتي برأسه ورؤوس أصحابه إلى مسلمة أرسل بها مسلمة والعباس بن الوليد مع عذام بن شتير الضبي إلى يزيد بن عبد الملك وافداً وبشيراً ، وبعث برأس يزيد خاصة مع محمد بن عمر المخزومي ، فلما وردت الرؤوس على يزيد بن عبد الملك سَجَدَ ودعا بحجام فأخذ من ناصيته ونواصي من حضره ، وكان ابن شهاب الزهري فيمن حضره ، وكان أصلع شديد الصلع ، فأخذ الحجام شعرات من قفاه .

وأقطع يزيد بن عبد الملك محمد بن عمر المخزومي مهلبان[1] ، وأقطع عذام بن شتير أرض زياد بن المهلب . وقال الفرزدق .

١ - لم يرد ذكر مهلبان في المصادر الجغرافية .

لولا دفاعك يوم العقر ضاحية عن العراق ونار الحرب تلتهب
لولا دفاعك عنهم عارضاً لجباً لأصبحوا عن جديد الأرض قد ذهبوا
لما التقوا وجنود الشام فاجتلدوا بالمشرفِيَّـةِ فيها المـوتُ والحَرَبُ
خَلّوا يزيد فتى المصرين منجدلاً بالعقر منهم ومن ساداتهم عُصَبُ
حـامى سنانٌ عليـه في كتيبته وأسلمته هناك العُجْمُ والعربُ[1]

سنان مولى بني مسمع ، كان صبر في أربعمائة من القراء .

قالوا : وكان سعيد بن عمرو الحرشي قال قبل القتال لمسلمة بن عبد الملك : ان محمداً كان لي ودّاً ، فلو أذنت لي فلقيته فأعطيته أماناً ، لعله يصرف يزيد عن رأيه ، قال : فسر إليه فأعطهم جميعاً الأمان ، فدنا سعيد بن عمرو من عسكرهم ونَوَّه بمحمد فأتاه فقال : يا أبا حرب أعن رأي ملئكم كان هذا ؟ قال : إن يزيد خاف على نفسه ، ففعل ما ترى ، فأمنه ، فأبى يزيد قبول الأمان .

وقال أبو الحسن المدائني : نظر الحسن بن أبي الحسن إلى النضر بن أنس بن مالك ، أو موسى بن أنس ، وهو يقول : أيها الناس ما تنقمون من أن يقام لكم كتاب الله ، فقال الحسن : وهذا ابن أنس قد شمر ، قاتل الله ابن المهلب ، اطرقي ومَيِّشي ، خرقاء وجدتْ صوفاً[2] .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٩٢ .
٢ ـ اصل الطرق : ضرب الصوف ونحوه بالمطرقة وهي العصا التي يطرق بها الصوف أي ينفض لينتفش ويتداخل ويقال هذا المثل للذي يخلط في كلامه بين صواب وخطأ . انظر الامثال لأبي عبيد ص ٥٣ .

الطرق : الضرب ومنه قيل مطرقة الصانع ، ومطرقة النجار وهي عوده . والمَيْشُ : خلط الشعر بالصوف . مَيَّشْتُ ، أُمَيِّش ، مَيْشاً . وهذا مثل سائر .

ومن رواية أبي مخنف أن يزيد قام فحرض الناس على القتال فقال : ان هؤلاء قوم لن يردعهم عن غيّهم إلا الطعن في أعينهم ، والضرب على هامهم ، إنه ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء ـ يعني مسلمة ـ وعاقر الناقة نسطوس بن نسطوس ـ يعني العباس ـ الذي كان سليمان بن عبد الملك عزم على نفيه فكلمته فيه حتى أقره على نسبه ، ليس يهمهما إلاّ تشريدي في الأرض ولو جاؤوا بأهل الأرض جميعاً ما برحت العَرَصَة حتى تَكون لي أو لهم. فقيل له : إنا نخاف أن تصنع كما صنع ابن الأشعث . قال: أن ابن الأشعث فضح الذمار وفضح حسبه ، هل كان يخاف أن يفوت أجله .

المدائني عن رجل عن ابن عياش عن جعفر بن سليمان الأزدي قال : لما انتهى يزيد إلى سُوْراء من أرض بابل نزل العقر فقال : ما اسم هذا المنزل ؟ قيل : العقر . قال : انا لله وانا إليه راجعون . وتطيّر ثم دعا بدرعه فصبّها عليه وتقلد بسيفه ، ثم دعا بقباء محشو فلبسه ، ثم دعا اسماعيل بن عطارد فقال : حدثني عن ابن الأشعث . قال : هزم من الزاوية ، فأتى دير الجماجم فهزم ، فأتى المدائن فهزم ، فأتى مَسْكَنَ وهي عند دُجَيْل الأهواز فهزم ، فأتى جنديسابور فهزم ، فأتى سابور . فقال يزيد : سَوْءَةٌ له ، أما استطاع أن ينغمس في الموت ثم يغمض إغماضه ، فوالله ما هي إلا رقدة إلى يوم القيامة ، فعلم أنه وطنَّ نفسه على أنه لا يبرح حتى يموت ـ وتمثل بقول الشاعر :

بِأَسْتِ امرىءٍ لَمْ يَطِبْ نَفْساً بِمِيْتَتِهِ إنّ الكرامَ على ما نابَهُم صُبُرُ

فلما التقوا أغمض كما قال حتى قتل .

قال : ولما لبس سلاحه ، دخلت عليه جاريته بَسَّامَة ، وكانت من أحبّ الناس إليه ، وقد تهيأت وتلبستْ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فَكَرِة ذلك كراهة شديدة ، وتبسم وقال :

رويدِكِ حتى تَنْظُرِي عَمَّ تَنْجَلي غمامةَ هذا العارضِ المتألّقِ

ثم خرج فقال لدارس : كن قريباً ، ثم أطاف على رايات أهل الشام يسأل عن راية راية منها ، فقال : أُوَّه ، يقاتلني بقومي من لا قوم له .

وقال أبو مخنف : لما قتل يزيد وانهزم الناس كان المفضل يقاتل أهل الشام ، وهو لا يعرف خبر يزيد ، ولا أنه قد قتل وأن الناس انهزموا ، وإنه لعلى برذون له سَمَنْد[1] قريب من الأرض ، وأمامه مُجَفَّفَةٌ كلما حمل عليهم انكشفوا فيحمل ثم يرجع ، حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يلتفت من أصحابه أحد إلا قال له : لا تلتفت وأقبل بوجهك على عدوّك .

وجعل عامر بن العَميثل الأزدي يضرب بسيفه ويقول :

قد علمتْ أم الصبيّ المولود أنيّ بِنَصْلِ السّيفِ غيرُ رِعديد

وانكشف جلّ ربيعة ، فناداهم المفضل : الكرَّة ، الكرَّة يا معشر ربيعة ، نفسي لكم الفداء ، اصبروا ساعة فما كنتم بكُشُفٍ ولا لئام وما الفرار لكم بعادة ولا يؤتَيَنَّ أهل العراق من قِبَلَكُم .

---

١ ـ السمند : الفرس . القاموس .

فبينا هو كذلك إذ قيل له : ما تصنع ههنا وقد قتل يزيد ، وحبيب ، ومحمد ، وانهزم الناس ؟ . فتفرق من مع المفضل ، وأخذ المفضل الطريق إلى واسط ، وجاء أهل الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب .

وقال أبو الحسن المدائني : قال أبو اليقظان : لما قتل يزيد أقبل عبد الملك إلى المفضل فكره أن يخبره بقتل يزيد فيستقتل ، وقال : إن الأمير قد انحدر إلى واسط ، فانْحَدَرَ المفضل بمن بقي من ولد المهلب إلى واسط ، فلما علم بقتل يزيد حلف ألا يكلم عبد الملك أبداً ، فما كلمه حتى قتل بقندابيل .

قال : وكانت عين المفضل فقئت في الحرب فقال : فضحني عبد الملك آخر الزمن ، وما عذري عند الناس إذا نظروا إلى شيخ أعور مهزوم ، ألا صدقتني فَقُتِلْتُ كريماً ؟ .

وقال المفضل :

لاخيرَ في طعنِ الصناديدِ بالقَنا ولا في لقاء الحربِ بعد يزيدِ

وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه محمد بن السائب : قَتَل يزيدَ بن المهلب يوم التل القحلُ بن عياش ، واسم القحل عمرو ، وقتله يزيد أيضاً ضرب كل واحد منهما صاحبه .

وقال المدائني : يقال إن الهُذَيل بن زُفَر قتل يزيد ، وأن القحل احتزّ رأسه ، وجاء به إلى مسلمة . والخبر الأول أثبت .

المدائني عن سُحَيْم بن حفص : أن يزيد بن عبد الملك لما قُدِم عليه برأس يزيد بن المهلب ، ورؤوس من قتل معه من أهل بيته أمر أن يطاف بها

في أجناد الشام ، وكان الذي عَرَّفَهُم الرؤوس : الحواري بن زياد بن عمرو العتكي .

وبادر العباس بن الوليد فوجَّه بالبشارة إلى يزيد بن عاتكة عِذام بن شُتَيْر ، قبل أن يوجه بها مسلمة أحداً .

وقال الهيثم بن عدي : قال ابن عياش وعوانة : نزل يزيد العقر من سوراء ومعه ثلاثة آلاف من الاباضية عليهم جعفر بن شيبان الأزدي فقال يزيد : يا دارس كن مني قريباً .

وتقدم محمد بن المهلب فأنشب الحرب ، وكان مشؤوماً فقتل أهل الشام من الاباضية نحواً من ألفين ، وعطفوا على يزيد فقاتل فقتل ، وطلبه أصحابه فلم يقدروا عليه ، وأصيب دارس مقتولاً ، ونظروا فإذا في وجه يزيد وصدره نحو من عشرين ضربه وطعنة ، واحتزوا رأسه .

وعمد معاوية بن يزيد بن المهلّب ، وهو على واسط ، فقتل عَدياً ، ومن حبس معه من الأسارى فقال ثابت بن قطنة الأزدي :

ما سَرَّني قتلُ الفزاري وابنه عدي ولا أحببتُ قتل ابن مسمعِ
ولكنها كانت معاويَ زلةٌ وضعتَ بها أمراً على غير مَوْضعِ

وأُسر من أصحاب يزيد في المعركة ، وممن كان في عسكره ، ألفان وثمانمائة رجل ، فبعث بهم مسلمة من العقر إلى ذي الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان عامله على الكوفة ، وعلى شرطه بالكوفة العُريان بن الهيثم . فقال ذو الشامة للعريان : لستَ من هؤلاء في شيء فشأنك بهم . فميَّزهم فقال : يا أهل اليمن أنتم الشعار دون الدثار ، وأنتم معشر ربيعة الإخوة والحلفاء ، وأما هؤلاء - يعني بني تميم -

فأعدى الأعداء . فكان يُخرج في كل يوم عشرين من بني تميم فيضرب أعناقهم حتى قتل منهم ثمانين ومائة ، ويقال قتل منهم خمسين ومائة ، ويقال قتل عشرين ومائة . فقال حاجب بن ذبيان المازني :

رأيتُ المعيطيينَ خاضوا دماءنا بغير دمٍ حتى انتهى بِهُمُ الوَحْلُ
فما حَمَلَ الأقوامُ أثقلَ مِن دمٍ حرامٍ ولا ذَحْلٍ إذا اتُّبعَ الذَّحْلُ
حَقَنْتُمْ دماءَ المُصْلَتِيْنَ عليكمُ وحرًّ(١) على فرسان غيرهمُ القَتْلُ
وَقَى بِهُمُ العُرْيَانُ فتيان قَوْمِهِ فياعجباً أينَ الأمانةُ والعَدْلُ

في أبيات .

وكان قتل يزيدفي سنة اثنتين ومائة .

وقال أبو مخنف : أسر من عسكر يزيد بن المهلب ثلاثمائة رجل ، فسرّح بهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بالكوفة ، وجاء كتاب يزيد بن عاتكة إلى مسلمة بقتل الأسارى ، فأمر محمد بن عمرو بذلك، فقال للعُريان : أَخرِجْهم عشرين عشرين . فقام قوم من بني تميم فقالوا : نحن انهزمنا بالناس فابدأوا بنا قبل الناس ، فما هو إلا أن فرغ من قتلهم حتى جاء كتاب مسلمة بالكف عن قتلهم ، فكان العريان يقول : والله ما أردتهم حتى قالوا : ابدأوا بنا .

وقال المدائني : كانت هزيمة أصحاب يزيد من قبل الوضّاحية ، والوضّاح مولى عبد الملك بن مروان ، كانت معه خيل مفرّدة .

---

١ ـ يقال : بالحرا أن يكون ذلك ، وإنه لحري بكذا ، وحر . القاموس .

قالوا : ولما وصل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك بعث به إلى امرأته أم الحجاج بنت محمد بن يوسف التي عذبها ، وكلمه يزيد بن عبد الملك فيها فلم يجبه إلى ما سأله في أمرها ، فبصقت في وجهه وقالت : أراك شيخاً أحمق تطلب الباطل ، فقال يزيد بن عبد الملك ، والله ما أشبهتْ أم الحجاج أمي عاتكة بنت يزيد حين أُتيتْ برأس الحسين بن علي فأراد الرسول أن يضعه على الأرض فشتمتْهُ ودَعَتْ بوسادة فَوُضِعَ عليها ، ثم غَسَلَتْه وطيَّبته .

وقال المدائني وغيره : خرج مروان بن المهلب من البصرة هارباً وخلّاها فوثب عليها شبيب بن الحارث المازني فأخذها ، ودعا ليزيد بن عبد الملك ، وصلى بالناس حتى قدم عبد الرحمن بن سُليم الكلبي من قِبَل مسلمة .

وكان جَيْهَان بن محرز نازع شبيباً فيها فقهره شبيب ببني مازن ، وكان جيهان قاتل مع عدي بن أرطاة .

وقام عطاء مولى بني شقرة ـ واسم شقرة معاوية بن الحارث بن تميم ـ وكان عطاء أعور فجعل يقول : جاءكم الأمان . فقال الشاعر :

أَلَيْسَ عجيباً بحـقّ الإلـــ ـــه قيـام عطـاء على المنبر
يُخَبِّـرُ عَنْهُـمْ بـأخبـارِهِـمْ وما خَبَرُ الكـاذبِ الأعـورِ

المدائني عن الربيع بن صُبيح قال : جاءتنا هزيمة يزيد بن المهلب ومقتله فلما كان نصف النهار قال أبو نضرة : من يصلي بالناس ؟ وخرج شبيب بن الحارث إلى الأُبلة ، وأمر الحسن أن يصلي بالناس فقال أنس : إني عليل . فغضب أبو نضرة وقال : يا سبحان الله تأتي جمعة لا يصلى فيها بمصر

من أمصار المسلمين ، ودخل على الحسن فقال له : إن الناس لا يصلون حتى تخرج ، فإذا الحسن قد جاء معتمداً على رجل ، فقام على الأرض فخطب وقرأ في خطبته : ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾[1] ولم يقعد في الخطبة ثم أقامِ المؤذنون فقرأ : الجمعة ، وسبّح اسم ربك الأعلى .

قالوا : وصلب مسلمة بن عبد الملك جثة يزيد بن المهلب ، وعلق معه خنزيراً ومردياً[2] وزقّ خمر وسمكة .

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ثنا الحكم بن عطية قال : سمعت الحسن سئل عن قول الله : ﴿زخرف القول غروراً﴾[3] فقال : ألم تروا إلى عدو الله ابن المهلب يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه وقد نبذهما وراء ظهره .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن أبي بكر الهذلي قال : كنا عند الحسن فذكر يزيد فقال : عجباً لهذا الحمار النّهاق يدعو - زعم - إلى كتاب الله وسنة نبيه وقد نبذهما وراء ظهره ، اللهم اصرع ابن المهلب صرعة تجعله بها نكالا لما بين يديه وما خلفه وموعظة للمتقين . واعجباً لهذا الحمار النهاق بينا هو يضرب أعناقنا بالأمس تقرباً إلى بني أمية ، إذ رأى منهم نبوة واصابته جفوة فنصب قصباً عليها خرق ، ثم قال : أدعوكم إلى السنّة ، ألا وإن من السنة أن تجعل رجلاه في قيد ، ويجعل حيث جعله عمر بالأمس .

١ - سورة الزمر - الآية : ٥٣ .
٢ - دفع الملاح السفينة بالمردي ، دفعها بخشبة للدفع . القاموس .
٣ - سورة الأنعام - الآية : ١١٢ .

خبر آل المهلب بقندابيل[1]

قالوا : وهرب آل المهلب بعيالاتهم إلى قندابيل ، فحرقت منازلهم بالبصرة وهدمت ، وأراد مسلمة أن يوجه تميم بن زيد القيني ليتبع فَلّ يزيد وولد المهلب ثم قال له : لو جّهتَ رجلاً من بني تميم كان أبلغ فيما تريد ، فوجّه هلال بن أُحْوَز المازني ، وهو هلال بن أحوز بن أربد بن محرز بن لأي بن سمير بن صباري بن حجية بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن غَنْم من بني تميم ، فعقد له على اثني عشر إلفا من أهل الشام وأهل العراق ، فسار وعلى مقدمته الحارث بن سليمان التجيبي فأتى قندابيل ، فنصب هلال رايته ونادى مناديه : من هرب فهو آمن ، ومن أتى هذه الراية فهو آمن إلاّ أن يكون من ولد المهلب ، فتسارع الناس إليه .

المدائني عن جهم بن حسان السليطي قال : التقى هلال بن أحوز وبنو المهلب بقندابيل وقد عبأهلال ميمنة وميسرة ، فخرج مدرك بن المهلب يطلب المبارزة ، فخرج إليه سَلْم بن أحوز فقيل له : أنت أخو الأمير وليس

---

١ ـ قندابيل : مدينة بالسند ، كانت قصبة لولاية يقال لها البودهية . معجم البلدان .

ينبغي أن تبارزه فرجع ، فلامه أخوه هلال وشتمه فخرج فبارز مدركاً فقتله سلم .

وكان لمدرك سيف قاطع فجعل ينبو فقال : إن هذا لأمر يراد ، الله المستعان ، خذلتنا سيوفنا أيضاً .

ويقال إن هلالاً آمن الناس إلا معاوية بن يزيد لقتله عدياً وأبا حاضر الأسيدي ، أو حاضر بن أبي حاضر ، وإنما قتلهم وهم أسراء في يده ، فانتدب معاوية بن يزيد فقال : أنا قاتل أبي حاضر الأسيدي ، أو قال : قاتل حاضر بن أبي حاضر ، وعدي وابنه ، فحمل عليه رجل من أهل الشام فقتله ، ويقال قتله رجل من بني كعب بن عمرو بن تميم كأنه سَفُودٌ من شدة سواده .

وكان أمير آل المهلب بقندابيل المفضل بن المهلب وهو أعور ، أصيبت عينه يوم العقر ، وكان لواؤهم مع عمرو بن قبيصة بن المهلب .

ونادى هلال : من جاء برأس فله ألف درهم حتى أتي برأس المفضل فقيل له : هذا رأس المفضل رئيس القوم ، فقال : ما عهدي به أعور ، فقالوا : فقئت عينه يوم العقر ، فنزل حتى جلس على بساط ، وأسر عثمان بن المفضل وأتى به هلال فكان الذي يخبره عن رؤوس آل المهلب فحبسه وسَهَّل عليه فهرب من الحبس .

ولما قتل ولد المهلب وَكَّل هلال بالحرم من يحفظهم ، وفر عثمان بن المفضل ، وأبو عينية بن المهلب ، وعمر بن يزيد بن المهلب . ونادى منادي هلال : ألا برئت الذمة ممن اتبع مُوَلِّياً . وأمر أن لا يعرض أحد للنساء وما في أيديهن وقال : من رفع ستراً أو دخل على امرأة فلا ذمة له .

وشكت امرأة من آل المهلب أن رجلاً دخل منزلها فضرب عنقه ، وكان نساء آل المهلب يقلن : لو أن المهلب ولينا ما فعل بنا إلا دون ما فعل هلال بن أحوز . وأتته ميسون بنت المغيرة فسألته أن يأذن لها في دفن جثث رجالها فأذن لها .

وقال المدائني عن بشر بن عيسى عن أبي صفوان قال : أخذت امرأة من آل المهلب صحيفة فأعطتها مولى لها فكتب قُتل فلان ، ثم فلان ، ثم فلان . للميراث .

وحدثني خلف بن سالم المخزومي وأبو خيثمة عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه ، ومحمد بن أبي عينية قالا : وجه مسلمة : عبد الرحمن بن سليم الكلبي فهدم دور آل المهلب ، وولى على شرطته عمر بن يزيد الأسيدي .

قالوا : وفي عبد الرحمن بن سليم يقول الفرزدق :

أرى ابن سليمٍ يَعصِمُ الله دينَهُ ... به وأثافي الحرب تغلي قدورها
هو الحجر الرامي به الله من بَغى ... إذا الحربُ بالناسِ اقشعَرَّت ظهورها[1]

في قصيدة .

ثم عزل مسلمة : الكلبي عن البصرة ، وولاه عُمَان ، واستعمل على البصرة عبد الملك بن بشر بن مروان ، ووجه مسلمة : مدرك بن ضب في اتِّباع فَلّ آل المهلب ، فلما انتهى إلى كرمان لقي بها مدرك بن المهلب مقبلاً

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٥٨ مع فوارق .

من خراسان وقد انضم إليه بعض فل يزيد من أهل الكوفة وغيرهم فاقتتلوا .

وقال أبو مخنف وغيره : لقي مدرك بن ضب : مدرك بن المهلب ، ومعه النعمان ، ومالك ابنا ابراهيم بن الاشتر ، ومحمد ، وعثمان ابنا اسحاق بن محمد بن الأشعث ، وصول مولى يزيد بن المهلب ، فاقتتلوا فقتل يومئذ النعمان بن ابراهيم ومحمد بن إسحاق ، وجرح عثمان بن إسحاق جراحة فمضى متحاملاً حتىٰ انتهى إلى حلوان ، فَدُلَّ عليه فقتل ، وبعث برأسه إلى مسلمة .

ومضى مالك بن ابراهيم بن الأشتر إلى الكوفة فطلب الأمان من مسلمة فأمنه ، وأسر صول فبعث به ابن ضب إلى مسلمة فقال : أنت الذي كتبت على سهمك : صول يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ؟ وأمر به فضربت عنقه ، وتخلص مدرك فقتل بقندابيل .

حدثني علي الأثرم عن أبي عبيدة عن يونس النحوي عن أم ولد معاوية بن يزيد بن المهلب قالت : كنا بقندابيل فما راعنا الا خيل هلال بن أحوز ، وإن معاوية لجالس يأكل شهدانج وسمسماً ، فقام متعجلاً فلبس سلاحه ، ثم خرج فقتل هو وأهل بيته ، وقتل المفضل وهو أميرهم ، وعبد الملك أخوه لأمه بَهلة ، وزياد وكان ـ قيْلَ ـ على عمان ، ومروان وكان على البصرة ، والمنهال بن أبي عيينة وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحُملتْ رؤوسهم وفي آذانهم الرقاع بأسمائهم .

وقال الهيثم بن عدي : أسر من آل المهلب ثلاثة عشر رجلاً ، فقدم بهم على مسلمة ، وهو بواسط فوجههم إلى يزيد بن عاتكة وعنده كثير بن عزة فأنشده :

حليمٌ إذا ما نال عاقبَ مُجْمِلاً أشدَّ عقابٍ أو عَفَا لم يُثَرِّبِ
فعفـو أمـير المؤمنـين وحسبـة فما تأته من صالح لك يكتبِ
اساؤوا فإنّ تعفو فإنـكَ قادرٌ وأفضلِ حلْم حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

فقال يزيد : يا أبا صخر هيهات ، أطَّتْ بك الرحم . لا سبيل إلى ذاك ، إن الله أقاد منهم بأعمالهم الخبيثة . ثم قال : من يطلب آل المهلب بدم فليقم ، فقام يزيد بن أرطاة فقال : يا أمير المؤمنين قتلوا أخي ، وابن أخي . فقال : خذ منهم رجلين فاقتلهما ففعل .

وقام ابن لعبدالله بن عروة البصري فقال : يا أمير المؤمنين قتلوا أبي ، فقال : اقتل منهم رجلاً . ثم أمر ببقيتهم فقتلوا حتى كان آخرهم غلام ، فقالوا : هذا غلام صغير . فقال : اقتلوني فما أنا بصغير ، فقيل : انظروا أنْبَتَ ؟ فقال : أنا أعلم بنفسي قد شوكتُ ووطئت النساء فقال يزيد : اضربوا عنقه ، فقتل .

وقال يزيد لرجل من اليمانية : كيف كانت غزاتكم بالعراق ؟ قال : قتلنا أشرافنا وجئناك فقال : أما يزيد فقد طلب عظيما ومات كريماً .

وكتب يزيد في قبض آل المهلب وهدم دورهم ،ولم يكن ليزيد دار ، إنما كان ينزل دار المهلب ، وكان يزيد يقول : داري السجن أو دار الإمارة .

---

١ ـ ديوان كثير ص ٤٧ ـ ٤٨ .

قالوا : وبعث هلال بن أحوز إلى أم الفضل بنت غيلان بن خرشة ، وهي أم مخلد بن يزيد أن اختاري من يخرج معكِ فاختارت قوماً من مواليهم يخرجون معها ومع نساء آل المهلب ، وبعث معهم بمشيخة من أهل الشام ، وبعث بالرؤوس إلى مسلمة بن عبد الملك فورد العراق وقد عزل مسلمة بن عبد الملك ، وولي عمر بن هبيرة ، فأخذ ما كان في أثقالهن وبسط عليهن حتى استنطف ما كان عندهن فأخذ الرقيق لنفسه ، وخاف أن يخرج النساء إلى الشام فيخبرن بما صار إليه فكتب إلى يزيد يستعفيه لهن من الشخوص فأعفاهن .

وقال أبو عبيدة : لما طيف برأس يزيد والرؤوس التي كانت مع رأسه بالشام ، ردت إلى البصرة فنصبت بها .

قالوا : وأقام مسلمة بعد يزيد علىٰ العراق ثمانية أشهر ، ويقال ستة أشهر ، فقُدح فيه عند يزيد بن عبد الملك ، وقيل إنه غير مأمون على الخراج ، وليس هو ممن يكشف عنه . فعزله وولى العراق عمر بن هبيرة .

قالوا : وجعلت طوائف من الأزد تقول بعد قتل يزيد إنه حي . فلما تزوج عمر بن يزيد امرأته عاتكة بنت الملاءة قال الفرزدق :

لقد بَيَّنَتْ بنتُ المِلاَءَةِ مَنْ نَعَىٰ   لأُزْدِ عُمَانٍ جيفةَ ابنِ المهلّبِ[1]

قال المدائني : ولم يزل هلال على السند وقندابيل حتى قدم ابن هبيرة العراق ، وقدم نساء المهلب فقال لأم مالك بنت زياد بن المهلب : قد علمتِ أني الوالي وأني أقدر على مضرتكم ونفعكم ، وقد قتل هلال رجالكم فلم

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

يُبْقِ ، وأنا كاتبٌ في هلال أذكر خيانته فصدقيني . وكتب إلى يزيد بن عبد الملك بذلك ، وبعث بأم مالك وقرظها في كتابه إلى يزيد فكذبته ، وأثنت على هلال وقالت : أحسن ولايتنا بعد أن بالغ في أمرك ولم يُبْقَ غاية في طاعتك ، فكتب يزيد إلى ابن هبيرة يعنفه .

وقد قيل إن النساء أُشخصنَ إلى يزيد أشخصهُنَّ ابن هبيرة فخلى سبيلهن .

قالوا : وبقي عيينة بن المهلب ، وعثمان بن المفضل بن المهلب ، وعمر بن يزيد بن المهلب ، عند رتبيل بسجستان ، فبعثت هند بنت المهلب إلى يزيد في طلب الأمان لأبي عيينة فأمنه فقدم العراق وبقي عمر بن يزيد ، وعثمان بن المفضل عنده حتى قدم أسد بن عبدالله القسري أميراً على خراسان ، فكتب إليهما بأمانهما فقدما خراسان .

وقال بعض الرواة : كان الأسراء الذين قُدم بهم على يزيد بن عبد الملك فأمر بقتلهم : المعارك ، وعبدالله ، والمغيرة ، بني يزيد بن المهلب ، ودريد ، والحجاج ابني حبيب بن المهلب ، وغسان ، وشبيب والفضل بني المفضل بن المهلب ، والمفضل بن قبيصة بن المهلب ، والفضل ، والمنجاب ابني يزيد بن المهلب .

وقال الفرزدق حين قتل يزيد بن المهلب :

إذا ما المَزُوْنيَّاتِ أَصْبَحْنَ حُسَّراً ... يُبَكِّيْنَ أشلاءً علىٰ عقْرِ بـابل
فكُنْ طـالباً بنتَ المـلاءةِ إنها ... تُذَكِّرُ رَيْعَانَ الشبابِ المُزَايِلِ(١)

---

١ - ليسا في ديوانه المطبوع .

المدائني قال : أتى الحسن يزيد بن المهلب في حاجة قبل محاربته عدياً ، فقام يزيد فأخذ بركابه فحدث بذلك سوار بن عبدالله ، فقال : إن هـذا الخبر صدق . في يزيد إعظامه أهل الدين والعلم .

وقال أبو الحسن المدائني : وجه يزيد بن عبد الملك على البصرة رجلاً من أهل الشام يقال له سفيان بن عمير الكندي ، وهو الذي خطب فقال : إن المرأة لا تجوز ذبيحتها ، وقال : العارية تُردّ والمنحة تُردّ والعمْرى لمن أعمرها .

حدثني هدبة بن خالد عن أبي هلال الراسبي عن قتادة قال : قلت لسفيان بن عمير وقال لي : ما تقول في امرأة زعمت أن زوجها لا يأتيها . قلت : تستحلف بالله . فقال الحسن : ما تقول أنت . قال : يُجَرَّبُ بغيرها . فقال : أما إنّ قتادة قال بقول أهل الشام .

وقالوا : أتى سعيد بن عمرو الحرشي يزيد بن المهلب وهو محبوس ، فأمر له بخمسين ألفاً فقال عدي بن الرقاع العاملي :

لم أر محبوساً من الناس واحداً حبا زائراً في السجن غير يزيدِ
سعيد بن عمروٍ إذ أتاه أجازَه بخمسين ألفاً عُجِّلَتْ لسعيد[1]

وقال أبو الحسن المدائني عن مسلمة بن محارب : مات هلال بن أحوز عند هشام فصلى عليه فقال له جُميري أخوه : يا أمير المؤمنين لو دعوت له بالمغفرة . فقال رجل من أهل الشام : أو لم يغفر الله له وقد صلى عليه أمير المؤمنين ؟

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .

وقال الفرزدق :

لَعَمْرُكَ ما أنسىٰ ابنَ أحوزَ ما جرىٰ   الرياحُ وما ناحَ الحمامُ وغردا[1]

وقال معن بن عمرو :

وباكيةٍ هبّت بليلٍ فراعني   تَحَوُّبُها تبكي علىٰ ابن المهلبِ
فقلت لها لما سمعتُ نحيبها   ألا فاندبي البهلولَ غير المجدَّبِ
أعفُّ وأَحْيَا من فتاة حَيِيَّةٍ   وأجرأ من ليثٍ بِخَفَّانَ أَغْلَبِ

الهيثم عن الضحاك بن زمل قال : لما قُدِمَ على يزيد بأسرى آل المهلب الذين بعث بهم مسلمة ، شاور مَنْ حضره فقال : ما تقولون في هؤلاء ؟ قال : بعض من حضر : قد قَدِرْتَ يا أمير المؤمنين فاعْفُ ، فقام عثمان بن حيّان المرّي فقال : والله ﴿لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيّاراً * إنك إنْ تَذَرَهُم يُضِلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كَفّارا﴾[2] فقال رجاء بن حيوة : بل نقول كما قال الله : ﴿ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾[3] وكان يلعن يزيد بعد خلعه .

وقال رجاء لعثمان : ما دعاك إلى ما قلت ؟ قال : أبا المقدام . إن الله خلق للنار أهلاً فجعلني منهم ، وخلق للجنة أهلاً فجعلك منهم ، فقال رجاء : ما أنا عند نفسي من أهل الجنة . ثم دفعهم يزيد إلى زيد بن أرطاة وإلى ابن النصري وغيرهما فقتلوا .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١٣١ .
٢ ـ سورة نوح ـ الآيتان : ٣٦ ـ ٣٧ .
٣ ـ سورة الأنعام ـ الآية : ١٦٤ .

قالت الحوراء بنت عروة النصري :

أيزيد حاربت الملوك ولم تكن   تلقىٰ المحارب للملوك رشيدا
لما وجدت عصابة أوْرَدْتَهَا   حوضاً سيورث وِرْدُهُ التفنيدا
فالبيتُ ذا الحُرُمَاتِ لستَ بنائلٍ   والأكرمينَ شمائلاً وجدودا
رهط النبيّ بنىٰ الإله عليهم   سقف الهدى ومن القرانِ عهودا
قوم هُمُ مَنّوا عليكَ وأفضلوا   حتى لبستَ من الطراز بُرودا
فكفرتَ نعمتهم هناك وإنما   تَلِدُ العبيد المقرفون عبيدا
طلب الخلافة في هَجانَ فلم يجد   بِهَجَانَ من شجرِ الخلافةِ عُودا

حدثني هدبة بن المبارك بن فضالة قال : سمعت الحسن يقول : واعجباً من يزيد علج أهل هجان ، وطائر من أطيار الماء ، اتخذ سيفه برهة مخراقاً في طاعة بني أمية حتى إذا منع لماظة من عيش نصب خرقاً على قصب وقال : إني غضبت ، فاغضبوا فاتبعه فراش نار ، وذئبان طمع ، يدعو إلى سنّة العمرين ، يا فاسق إن من سنتهما أن تُرَدّ إلى محبس عمر بن عبد العزيز .

وقال أبو النجم :

إنّ الذي مَدَّ علينا نِقَمَه   وقد ظَلَمْنَا أنْفُسَاً مُظَلَّمَه
حين أحاطت بالعراق الدمدمة   فالله نَجّانا بكفّيْ مَسْلَمَة
من بَعْدِمَا وبَعْدِمَا وبَعْدِمَه   كانت نفوسُ القوم عند الغَلْصَمَة
وكادت الحرة أنْ تُدعىٰ أَمَه

وقال الأحوص بن محمد في شعر مدح به يزيد بن عاتكة وذكر ابن المهلب :

مازال ينوي الغدر والنكثَ راكباً لعمياءَ حتى اسْتُكَّ منه المَسَامِعُ
وحتى أُبِيْدَ الجمعُ منه فأصبحوا كبعض الأُلىٰ كانت تصيب القوارع
فَأَضحوا بنهري بابلٍ ورؤوسهم تَخِبُّ بها فيما هناك الخوامع[1]

وقال الفرزدق :

لقد عجبت من الأزديّ جاء به يقـوده للمنـايا حِيْنُ مغـرورِ
حتى رآه عبـاد الله في دَقَلٍ منكَّسَ الرأس مقرونا بخنزيـرِ
القلس أهون بأساً أن تعود به في الماء مطلية الألواح بالقيرِ[2]

وقال الأسدي :

عجبتُ لهـذي العلوج اللئام تَمَنّىٰ الخلافة في كـل عـام
تَمَـنَّىٰ الخـلافـةَ غِـلفـانُها ولمـا تُنَاطِحُ طـول العِـلام[3]

وقال جرير :

آل المهلب جَـذَّ الله دابـرهم أضحوا رماداً فلا أصل ولا طَرَفُ
إنّ الخلافة لم تُجْعَـل ليملكها عبـدٌ لأزديةٍ في بـطنها عَقَفُ
ما نالت الأزدُ من دعوىٰ مُضِلِّهُمُ إلا المعاصم والأعناق تُقْتَطف
والأزد قد جعلوا المنتوف قائدهم فَقَتَّلَتْهُم جنـود الله وانتتفـوا[4]

---

١ ـ شعر الأحوص الأنصاري ص ١٩٠ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢١٥ مع فوارق .
٣ ـ العلام : الراية ، وما يعقد على الرمح ، وسيد القوم . القاموس .
٤ ـ ديوان جرير ص ٣٠٤ ـ ٣٠٨ .

وقال الفرزدق :

أَحَلَّ هُرَيْمٌ يوم سوراءَ بالقنا نُـذُورَ نساءٍ من تميمٍ فَحَلَّتِ
عشيـة لا يدري يـزيد اينتحي على السيف أَمْ يُعطي يداً حين شُلَّتِ
وَمَـاكَرٌّ إلا كـان أول طـاعنٍ ولا أبصرته الخيل إلا اقشعـرتِ
كأنّ رؤوس الأزد خطبان حنظلٍ تُحَرَّزُ عن أكنافها حين ولَّتَ[1]

وقال أيضاً :

كيف ترى بَطْشَةَ الله التي بَطَشَتْ بابن المهلبِ إنَّ الله ذو نِقَمِ
قاد الجياد من البلقاء منصلتاً شهراً تقلقل بالأرسان واللجم
حتى أتتْ أرض هاروتٍ لعاشرةٍ فيها بنو دحمة الحمراءِ كالحمم
فـأصبحوا لا تـرى إلا مساكنهم كأنهم من ثمود الحمرِ أَوْ إرَم[2]

وقال الطِرِمَّاح ليزيد :

لحى الله قوماً أسلموكَ ببابلٍ أبا خالدٍ تحت السيوف البوارقِ
فتى كان عند الموت أكرم منهم حفاظاً وأعطى للجياد السوابق
وقـائلةٍ تنعى يـزيـدَ وقـائـلٍ سقى الله جزل السَّيْبِ عف الخلائق
ولما نعى الناعي يزيدَ تزلزلت بنا الأرض وارتجَّتْ بمثل الصواعق[3]

في أبيات . وقال ذو الرِّمَّة :

لَوَدَّتِ الأزد إذْ رَثَّتْ حبائلهم أنَّ المهلّبَ لم يُـولَدْ ولم يَلد

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ١١١ ـ ١١٢ ، والخطبان نبت كالهليون .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٥٢ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الطرماح ـ ط . دمشق ١٩٦٨ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٩ .

كانوا ذوي عـددٍ ثرٍّ وعـائرةٍ   من السلاح وأبطالاً ذوي نَجَدِ
فما ترى منهم مِنْ بَعْدِ كثرتهم   إلا الأرامل والأيتام من أَحَدِ[1]

وقال الفرزدق من قصيدة له :

ونحن أرينا الباهليـةَ ما شَفَتْ   به نفسها من كل رأس مُعَلَّقِ
ونحن أزحنا عن خويلة جحدرٍ   شَجًى كان منها في مكانِ المخَنَّقِ

الباهلية أم عباد بن عطية ، وكانت امرأة عدي بن أرطاة .

ونحن قتلنا بابن أرطاة منهم   ثـمانين تحت العـارض المتـألق
وكائن بقندابيل من جسد لهم   وبالعقر من رأسٍ تَدَهْدَى ومرفقَ
وذات حليلٍ أنكحتها رمـاحنا   حلالاً لمن يَبْني بها لم تُطَلَّقِ
جعلنا أثافي قدرنا رأس زوجها   وكفيه في أيدٍ سَقَطْنَ وأَسْوُقِ[2]

وقال الفرزدق :

تبكي على المنتوف بكر بن وائلٍ   وينهى عن ابني مِسْمَعٍ مَنْ بكاهما
غلامان شابا في الحروب وأدركا   كريم المساعي قبل وَصْلِ لحاهما
فلو كان حياً مالك وابن مالكٍ   إذاً أوقدا نارين يعلو سناهما[3]

وقال الفرزدق في هلال بن أحوز في أبيات :

جدعت عرانين المزون فلا أرى   أذلَ وأخزى منهُمُ حين صُرِّعُوا

---

١ ـ ديوان ذي الرمة ـ ط . بيروت ١٩٩٣ ج ١ ص ١٨١ ـ ١٨٢ مع فوارق .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٧ ـ ٣٨ مع فوارق .
٣ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٢٠٣ مع فوارق كبيرة .

وحُمِّلت أعجاز البغال رؤوسهم محذفةً في كل بيداء تَلْمَعُ
جماجم أشياخٍ كأنّ لِحَاهُمُ ثعالب موتى أو ثعام مُتَرَّعُ[1]

وقال رؤبة :

والأزد سوء صنيعها موصوف قد أزحفتها الفتية الزحوف
لو زادها يزيد والمنتوف عقلاً وطير بابل العَكُوفِ[2]

يقول : لو كان يزيد قتيل هؤلاء عكوف الطير عليهم عقلاً .

وقال حاجب بن ذبيان المازني :

لقد قَرَّتْ بقنداببيل عيني وساغ لي الشراب على الغليل
غداة بنو المهلب من أسيرٍ يقاد به ومصلوبٍ قتيل
خلا سيف ابن أحوز عن نزارٍ وشَدَّاتِ ابن أحوز كل قَيلِ
بكل مقلصٍ[3] يمشي العَرَضْنَا ظماء[4] اللحم مشرفة التليل
أَبَزْنَ[5] بني المهلب في فُوَاقٍ وكل مهند عضبٍ صقيل
تقطعتِ الأمور بهم وكانت عليهم مثل راعيةِ الفصيل
أضلّهُمُ ابنُ دَحْمَةَ[6] وازْدَهَتْهُم مشبهةٌ تُضِلّ ذوي العقول
أليس من العظائم أن يروموا وراثات الخلائف والرسول

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٤٠٧ مع فوارق .
٢ ـ لم يرد هذا الرجز في ديوان رؤبة المطبوع .
٣ ـ القلوص من الإبل : الشابة ، أو الباقية على السير . القاموس .
٤ ـ ظماء اللحم : قليلة اللحم . القاموس .
٥ ـ البزز : الغلبة وأخذ الشي بجفاء وقهر . القاموس .
٦ ـ بهامش الأصل : ابن دحمة : يزيد بن المهلب .

وقال ثابت قطنة :

وليـوم قنـدابيـل أورثَ ذِلّـةً قَوْمي ويوم العقر شيَّبَ مَفْرِقي
يا هند إنّ أخاك صادف حتفه بحبائل الأجل الذي لم يسبق
وتغيبت عنـه الكـماة وغـالـه زمنٌ كـظل السُّـرْجَـةِ المتصفق
والـدهر لا يبقي عـلى حَدَثَـانِهِ عَصْمٌ مـوقنـة بـرأسٍ مُحْلَقِ
كيف العزاء وقد أصيب ذوو الحجا منـا وأهـل النـائـلِ المتـدفقِ

وقال أبو الحمراء المنقري :

أبا خالدٍ لو خَلَّدَ الجودُ واحداً أبا خالدٍ كنتَ الجواد المخلّدا
سقى الله أجساداً ببابل غودرت غـداة رأينـا الـراعبيَّ مُقَصَّـدا
حبيباً وعباداً وذا الباع والندى يزيداً وأسقى الله ربي محمدا
أقـول لهم لمـا أتـاني نَعِيُّهُم جزى الله خيراً ما أعفَّ وأمجدا

قالوا : وكان رجاء بن حيوة يلعن يزيد بن المهلب حين أتاه خبره ، وقد قيل في آل المهلب شعر كثير جداً .

حدثني علي بن المغيرة الأثرم عن أبي عبيدة قال : لما كتب يزيد بن المهلب الى ابن عاتكة يطلب الأمان كتب له أمانا ووجه به خالد بن عبدالله ، وأتاه كتاب عدي بخلع يزيد فبعث فرد رسل يزيد بن المهلب وقال : كذبتم أمير المؤمنين وأوطأتموه العَشوة ، فقالوا : أما عهدنا به فإنه لم يخلع ولم يسفك دماً . فأمر بهم الى السجن فلم يخرجوا منه حتى قدم بآل المهلب من قندابيل .

ومن رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى أن الأسرى لما حملوا الى يزيد بن عبد الملك قام خالد بن عبدالله القسري فذكر العفو والصفح ، وكان مُفَوَّهاً ، وقال : انهم أحداث لا جرائم لهم وَرَقَّقَهُ عليهم بجهده حتى هَمَّ

بالعفو عنهم ، فقام عثمان بن حيّان المرّي فقال : كلا يا أمير المؤمنين لا تعف عنهم واحصدهم بمعصيتك كما انبتّهم بطاعتك ، فلعمري ما ترضى عشيرة منا أذنبت ذنباً وقد صفحت عن هؤلاء الا أن تصفح عن ذنوبهم ، فمن هؤلاء الأعلاج الذين لا أصل لهم ولا فرع . نَكِّل بهم يرتدع غيرهم يا أمير المؤمنين .

وأشار عليه رجاء بن حيوة بالعفو عنهم وقال : ان الله يقول : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فأبى يزيد بن عاتكة أن يعفو عنهم ، ودفع بكل رجل ممن قتل مع عدي بن أرطاة رجلاً الى وليه ، ثم خلى الباقين ويقال قتلهم .

وقال أبو عبيدة : وجه مسلمة في إثْر معاوية بن يزيد بن المهلب عبد الرحمن بن سُليم الكندي ، وكان معاوية قد أعد له سفينة في الزردات ، فركبها حتى وافى الأهواز ، فلم يلحقه عبد الرحمن وأقام بالبصرة فولاه مسلمة إياها ، ثم عزله وولاه عُمَان ، وولى البصرة ابن بشر بن مروان .

وقال أبو عبيدة : استأذنتْ باهله في صلب يزيد بن المهلب ، فأذن لها فصلبوه منكساً وشدوا على بطنه سمكة ، ثم نزعوها وشدوا مكانها زقاً من خمر ، ثم نزعوه وشدوا إليه خنزيرة بيضاء كانوا يرونها في قرية عند موضع الوقعة .

وقال أبو عبيدة : أراد مسلمة ألا يواقع يزيد حتى يعرض عليه الأمان ، فقال العباس بن الوليد : لا تؤمنه فلا يبقى أحد الا خلع وأفسد وسفك الدماء ثم ركن الى الأمان ، فأبى وأمنه فلم يقبل يزيد أمانه .

وقال أبو عبيدة في روايته : كان يزيد حين شهد الحرب في رجّالة قد أطافت به فأصاب برذونه سهم فَشَبّ به وضرب بيده ورجله حتى عقر عدة ممن كان حوله ، ثم صرعه أو نزل يزيد عنه فغار البرذون فعرفه بعضهم فقال : هذه دابة يزيد ، فثاروا يطلبونه وجعلت العمانية تقول : التل التل ، لتلٍ كان هناك عظيم عال قد وقف مسلمة عليه حين قصدت الأزد وربيعة له فنزل عنه ، وكان يزيد بن المهلب أخرج قوماً مستكرهين فخذلوه ، ومالوا الى مسلمة .

وقال أبو عبيدة : بعث مسلمة برأس يزيد مع سالم بن وابصة الأسدي ، وكان سالم في الوفد الذي أوفدهم برأسه ورؤوس من حملت رؤوسهم معه ، فقال سالم وقد وضع الرأس بين يدي يزيد بن عاتكة :

أَتَيْنَا بِهِ ما نُسمع الصوتَ في السُّرَى ولا نشتكي شكوى أبينٍ ولا قبر
نُعَرِّفُ أهل الحقّ بالشامِ رأسَهُ من الذلِ مخطومُ الخياشمِ والثغرِ

وقال أبو عبيدة : قال يزيد بن المهلب لدهقان بُرس[1] : أتدلني على أرض طيبة أغرس فيها النخل والشجر ، فقال : يبقيك الله ويسلمك ثم تنظر في هذا فما أكثر الأرضين . ثم قال : أرأيتم أعجب من هذا ، قد غشيه البلاء وهو يسأل عن الأرضين .

وكانت بيزيد خلفة من داءٍ أو هيضة ، فكان ضعيف البدن ، ومعه ريحان يشمه فقال له بعض أهلَه : قد قرب القوم منا وأنت تشم الريحان ؟ فعندها ركب فقاتل .

---

١ ـ برس : موضع بأرض باب . معجم البلدان .

وقال أبو عبيدة : بعث يزيد الى الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم ، وهو على عُمَان من قبل عدي بن أرطاة ، ولاه إياها بعد عامل كان له عليها ، فنهاه عمر بن عبد العزيز عن توليته ، والخيار لا يعلم بأمر يزيد حتى دخلت عليه رسله ، وعليهم زياد بن المهلب فضربوا عنقه ، وكان متحاملاً على الأزد بُعمان ، فقال الفرزدق :

لو كنتَ مثلي يا خيار حَزَمْتَهَا بكل علاقيٍّ من الميس فاتر
فقد كنت في أرض المهاري مُسَلَّطاً على كل بادٍ من عُمَان وحاضرِ
تَرى إبلاً ما لم تُحركْ رؤوسها فإنْ حَرَّكَتْ أبصرتَ عينَ الأباعرِ[1]

قال أبو عبيدة : وكان على السند من قبل عدي : عمرو بن مسلم ، فبعث إليه يزيد بن المهلب : وداع بن حميد وهو رجل من أهل اليمن في ستة نفر ويقال في أربعة نفر فقيل له : رسل الأمير على الباب . فظنّ أنهم رسل عدي فأذن لهم ، فلما قرأ الكتاب الذي مع وداع قال : أتحبون أن أعطيكم حياتي ؟. وراطَنَ غلاماً له طُخارياً بالطُخارية أنْ انطلق الى بَنِيَّ وأهل بيتي فمرهم أنْ يلبسوا السلاح ويسرعوا فإن هؤلاء القوم أعداء ، فدخلوا البيت مُصلِتِيْنْ ، وثار وداع وأصحابه نحو عمرو فاقتتلوا ، فقتل وداع ومن معه ، وأمر عمرو فاحتزت رؤوسهم وألقيت في السوق .

١ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٣٧ مع فوارق .

ـ **وكان ليزيد بن عبد الملك بن مروان من الولد :** الوليد بن يزيد المقتول ، ويحيى ، وعاتكة ، أمهم أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف الثقفي .

وعبدالله ، وعائشة ، أمهما سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

والغَمْر لأم ولد .

وعبد الجبار وسليم لأم ولد .

وهاشم وأبو سفيان لأم ولد .

فأما الوليد فسنكتب خبره إن شاء الله ، وأما عبد الجبار فإن ابنة محمد بن عبد الملك كانت عند روح بن الوليد بن عبد الملك ، فأغضبها ففرق الوليد بن يزيد بينهما وزوجها عبد الجبار أخاه ، فحقد ذلك بنو الوليد بن عبد الملك على الوليد بن يزيد .

وأما سليمان بن يزيد فكان ممن أعان على قتل أخيه الوليد بن يزيد ، وأما الغمر فهو صاحب سيح الغمر باليمامة ، وكان جلداً عاقلاً عفيفاً ، وكان أعرج ولي الصائفة غير مرة فغنم ما لم يغنمه أحد قط ، وكانت احدى صوائفه في سنة ست وعشرين ومائة ، وولي اليمامة وكانت له ضياع بالسواد ، فقبضها بنو هاشم .

وقال اسماعيل بن يسار مولى بني تميم بن مرة :

إذا عَدَّد الناس المكارم والعلى ... فلا يفخرنْ منهم على الغَمْرِ فاخرُ
فما مرّ من يومٍ من الدهر واحدٌ ... على الغمر إلا وهو للناس غامِرُ
أغـرَّ بـطاحيٌّ كـأنَّ جبينـه ... إذا مابدا بدرٌ على النجم باهرُ

تراهُم خشوعاً إن رأوه مهابةً كما خشعتْ يوماً لكسرى الأساورُ
نَمَاهُ إلى فرعَي لؤي بن غالبٍ أبوه أبو العاصي وحربٌ وعامرُ
فأضحى بإعطاء الجزيل كأنما رماه بوترٍ مالُه فهو ثائرُ

قوله : حرب يعني حرب بن أمية ، لأن أم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب ، وأم عاتكة ابنة عبدالله بن عامر بن كريز .

وقتل الغمر عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس بالشام مع من قتل من بني أمية ، فقال حين قدم ليقتل : ليسعني في عدلكم ما وسعكم في جورنا . فقال عبدالله : اقتلوه . فقال : إني شيخ مسنّ وإن تركتني كفتك إياي منيتي . فقال له : قد كان الحسين بن علي شيخاً فقتلتموه .

وأما عبدالله بن يزيد فولدته سبعة خلفاء : أبوه يزيد ، وجده عبد الملك ، وجد أبيه مروان وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأم عبدالله بن يزيد التي قامت عنه سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان وأم عبدالله بن عمرو بن عثمان بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب . وكان لعبدالله هذا ابن يقال له عبد المطلب عظيم القدر عند المهدي والرشيد .

الخوارج في أيام يزيد بن عبد الملك

ـ **خبر عقفان** : قال أبو الحسن المدائني : خرج رجل يقال له عقفان بناحية دمشق في ثلاثين ، فأراد يزيد بن عبد الملك أن يبعث إليه جنداً فقيل له : إن قتل بهذه البلاد اتخذوها دار هجرة . قال : فما الرأي ؟ قالوا : تبعث إلى كل رجل رجلاً من أهل بيته يكلمه ويرده . فكان يبعث إلى كل رجل أخاه وابنه وابن عمه وأباه ، فكلموهم وقالوا : إنا نخاف أن نؤخذ بكم وأومنوا فرجعوا ، وبقي عقفان وحده فبعث يزيد إليه أخاه وكان أعرج يقال له ربيعة ، فقال له : يا أخي إنا لا نأمن أن يجتاحنا الخليفة ويصطلمنا . فرجع وأمنه يزيد بن عبد الملك .

فلما ولي هشام بن عبد الملك ولاه أمر العصاة فقدم ابنه تُمّة بن عقفان من خراسان عاصياً فشده وثاقاً ، وبعث به إلى هشام ، فقال هشام : لو خاننا عقفان لكَتَمَ أمر ابنه ثم قال لتمه : قد وهبتك لأبيك فالحق بمُكْتِبك ، وولاه هشام الصدقة .

وكان لأخيه أربعون شاة فذبح شاة منها ، ثم سأل أخاه الصدقة فقال له : قد كانت لي أربعون شاة فذبحتم شاة منها ، وبقي لي تسع وثلاثون شاة

فلا صدقة عليها ، فلم يفارقه حتى أخذ منه الصدقة شاة . ومكث عقفان عشرين سنة والياً لهشام .

ـ **أمر مسعود بن أبي زينب العَبْدي** : قالوا : خرج مسعود بن أبي زينب أحد ولد محارب بن عبد القيس بالبحرين على الأشعث بن عبدالله بن الجارود ، فخرج الأشعث عن البحرين وأخذ مسعود عبد الرحمن بن النعمان العَوْذي[1] ، ومنصور بن أبي رجاء العوذي فقتلهما ، ثم خرج إلى اليمامة وعليها سفيان بن عمرو العُقيلي ، ولاه إياها عمر بن هبيرة الفزاري في أيام يزيد بن عبد الملك ، فخرج سفيان بن عمرو العُقيلي بأهل اليمامة فلقي مسعوداً بالخِضْرِمة فقاتله فانكشف أهل اليمامة عن سفيان ، ثم كروا والتقى عَضّاض بن تميم بن محلم العدوي ـ عدي الرباب ـ ومسعود فاختلفا ضربتين فقتل عضاض مسعوداً .

وقام بأمر الخوارج هلال بن مُدْلِج فقاتلهم يومه كله فقتل ناس من الخوارج ، وقتلت زينب أخت مسعود ، فلما أمسى هلال تفرق عنه أصحابه ، وبقي في عصبة ، فدخل قصراً فتحصن فيه ، فقال عبيدالله بن مالك عم تميم بن مُحَلَّم : علام تدع هذا وقد حبس لكم نفسه ، وقد تفرق أصحابه ولعل طائفة منهم تعود إليه . فطلبوا سلماً فلما وجدوه أحجم الناس عنه وهابوا الإقدام ، فرقى عبيدالله إلى حائط القصر وتلقاه هلال بن مدلج

١ ـ بهامش الأصل : عوذ من الأزد .

٢ ـ الخضرمة : بلد بأرض اليمامة لربيعة ، وقيل : جو اليمامة : قصبة اليمامة ، ويقال لبلدها خضرمة . معجم البلدان .

الخارجي على الحائط فاختلفا ضربتين فقتل عبيدالله هلالاً، وجرحه هلال فبرىء من جراحاته ، واستأمن من بقي في القصر فأمنهم .

وقال الهيثم بن عدي : قتل مسعوداً رقيب بن عبد الرحمن ، مولى بني شيبان ، واحتز رأسه رجل من بني سعد . والأول أثبت .

وقال الفرزدق :

لقد عَضَّ عَضَّاضٌ على السيف عضَّةً   بأنيابه قد أثكلت أُمَّ زينبا
كَفَتْ ضربة العضاض إذ سل سيفه   رجالاً شهوداً من تميم وغُيَّبَا[1]

وقال أيضاً :

لعمري لقد سلتْ حنيفة سلَّةً   سيوفاً أَبَتْ يوم الوغى أن تُعَيَّرَا
تَرَكْنَ لمسعودٍ وزينب أختـه   رداءً وسربالاً من الموت أحمرا
أَرَيْنَ الحروريين يومَ لقائهم   ببرقانَ يوماً يجعل الجَوَّ أشقرا[2]

وقال الهيثم بن عدي : غلب مسعود على البحرين وناحية اليمامة تسع عشرة سنة ، حتى قتله سفيان بن عمرو العقيلي ، سار إليه ببني حنيفة .

ـ **أمر سعيد بن أبي زينب أخي مسعود ، وعون بن بشر** : قالوا : لما قتل مسعود قام سعيد أخوه بالبحرين ، فقال سعيد : قال الله : ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾[3] فلا تَحُلّ الصلاة للسكران ، وما حُرِّم السكر ، ففارقه عون بن بشر أحد بني الحارث بن عامر بن حنيفة

---

١ ـ ليسا في ديوانه المطبوع .
٢ ـ ديوان الفرزدق ج ١ ص ٢٢٦ مع فوارق .
٣ ـ سورة النساء ـ الآية : ٤٣ .

وأكفره ، فصار أصحاب سعيد فرقتين فرقة معه وفرقة مع عون ، فخرج عون عن هَجَر فأتى القطيف[1] فجاءه ناس كثير ، وبقي سعيد بهجر ، فدس سعيد رجلين ليفتكا بعون أحدهما حبشي يقال له بكير ، فقدما القطيف فوجأه بكير بخنجر في خاصرته ، وأُخذ بكير فدُفع إلى الوالي فقيل له : من أمرك بهذا ؟ قال : أنت . فدفعه إلى عون فقتله ، ومات عون بن بشر ، وأقام سعيد بن أبي زينب بهجر ولم يقتعد .

- أمر مصعب بن محمد الوالبي : قالوا : طلب عمر بن هبيرة مصعب بن محمد ، ومالك بن الصَّعب ، وجابر بن سعد ، وهم من رؤساء الخوارج ، فتراسلوا والتقوا بالخورنق ، فخرجوا وأمروا عليهم مصعباً ومعه أخته آمنة ، فلما هلك يزيد بن عبد الملك وولي هشام بن عبد الملك وَوَلّى خالدين عبدالله القسري ، وجه خالد إليهم سيف بن هانىء الهمداني فواقعهم فقُتلوا بَحزّة[2] .

وقال بعض الرواة : قُتلوا في آخر أيام يزيد ، بعث ابن هبيرة إليهم سيفاً فقال فيهم بعض الشراة :

---

١ ـ الهجر بلغة حمير والعرب العاربة : القرية ، وهجر مدينة ، وهي قاعدة البحرين ، والقطيف قصبة البحرين . معجم البلدان .

٢ ـ حزة : موضع بين نصيبين ورأس عين على الخابور ، وحزة أيضاً قرب إربل من أرض الموصل . معجم البلدان .

فتيـةٌ تعرف التخشـع فيهم كلهم حَكّمَ القُرانَ غلامـا
قد بَرَى لَحْمَهُ التَّهَجُّدُ حتى عاد جِلْداً مُصَفَّراً وعِـظاما
غادَرُوهم بِقَاعِ حَزَّةَ صَرعى فَسَقَى الغيثُ أرضَهُمْ يا إماما

قال الهيثم : لما أجمعوا على الخروج قال مصعب : إن شئتم كنت أميراً ، وإن شئتم كنت وزيراً . قالوا : قد رضيناك أميراً .

قال : وقال أيوب بن خَوْلي البَجْلي يرثي جابراً بقصيدة أولها :

كفى حَزَنَاً أني تذكرت جابراً على جابرٍ صلّتْ خيار الملائك
قتيلٌ قضى إذ عاهد الله نَحْبَه ولم ينتظر إذ قيل إنك هالك

ـ **أمر سعيد بن بهدل** : قال الهيثم بن عدي : كان سعيد بن بهدل من أصحاب مروان الضعيف ، وكان رأس الخوارج ، وسمى الضعيف لأنه قيل له : ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقال : والله مابي ضعف عن ذلك ، ولكني ضعيف البدن وإني لا أجد أعواناً ، ثم جلس سعيد بن بهدل في أصحابه فقال : لقد خفت أن يأتيني الموت بغتة قبل أن أقضي حق الله عليّ ، فكيف طيب أنفسكم بالموت ؟ قالوا : ما أطيبها به .

وكان عنده البهلول الشيباني ، والضحاك بن قيس ، فأقام خمساً ثم اعتقد وبايعوه فمات بعد أيام ، ولم يلق أحداً ، فقال فيه الضحاك بن قيس :

سقى الله يا خوصاء قبراً وحَشْوَهُ إذا رحلَ الشارونَ لم يترحَّلِ
فيا مُلْحِقَ الأرواح هل أنت مُلْحِقي بموتى مضى فيهم سعيد بن بَهْدَلِ

ثم بويع البهلول بن بشر .

وقال أبو الهيثم : هو أبو عمرو الشيباني ، ويكنى أبا بشر ، ويقال إن خروج ابن بهدل كان في أيام هشام بعد خروج البهلول .

قال : وزَوَّج عمر بن هبيرة في أيام يزيد خارجية أُتي بها من رجلٍ من أصحابه ، فقالت لزوجها : ممن أنت ؟ قال : من قيس . فقالت : أنا على دين قيس ، فلما أصبح قال له ابن هبيرة : كيف رأيت امرأتك فقال :

خَلَوْتُ بها ليلَ التمامِ فأَصْبَحَتْ من الدين إلا دينِ قيس تَخَلَّتِ[1]

---

١ - بهامش الأصل : بلغ العرض بالأصل الثالث من أول الكتاب ، ولله كل حمد وفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر مسلمة بن عبد الملك

ومسلمة بن عبد الملك يكنى أبا سعيد ، وأمه أم ولد ، ولقبه الجرادة ، لصفرة كانت تعلوه ، وكان شجاعاً ، وقال عبد الملك في وصيته : أكرموا مسلمة فإنه نابكم الذي عنه تَفْتَرُّون . وله مغازٍ كثيرة بالروم وأرمينية ، وافتتح طوانة من بلاد الروم ، وولاه يزيد بن عبد الملك العراق فقتل يزيد بن المهلب ، وقال لهشام في إمرته : كيف ترجو الخلافة وأنت بخيل جبان ؟ قال : إني عفيف حليم .

وقال مسلمة : عجبت لمن قَدِرَ كيف لا يَغْفِر ، ولمن وُسِّعَ عليه كيف لا يجود .

المدائني قال : قدم أعرابي الشام فَلاَحَى رجلاً فقال له : ياذا الذي يبول ابنه بول الحمار ، فرفع إلى القاضي فلم يعرف ما قال الأعرابي فسأل مسلمة بن عبد الملك عنه فقال مسلمة : البول سفاد[1] الحمار ، فجلده القاضي حداً فقال : واعجباً أأضرب هكذا فلاطاً ، قال القاضي : والله

---

١ ـ سفد : نزا . القاموس .

ما أدري ما يقول وسأل عنها مسلمة فقال : الفلاط المفاجأة . فهجاه شاعر لهم فقال :

كيف وجدت ضربَهُ فلاطا يَنْحَطُّ منه جلدُكَ انحطاطا
لما رأيتَ فوقَكَ السِّياطا خضعتَ خَضعاً أفزعَ الأشراطا

فقال الأعرابي : يارابع الشعراء ما أغراك بي أظننت أني مُفْحَمٌ لا أنطق ؟ : الشعراء أربعة : شاعر مُفْلِقَ ، وشاعر مُجيد ، وشاعر متكلف ، وشويعر ماص لبظر أمه .

فقال مسلمة : ويحك يا أعرابي ما أطْرَفَكَ ، ما سقط إلينا مثلك . وَوَصَلَهُ وَمَارَهُ[1] .

المدائني قال : كان لمسلمة صديق وأليف يقال له شُرَاحيْل فمات فجزع عليه مسلمة جزعاً شديداً ، وخرج فصلى عليه ، فأتاه عبدالله بن عبد الأعلى الشيباني فعزاه فبكى وقال :

وَهَوَّنَ وَجْدِي عن شراحيل أنني إذا شئتُ لا قيتُ امرأً مات صاحِبُه

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن هشام التنوخي قال : كنا مع مسلمة بأرمينية أيام هشام فعرض الناس فمر به رجل ضخم ، فأُبلغ عنه أمراً وجب عليه عقوبته فقال له : ما اسمك : قال عبدالله بن عبد الرحمن . قال : ممن أنت ؟ قال : من بنو تغلب . قال : ارجع ، وأمر بضربه . فلما ضرب سوطاً قال : بسمُ الله . قال مسلمة : خلوا عنه قبحه الله فلو ترك اللحن في حال لتركه تحت السياط .

١ ـ ماره : زوده بالميره . القاموس .

هشام ابن الكلبي عن عوانة قال : تكلم قوم فأكثروا الخطأ والخطل ، ثم أتاهم رجل بليغ فجعل لا يخرج من لفظ حسن إلا إلى أحسن منه ، فقال مسلمة : ما شبهت كلام هذا في اثر كلام القوم إلا بسحابة لَبَدَتْ عجاجاً .

وحدثني أبو مسعود الكوفي أن ابن كناسة الأسدي قال : قال مسلمة بن عبد الملك إنه لا عفة مع الشح ، ولا مروءة مع الكذب .

المدائني : أن مسلمة بن عبد الملك كان يتنقص العباس بن الوليد بن عبد الملك حين بعث يزيد بن عبد الملك بهما لمحاربة يزيد بن المهلب بالعراق ، ويحمقه فبلغ العباس ذلك فكتب إليه كتاباً فيه هذه الأبيات ، يقال إنها له ، يقال إنها لابن سيار ، وإنما تمثل بها :

ألا تَقْني الحياء أبا سعيد   وتُقْصِرُ عن ملاحاتي وعذلي
فلولا أنّ أصلك حين تَنْمَى   وفَرْعُكَ منتهى فرعي وأصلي
وإني إن رميتك هِضْتُ عَظمي   ونالتني إذا نالتك نَبْلي
لقد أنكرتني إنكار خوفٍ   يُقَصِّرُ منك عن شتمي وأكلي
لقول المرءِ عمروٌ في القوافي   أريد حياته ويريد قتلي

قالوا : وشتم رجل من أهل الشام يزيد بن المهلب ، فقال له مسلمة : اسكت أتقول هذا لرجل سار إليه قريعا قريش ؟ إنّ يزيد حاول أمراً جسيماً ومات كريماً .

المدائني قال : قيل لمسلمة بن عبد الملك : ما يمنعك من العمل ولو أردته لتوليت أجسمه ؟ فقال : يمنعني منه ذل الطلب ، ومرارة العزل ، وهول الخُطب ، وقرع حَلَق البريد .

المدائني قال : قال مسلمة بن عبد الملك : ما فرحتُ قط بفتح كان على غير تقدير .

المدائني : أن مسلمة قال لعمر بن عبد العزيز : أَوْصِ . فقال : مالي مال أوصي به ، قال : فأنا آتيك بمائة ألف درهم توصي فيها بما أحببت . قال : أفلا تفعل خيراً من ذلك ، تردها إلى موضعها الذي أُخذت منه ، قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد لَيَّنْتَ منا قلوباً قاسية ، وزرعت لنا في قلوب الناس المحبة ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكراً .

المدائني عن خالد بن بِشْر قال : بلغ مسلمة بن عبد الملك أن رجلاً شتمه وعلم الرجل بذلك فانقبض عن إتيانه ، وسأل مسلمة عنه فأتاه وأجاد الإعتذار إليه ، فقال مسلمة : اللهم عفواً كف عن هذا رحمك الله ، ولم ير منه تغيراً له .

قال : وشتم مسلمة قوم من أهل الأردن ، وبلغه ذلك فبعث إليهم وأعطاهم وكساهم وكتب إلى الوالي عليهم يأمره بالإحسان إليهم .

المدائني عن عامر بن حفص قال : قال أبو نخيلة السعدي : دخلت على مسلمة بن عبد الملك فقلت :

أَمسلمُ يا منسوب كل خليفةٍ ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض
تلافيتني لما أتيتك عارياً بخير لحافٍ سابغ الطول والعرضِ
وأنبهتَ لي ذكري وما كان خاملاً ولكنَّ بعض الذكر أَنْبَهُ من بعضِ

فقال : أين أنت من الرجز يا أخا بني سعد ؟ فقلت : أنا أرجز الناس ، قال : فأنشدني بعض رجزك ، فأذهبَ الله عني كل ما كنت أحفظه

مما قلت ، فأنشدته أرجوزة للعجاج ، فلما أمعنت فيها قال : حَسْبُكَ ، أنا أعلم بها منك ، وأعرضَ عني فظننت أنه مقتني على كذبي إياه .

وحدثني هشام بن عمار قال : سمعت الوليد يقول : أخبرني من سمع مسلمة بن عبد الملك وذكر رجل فقيل هو قنوع . فقال : إن القناعة أحد اليسارين ، أو قال أحد المالين .

وقال هشام بن محمد الكلبي : كانت عند مسلمة بن عبد الملك الرباب بنت زفر بن الحارث الكلابي ، فكان يأذن لأخويها الهذيل وكوثر أول الناس ، فقال عاصم بن عبد الملك ، وهو أبو زفر بن عاصم الهلالي :

أمسلم قد منيتني ووعدتني مواعيد صدق إنْ رجعتَ مُؤَمَّرا
أَيُدعىٰ الهذيل ثم أُدعىٰ وراءه فيالكَ مَدْعَاً ما أذلَّ وأحقرا
وكيف ولم يشفع لي الليلَ كله شفيع إذا ألقىٰ قناعاً ومئزرا
فلستُ براضٍ عنك حتى تحبني كحبك صهريك الهذيل وكوثرا

فقال الهذيل :

ما فخر فَخَّار عليّ وإنما نَشَأْنَا وأُمّانا مَعَاً أَمَتَانِ
أبي كان خيرٌ من أبيك وأَفْضَلَتْ عليكَ قديماً جرأتي ولساني

ورثىٰ عبدالله بن عبد الأعلىٰ مسلمة فقال :

أبا سعيد أراك الله عافيةً فيها لروحك عند العسر تيسير
فقد أقمتَ قناة الحق فاعتدلتْ إذْ أنت للدين مما نابه سور

فولد مسلمة بن عبد الملك : سعيد الأكبر وأمه أم ولد ، وسعيداً الأصغر أمه الزعوم بنت قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي .

قالوا : ولما قتل مسلمة يزيد بن المهلب ، جمع له يزيد بن عبد الملك العراقين ، فولىٰ ذا الشامة محمد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة .

وقال المدائني : أخذ مسلمة من عسكر بني المهلب ألفين وثمانمائة : فبعث بهم إلى ذي الشامة وكان على الكوفة ، وصاحب شرطه العريان بن الهيثم ، فقال ذو الشامة : يا أبا الحكم لست من هؤلاء في شيء فشأنك بهم ، فقتل منهم من كان من بني تميم ، ولم يقتل اليمانية والربعية . فقال حاجب بن ذبيان المازني :

لعمري لقد خاضت معيط دماءنا بأسيافهم حتى انتهى بهم الوحل
وما حمل الأقوام أثقل من دمٍ حرامٍ ولا ذحلٍ اذا اتبع الذحل

وقال أبو نعيم الفضل بن دُكين عن موسىٰ بن قيس : أقبل مسلمة حتى نزل الحيرة فأتاه مسلمة بن كهيل ، وزبيد اليامي فأعطاهما خمسمائة خمسمائة .

حدثني عمر بن محمد عن أبي نعيم عن زهير بن معاوية قال : رأيت مسلمة يأكل هكذا بأربع أصابع .

وحدثني عمرو عن أبي نُعيم قال : سمعت سفيان يقول : قال عمر بن عبد العزيز لمسلمة : إذا مت فارفع لبنة من قبري ، فانظر ما خرجت به من الدنيا . قال : ففعل فَلم يزل ذلك يُعرف فيه .

وقال المدائني عن رجل عن ابن عياش قال : لم يرفع مسلمة بن عبد الملك من الخراج كبير شيء فأراد يزيد بن عبد الملك عزله فاستحيا منه فكتب إليه : استخلف على عملك وأقدم ، ويقال : بل شاور مسلمة عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي في الشخوص إلى يزيد زائراً ، فقال : أمن

شوق بك إليه ، إنك لطروب ، وإن عهدك به لقريب . قال : لابد من ذلك . قال : فإنك لا تخرج من عملك حتى يلقاك والٍ مكانك .

فلما بلغ دُورين[١] لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد فقال : إلى أين يا بن هبيرة ؟ قال : وجهني أمير المؤمنين لحيازة أموال آل المهلب ، فلما فارقه أتاه عبد العزيز بن حاتم فقال له : قد أنبأتك أن سيلقاك وال مكانك ، قال : فإنه قال لي كذا . فقال : واعجباً يُصرف عن الجزيرة ويوجه لحيازة أموال آل المهلب وليس معه إليك كتاب بمعاونته على ما وجه له .

فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله وغلظته عليهم .

وقال ذو الشامة يرثي مسلمة :

ضاق صدري وعيل صبري فـ ـــلا صبرٌ دون ما أراه أتاكا
كل ميت قد اعتفرتُ فلم أجـ ـــزَعْ عليه إذا جاور الهلاكا
قبل ميتٍ وقبل قبرٍ على الخابـ ـــور ولم استطع عليه اتّراكا

قالوا : ودخل أعرابي على مسلمة فقال : يا بن الخليفة زرتك وأنت غرة مضر وحسيبها حين تُذكر ، قد تَعَطَّفَتْ عليك الأملاك فليس يخاف ضيفك الهلاك ، وأنت في فرع نضار ، ورثته عن ذوي الأخطار ، ولك يد تمطر الندىٰ ، وأخرى تقتل العدىٰ ، وقد رزقت من الناس الحمد ، فَدَلّ عليك فضلك ، فقال مسلمة : يا أعرابي إنك لفصيح ، قال : أجل وإني

١ ـ دوران : موضع خلف جسر الكوفه ، وهناك دوران أخرى من قرى فم الصلح من نواحي واسط . معجم البلدان .

لصريح ، فقال مسلمة : قلما تجد أعرابياً عاقلاً قال : وما يُذهب عقله إذا كان كاملاً ؟ قال : قلة مخالطته الناس . فقال : ذلك أكْيَدَ لَهُ عند الناس ، قال مسلمة : وأنَّىٰ له بذلك وهو لا يرى القتال ؟ قال : يكون غَمْراً فيجترىء على الأبطال ، قال مسلمة : احتكم يا أعرابي . قال : عَشْرُ جلال تِمر ، وعشر أعنز ، وقطيعة للعيال ، وجملاً نحمل عليه متاعاً وثلاثين درهما ، فأمر له بضعف ما طلب .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر هشام بن عبد الملك بن مروان

هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويكنىٰ أبا الوليد ، وكان أحول بخيلاً ، وأمه أم هشام واسمها فاطمة بنت هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، ويقال عائشة بنت هشام ، ويقال مريم بنت هشام ، وكانت أمه حمقاء أمرها أهلها ألا تكلم عبد الملك حتى تلد ، وكانت تثني الوسادة ثم تركبها وتزجرها ، وتشتري الكندر[١] فتمضغه وتجعل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد ، وقد سمّت كل تمثال باسم وتنادي : يا فلانة يا فلانة ، فطلقها عبد الملك ، وسار إلى مصعب وهي حامل فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصوراً تفاؤلاً بذلك ، وسمته أمه هشاماً باسم أبيها .

وولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب سنة اثنتين وسبعين .

وولد هشام : مسلمة أبا شاكر ، وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، ويقال هي أم حكيم بنت الحارث بن الحكم .

١ ـ الكندر : نوع من العلك . القاموس .

وسعيداً ، أمه أم ولد ، ويقال أمه أم عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان .

ومعاوية ، وأمه عَبْدَة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

وعبد الملك ، وأمه مخزومية .

ومحمداً ، أمه الطلحية ، ويقال أم ولد .

ومروان : درج صغيراً وأمه أم ولد .

وتزوج هشام من النساء : أم حكيم بنت يحيى بن الحكم . وحَفْصَة بنت عمران بن محمد بن طلحة بن عبيدالله ، وعَبْدَة بنت عبدالله الأُسوار بن يزيد بن معاوية . ورُقَيّة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان وأمها أم عمر بنت مروان ، ولدت له عائشة بنت هشام ، تزوجها عبيدالله بن مروان بن محمد ، ويقال عبدالله ، وعبيدالله أصح .

وأم سلمة بنت عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو . وأم عبد الملك المخزومية .

وأتت هشاماً الخلافة وهو بالزيتونة[1] ، ومات هشام بالرصافة التي بقرب الرقة في شهر ربيع الآخر لستّ خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة ، وصلى عليه ابنه مسلمة ، ويقال بعض ولده غير مسلمة ، وكان خلافته عشرين سنة إلا خمسة أشهر . ويقال إنه مات ليلة الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

١ ـ الزيتونة : موضع كان ينزله هشام بن عبد الملك في بادية الشام .

ويقال كانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحداً وعشرين يوماً ، ومات وله أربع وخمسون سنة .

قال المدائني : كان على شرطة هشام كَعْبُ بن حامد العَبْسي ثلاث عشرة سنة ثم عزله وولاه أرمينية بعد الجَرَّاح بن عبدالله الحَكَمي ، وولى الشرط يزيد بن يَعْلَىٰ بن الضخم العبسي .

وولىٰ الرسائل سالم بن عبد الرحمن مولى سعيد بن عبد الملك بن مروان ، أو المنذر بن عبد الملك .

وولى الحرس نصراً مولاه ثلاث سنين ، ثم ولى الحرس الربيع مولى بني الحُرَيْش وهو الربيع بن شابور ، وولاه أيضاً خاتم الخلافة .

وولى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد ، ثم عزله ، وولى ابن الحَبْحَاب ، ثم ولى ابن الحبحاب مصر وصيّر مكانه على ديوان الخراج والجند سعيد بن عقبة مولى بني الحارث بن كعب .

وكان قاضي هشام نمير بن أَوْس الأشعري ، ثم يزيد بن أبي مالك الهمداني .

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : لما خلع يزيد بن المهلب وجّه إليه يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك ، وقال : أمير الجيش مسلمة فإن حدث به حدث فالعباس بن الوليد ، فقال العباس بن الوليد ليزيد : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق قوم غدر كثير إرجافهم وأنت توجهني محارباً والأحداث تحدث ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ، ولم يعهد فَيَفُتّ ذلك في

أعضاد أهل الشام ويدخلهم له الوهن والفشل ، فلو بايعت لعبد العزيز بن الوليد ، قال : غدا إن شاء الله .

وبلغ مسلمة بن عبد الملك ذلك فدخل على يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، أولد عبد الملك أحبُّ اليك أم ولد الوليد ؟ . قال : ولد عبد الملك إخوتي وأحب إلي ، قال : فابن أخيك أحقّ بالخلافة من أخيك ؟ قال : لا . قال : أفتبايع لعبد العزيز ؟ قال : لا ، غداً أبايع لهشام أخي وبعده للوليد ابني .

وبلغ عبد العزيز قوله ، وأتاه مولى له وهو لا يعرف الخبر فقال له : يا أبا الأَصْبَغ غداً نبايع لك . قال عبد العزيز : هيهات ، أفسد ذلك علينا مسلمة ونقضه .

فلما كان الغد بايع يزيد لهشام ، ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد ، فكان إذا نظر إلى الوليد قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك .

المدائني أن عبد الملك بن عياش قال لهشام قبل الخلافة ، وكان يسحب ثيابه : قد أطلت قميصك يا أبا الوليد ، قال : وما يضرك ؟ قال ؛ إنك تجره في الطين فارفعه . قال : وما ينفعك ؟ .

المدائني عن الحارث بن يزيد قال : حدثني مولى لهشام قال : بعث معي مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطائرين ظريفين فدخلت عليه وهو جالس على سرير في عرصة الدار ، فجعل ينظر اليهما ، فقلت : يا أمير المؤمنين جائزتي . فقال : ويلك وما جائزة طيرين ؟ . فقلت : ما كان . فقال : خذ أحدهما ، فعدوت في الدار لآخذ أحدهما فقال : مالك ؟ .

قلت : أختار أحدهما . فقال : أو تختار أيضاً وتدع شرهما ؟ . قلت : نعم . قال : دعهما ونعطيك خمسين درهما .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى إبيه : «إن بغلتي قد عجزت فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بدابة فعل» ، فكتب إليه : «قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وقد ظن أمير المؤمنين أن عجز بغلتك عنك من قلة تعهدك لها ، فإن علفها يضيع ، فتعهَّد دابتك وقم عليها وسيرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك إن شاء الله ، والسلام» .

قال : وكتب بعض عمال هشام إليه : «إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة فيها دراقن فليكتب إليّ بوصولها» . فكتب إليه : «قد بلغ أمير المؤمنين كتابك ووصل الدراقن وأعجبه ، فزد أمير المؤمنين منه ، واستوثق من الوعاء الذي توعيه إياه ، والسلام» .

وكتب إلى بعضهم : «قد أتت أمير المؤمنين الكمأة التي بعثت بها وهي خمسون وقد تغير بعضها ولم يؤت ذلك إلا من قبل حشوها ، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين بشيء من الكمأة فأَجِدِ الحَشْو في طرفه بالرمل حتى لا يضطرب ولا يصيب بعضه بعضاً إن شاء الله ، والسلام» .

قال : وكان سالم بن عبد الرحمن كاتباً لهشام ، ثم إنه صيّر ابنه كاتباً له يخلفه عنده ، فقال له : إن ابنك يا سالم لبيب فقال ؛ يا أمير المؤمنين أخا يرك به أيَّ بنيك شئتَ .

المدائني قال : قال هشام لأبي أيوب : أخرج فانظر كيف ترى السحاب ، فخرج فنظر فقال : قد تفرق وإن اجتمع فعسى .

المدائني قال : قال هشام : إن لأهل العراق رائدين لا يكذبان دجلة والفرات .

المدائني قال ؛ قدم علباء بن منظور الليثي على هشام فأنشده :

إنّـا أنـاس ميِّتٌ ديـواننـا ومتى يُصِبْهُ نَدَى الخليفة يُنْشَرُ

فقال : ما أحسن ما قلت وسألت ، وأمر له بخمسمائة درهم وأن يلحق له عَيّل ، فقدم البصرة فقال الفرزدق : الحُذَيّا[1] ، فأعطاه مائة درهم ، فقال : اجعلها يا أمير المؤمنين لابنتي ،قال : إنما حاولت الجريبين ، وكان لكل واحد من الذرية في كل عام مائة درهم ، وفي كل شهر جريبان ، وإنما ذلك لعيال أهل الديوان .

وقال هشام للأبرش ـ وهو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس بن بكر بن عامر ، وهو الجُلَاح بن عوف بن بكر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وكان الأبرش جليسه وأنيسه ـ: كيف تكون أخص الناس بي وأنت أخص الناس بمسلمة أخي ؟. فتمثل الأبرش :

أؤاخي رجالاً لستُ أُخبرُ بعضَهُم بأسرارِ بعضٍ إنّ قلبي واسع

قال : وقال الأبرش لهشام : يا أمير المؤمنين ، لو ينادى في عرض الناس يا مفلس فسمع رجل من جلسائك نداءه ما ظن أنه عنى غيره .

المدائني عن عمر بن يزيد عن الوليد بن خليد قال : رآني هشام على برذون طخاري فقال : ما هذا البرذون ؟ قلت : حملني عليه الجُنَيْد بن عبد

١ ـ الحذيا : هدية البشارة ، والقسمة من الغنيمة . القاموس .

الرحمن المُرّي . فحسدني وقال ؛ لقد كثرت الطخارية ، ولقد مات عبد الملك وما في دوابه إلا برذون طخاري ، فتنافسه ولده أيُّهُم يأخذه وما منهم أحد إلا وهو يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من أبيه شيئاً ، فصار لي فما ورثتُ من عبد الملك شيئاً كان أحب إلي منه .

المدائني عن يزيد بن الحارث قال : كان هشام وبنو مروان كلهم لا يكسون الناس الخز الأحمر والأصفر ويكسونهم ما وراء ذلك من الألوان ، ويدخرون الأحمر والأصفر لكسوتهم .

قال : وقسم هشام تمراً وجبناً ، فقال ابراهيم بن يزيد بن هبيرة السكوني ، أخي مالك بن هبيرة السكوني لمولى له : انطلق فجئنا بشيء من تمر العراق وجبنه ، فأُعطي قوصرة وجبنة ، قال مولى ابراهيم : فألفيتُ القوصرة وما فيها إلاّ تمر قد سوَّسَ وفَسَدَ ، وإذا الجبنة قد قشرها الفأروأكل جانبها وثقبها .

ودخل أبو النجم العِجْلي على هشام فقال له : كيف رأيك في النساء فقال : ما لي عندهن خير ولا لهنّ عندي مير . قال : ما ظنك بأمير المؤمنين ؟ قال : مثل ظني بنفسي ، فبعث هشام إلى جواريه فأخبرهنّ بما قال أبو النجم ، فقلن : كذب عدو الله ما منا جارية تصلي صلاة حتى تغتسل ، فوهب لأبي النجم جارية ، ثم سأله عما صنع فأنشده :

نظرتْ فأعجبها الذي في درعها ... من حسنه ونظرتُ في سرباليا
ورأتْ لها كفلاً ينوء بخصرها ... ثقلاً وأَجْثَم في المِجَسَّةِ[1] رابيا

١ ـ بهامش الأصل : في المحسة .

ورأيتُ منتشر العَجَانِ مقلَّصاً ... رخواً حمائله وجلداً باليا
أُدني له الركبَ الحليقَ كأنما ... أُدنى إليه عقارباً وأفاعياً

المدائني قال : كان سهيل بن أبيض أبو البيضاء من أهل المدينة ، وكان مضحكاً ، وكان هشام والوليد يستملحان حديثه وشعره ، فقال له هشام : كيف قلت لداود وامرأته ؟. قال : قلت :

إنما دَلَّ عليه ... مَرْكَنٌ كان استعاره
فله ما شاء عندي ... إن تخطى العُود فاره
أو رآه المرء غُضْيَـ ... ـاءَ فَلَمْ يُوْجِعْ فَقَاره

وقال غير المدائني : كان داود هذا استعار مركنا يزرع فيه شيئاً : أو يستعمله في بعض الأمر ، فرأته امرأته فأعجبها فضمها إليه بغير ولي ولا شهود ، فلذلك قال إنما دل عليه هذا المركن ، يقول : فله ما شاء إن لم يأخذه غُضْيَاء بن عياش بن الزبرقان بن بدر ، وكان على شرطة المدينة ، فيضربه . وقوله : تخطى العود ، يعني بالعود العصا . والفار العضل . وكان غضياء يكثر ضرب عَضَلَ الرّجْلَيْنَ . والعرب تقول : أَشْبع جارك ، وأَوْجِع فارك ، أي أوجع عضلك حتى يهزل . وقال لامرأة داود :

وجدوا جونة سوءٍ ... بين هَرْشَى والأصَافِر
وجدوا فيها متاعاً ... ليس من زادِ المُسَافر
وجدوا كارَيْن فيها ... من أديمٍ غير ظاهر
وجدوا فيها خطايا ... عجزتْ عنها الأباعر

قال أبو اليقظان : ولد عياش بن الزبرقان ـ واسم الزبرقان حصين بن يزيد بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد :

غُضياء ، وكان على شرطة المدينة لخالد بن عبد الملك بن الحارث بن أبي الحكم بن أبي العاص في أول أيام هشام ، وكانت أم عبد الملك بن الحارث ابنة الزبرقان بن بدر ، وغضياء القائل :

غـريبٌ في ديـار بني تميم ولا يُخْـزي عـشـيرتي اغـتـرابي

وعياش الذي قال له جرير بن عطية :

أعياش قد ذاق القُيون مَياسمي وأوقدتُ ناري فَاذْنُ عياش فاصطلي[1]

فقال : إني إذاً لمقرور .

وحدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : دخلت جارية لهشام عليه ، وعنده الأبرش فقال : يا أبرش أهبها لك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وهو يضحك ويغمز هشاماً ، فقالت وفطنت : أنت والله يا أبرش أطمع من أشعب . فقال هشام : ومن أشعب ؟ فقيل : مضحك مليح يكون بالمدينة ، وحُدِّثَ حديثه . فقال : اكتبوا في إشخاصه ، فقال له الأبرش : أيتحدث الناس بأنك كتبت إلى عاملك على مدينة الرسول ﷺ فأشخصت منها مضحكاً لتلهو به ؟ فقال : أمسكوا ، أمسكوا فإنها وصمة عظيمة ، ثم قال شيئاً زعموا أنه لم يقل قط شيئاً غيره ، ويقال إنه إنما تمثل به :

إذا أنتَ لم تعصِ الهوى قادك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقالُ

المدائني عن ابراهيم بن سعيد القرشي قال : رأى عبد الملك بن مروان بن الحكم في منامه كأن ابنة هشام بن اسماعيل فلقت رأسه فلطعت

---

١ ـ ديوان جرير ص ٣٦٨ مع فوارق .

منه عشرين لطعة ، فغمه ذلك ، فأرسل إلى سعيد بن المسيّب من قصها عليه ، فقال سعيد : تلد غلاماً يملك عشرين سنة ، فولدت هشاماً .

قالوا : وأُقطع هشام الضيعة التي تدعى دورين فأرسل في قبضها فإذا هي خراب ، فقال لدويد وهو كاتب كان بالشام : ويحك كيف الحيلة ؟. قال : ما تجعل لي ؟ قال : أربعمائة دينار . قال : فكتب دُويد : وقراها . ثم أمضاها في الدواوين فاتسعت الضيعة وفشت ، فلما ولي هشام دخل عليه دويد كالمتقرب بما كان فعل ، فلما وقعت عين هشام عليه قال : وقراها ، لا يلي لي والله ولاية أبداً ، فأخرجه .

قال : وكان هشام يوماً على باب يزيد بن عبد الملك ، فنظر إلى بغال تعرض عليه وفيها بغل لم ير مثله حسناً وطهارة خلق ، ولين سير فقال : ما يصنع أمير المؤمنين بهذه الدواب كلها لو أن رجلاً اجتزأ بهذا البغل وحده كفاه ، فلما ولي هشام اتخذ البراذين الطخارية والبغال فقال له الرجل الذي حضره على باب يزيد : أتذكر يوم قلت في البغل كذا وكذا ؟. قال : نعم ، وأنا عليه ، ولكنا نرى شيئاً نحسد الناس عليه فنحب أن نحويه دونهم .

قالوا : ولما أخرج دُويد ثقله أُخبر هشام أنه على أربعين جملاً ، فأرسل فأخذه . وطلب هشام عسلاً من الخزانة التي هي بالهني والمري[1] والخزانة قرية ، فقيل له إن الفقراء والمرضى كانوا يلعقونه فمنع الناس من تلك الكواير ، وكتب بجمع العسل وطين الأبواب .

١ ـ نهران كانا بالرقة .

المدائني قال : كان هشام يتكلم بكلمات في العيدين في خطبته لا يقولهن في غير هذين اليومين ، ثم يخطب بعد ذلك : «الحمد لله ما شاء صنع ، وما شاء أعطى ، وما شاء منع ، ومن شاء خفض ، ومن شاء رفع ، ومن شاء ضرّ ، ومن شاء نفع» .

المدائني عن عبد الله بن سلم القرشي عن خليد بن عجلان قال : خرج هشام وليس بخليفة يريد بيت المقدس ، وأتى دمشق ، فدخل على محمد بن الضحاك بن قيس الفهري ودخلنا معه ، فقال له محمد وراءه يسحب ثيابه : يا أبا الوليد أدركت أمير المؤمنين عبد الملك ؟ فقال : نعم وكان والله مشمراً مُهَجرّاً . قال : فما يمنعك من ذلك ؟ . قال : يمنعني قول الشاعر لأبيك :

قصير الثياب فاحِشٌ عند بابه وشر قريشٍ في قريش مُركّبا

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : كان هشام يلاعب الأبرش بالشطرنج ، وقد أشرف هشام على أن يغلب الأبرش ، فاستأذن الحاجب لرجل من بني مخزوم من أخواله فأمر بإدخاله ، وغطيت الشطرنج بمنديل ، فلما دخل المخزومي سلّـم وجلس ، فقال له هشام : يا خال أتقرأ كتاب الله ؟ قال : ما أقرأ منه إلا ما أقيم به صلاتي . قال : أفتروي من الآثار شيئاً ؟ قال : لا . قال : أفتعرف من أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرفه مثلك ؟ قال : لا . قال : أفتنسب قريشاً وسائر نزار ؟ قال : لا أُحسن من النسب شيئاً . قال : يا غلام ! إرفع المنديل فليس من خالنا حشمة ، وأخذ في لعبه .

وقال الهيثم : عرض هشام الجند يوماً فنفر برجل من أهل حمص فرسه وقد دنا من هشام ، فقال له : ويلك أتركب مثل هذه الفرس فإن نَفَر بك في حرب صرعك فهلكت ، قال : والرحمن ما هذه عادته ولكنه شبَّهَكَ بأبي جبرون البيطار ، فقال له هشام : اغرب لعنك الله ، وضحك .

المدائني وغيره قالوا : قال مسلمة بن عبد الملك لهشام ـ وتلاحيا في شيء : كيف ترجو الخلافة وأنت جبان بخيل ؟ قال : لأني عفيف حليم .

وقال هشام ابن الكلبي: قال هشام لمن حضره: من أنعم الناس عيشاً ؟ فقال بعضهم : أمير المؤمنين ، وقال بعضهم : ولد أمير المؤمنين. فقال رجل من الحرس : أنعم الناس عيشاً ابن كفيته أمر دنياه ، وليس يهتم بأمر آخرته .

المدائني قال : كان المنصور يذكر هشاماً فيقول : كان رجل القوم .

أبو الحسن المدائني عن محمد بن الفضل قال : بعث هشام إلى أبي حازم الأعرج فأبطأ عليه ، ثم أتاه فقال : ما منعك من إتياني ؟ فقال : والله لولا مخافة شرك ما أتيتك . قال : ما ترىٰ في إنفاق هذا المال ؟ قال : إن أخذته من حله ووضعته في حقه سلمت ، وإلا فهو ما تعلم .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : كان هشام إذا أحدث قال : القوا عني مؤونة التحفظ. قال: ودخل سليمان بن سعيد الخُشْني[1] ، أو ابنه على هشام ، ومعه كتب يريد عرضها ، فقال هشام : أخِّرها فإني محموم ، وناوله

---

١ ـ بهامش الأصل : خشن بن النمر بن وبره ، واسم خشن وائل .

يده فمسّ عِرْقَهُ ثم قال : ما أرىٰ بك حمىٰ ، ثم قال : يا بن اللخناء تكذبني . لا تقربني ، وأمر بعزله عن الديوان .

المدائني عن شبيب بن شيبة قال : كان المنصور إذا ذكر بني مروان يقول : أما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي ما أقدم عليه ، وأما الوليد فكان مجنوناً ، وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه ، وأما عمر بن عبد العزيز فكان أعور بين عميان ، ورجل القوم هشام .

قالوا : وكان الجعد بن درهم مؤدب مروان ومعلمه ، وكان دهرياً ، ويقال كان معتزلياً شهد عليه ميمون بن مهران أنه قال له ووعظه : لشاة قيادٍ أحب إلي مما تدين به . فقال له : قتلك الله وهو قاتلك، ويقال إن ميمون بن مهران وعدة شهدوا عند هشام على الجعد بن درهم بالكفر ، فطلبه هشام فهرب إلى حران ، ثم إنه ظفر به فحمل إلى هشام فأخرجه من الشام إلى العراق ، وكتب إلى خالد بن عبدالله القسري وهو عامله على العراق بأن يحبسه فلم يزل محبوساً حيناً ، ثم إن امرأته رفعت إلى هشام في أمره تعلمه طول حبسه وسوء حاله وحال عياله ، فقال : أوحيٌّ هو؟ وكتب إلى خالد في قتله ، فقال خالد في يوم أضحى : أيها الناس انصرفوا إلى أضاحيكم فإني مضحٍّ بعدو الله الجعد بن درهم ، وكان الجعد مولى سويد بن غفلة الجعفي .

قالوا : وكان غيلان يقول : كلمت الجعد فوجدته معطلاً .

المدائني عن رَيْسان الأعرجي عن عقال بن شبّة قال : دخلت على هشام ، وعليه قباء أخضر ، فجعلت أتأمله ، فقال : مالك تتأمل قبائي ؟ قلت : رأيت عليك قبل الخلافة قباء أخضر شبهته بهذا القباء ، قال : هُوَ

هُوَ ، والذي لا إله غيره ، ومالي قباء سواه ، وما ترون من جمعي المال وصونه إلا لكم .

وقال المدائني : كان عقال بن شبة مع هشام ، وكان شبه أبو عقال مع عبد الملك ، وكان عقال يقول : دخلت على هشام فدخلت على رجل محشو عقلاً .

قالوا : وقال هشام لنسطاس أبي الزبير : أترى الناس يرضون بعدي بالوليد بن يزيد ؟ قال : قلت : يطيل الله عمرك يا أمير يا أمير المؤمنين ويبقيك بعده ، قال : لابد من الموت . أفترى الناس يرضون به ؟ قلت : يا أمير المؤمنين البيعة له في أعناق الناس ، قال : لئن رضي الناس بالوليد إنّ الحديث الذي رُوي : «إنّ من ولي الخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار» ، باطل .

قال الهيثم بن عدي : بعث يوسف بن عمر إلى هشام ياقوتة حمراء يخرج طرفاها من الكف ، وحبة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحبّ ، قال الرسول : فدخلت على هشام فدنوت منه فلم أرَ وجهه من طول السرير وكثرة الفرش . فلما تناول الحجر والحبة قال : أكتبَ معك بوزنهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين هما أجلّ من أن يكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ؟ قال : صدقت .

وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبدالله القسري اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار .

المدائني وغيره أن هشاماً أنشد بيت حسان بن ثابت الأنصاري :

أتـانـا رسول الله لما تجهمت   له الأرض إذ يرميه كل مُفَوِّقِ[1]

وهو يروي «حين تنكرت له الأرض إذ يرميه كل مفوق» .

وأنشد أيضاً شعر قيس :

ثوىٰ في قريش بضع عشرة حجة   يذكِّر لو يلقىٰ صديقـا مؤاتيا

فقال : ما رأيت أحد أشد امتناناً على الله ورسوله من هؤلاء اليهود ـ يعني الأنصار ـ .

ومات هشام بالذبحة فروي عن سالم أبي العلاء أنه قال : خرج علينا هشام يوماً وهو كئيب ، يُعرف ذلك فيه ، مسترخي الثياب ، وقد أرخىٰ عنان دابته فقال : ادعو الأبرش ، فدعي فسار بين الأبرش وبيني ، فقال الأبرش : يا أمير المؤمنين لقد رأيت منك ما غمني . قال : ويحك كيف لا أغتم وقد زعم أهل العلم إني ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً ، قال الأبرش : فلما انصرفت إلى منزلي كتبت : زعم أمير المؤمنين أنه يسافر يوم كذا ، فلما كانت ليلة اليوم الذي كمل الثلاثة والثلاثين أتاني رسول هشام فقال : أجب واحمل معك دواء الذبحة ، وقد كانت الذبحة عرضت له مرة فتداوى بذلك الدواء فانتفع به فأتيته ومعي الدواء فتغرغر به ، فازداد الوجع شدة ، ثم سكن ، فقال : قد سكن بعض السكون فانصرف إلى أهلك وخلف الدواء عندي ، ففعلت ، فما استقررت في منزلي حتى سمعت الصراخ فقالوا : مات أمير المؤمنين ، فلما مات أغلق الخزان الأبواب ، فطلبوا قمقماً يسخن فيه الماء لغسله فما وجدوه ، حتى استعاروا قمقماً .

١ ـ ديوان حسان ج ١ ص ١٨٥ .

وكان الوليد شخص عن الرصافة لكثرة عبث هشام به ، وخلف عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان ، وهو كاتبه ، بالرصافة ، وأمره أن يكتب إليه بالأخبار ، فعتب عليه هشام فضربه وحبسه وألبسه المَسُوح ، فلما صار هشام إلى الحدّ الذي لا تُرجىٰ له فيه الحياة ، أرسل عياض إلى الخّزان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلنّ أحد منه إلى شيء .

وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فَمُنِعَهُ ، فقال : أرانا كنا خزاناً للوليد .

ثم مات هشام من ساعته ، فخرج عياض من الحبس ، وختم أبواب الخزائن ، وأمر بهشام فأُنزل عن فرشه وحازها ، فما وُجِدَ له كفنٌ ، حتى كفنه غالب مولى هشام .

وقال مروان بن شجاع مولى مروان : كنت مع محمد بن هشام ، فأرسل يوماً إليّ فدخلتُ عليه وقد غضب وهو يتلهف ، فقلت : مالك ؟ قال : رجل نصراني شجّ غلامي ، وجعل يَسُبُّه ، فقلت : على رسلك . قال : ما أصنع ؟ قلت : نرفعه إلى القاضي ، قال : أما غير هذا ؟ قلت : لا . فقال خِصيٌّ له : أنا أكفيك . فذهب فضربه . وبلغ ذلك هشاماً فطلب الخصيّ فعاذ بمحمد ، فقال محمد بن هشام : لم آمرك ، وقال الخصي : قد والله أمرني ، فضرب هشام الخصي ، وشتم ابنه وهجره أياماً ثم رضي عنه .

قالوا : وكان في موكب هشام ثمانمائة فارس : أربعمائة من الشرط ، وأربعمائة من الحرس ، ولم يكن أحد يسير في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك .

ورأى هشام ذات يوم سالماً كاتبه في موكب فزجره ، وقال : لا أعلمنّ ما سرتَ في موكب ، فكان يَقْدُمُ الرجل الغريب فيسير معه ، فيقف سالم ويقول : ما حاجتك ، ويمنعه أن يسير معه .

وكان سالم عظيم القدر عند هشام ، وكان يتمثل بشعر النعمان بن بشير في غلام له ، كان يقال له سالم وهو :

يَـذُودُونَنِي عن سـالمٍ وأَذُودُهُم وجِلْدَةُ بين العين والأنف سالمُ

وكان حاجب هشام يسير وحده ، ولم يكن أحد من بني مروان يأخذ عطاء إلا وعليه الغزو ، فمنهم من يغزو بنفسه ، ومنهم من يُخْرِج بديلاً ، وكان لهشام مولى يقال له يعقوب فكان يأخذ عطاء هشام ، وهو مائتا دينار ودينار ، يُفَضّل بدينار ، فيأخذ يعقوب ذلك ويغزو عنه .

وكانوا يُصَيِّرون أنفسهم في أعوان الديوان ، وفي بعض مايجوز لهم معه المقام ، فيوضع عنهم الغزو . فكان داود بن علي بن عبدالله بن عباس ، وعيسى بن علي ، وهما لأُمّ في أعوان السُّوْق بالعراق لخالد بن عبدالله القسري ، فأقاما عنده ووصلهما ، ولولا ذلك لم يقدر على تصييرهما عنده ، ولأخذا بالغزو فجعلهما في الأعوان ، وكانا يسامرانه ويحدثانه .

قالوا : وكان هشام أراد أن يُصَيِّر ابنه مسلمة ولي عهده بعد الوليد بن يزيد ، فقال الكميت بن يزيد الأسدي :

إنّ الخـلافـةَ كـائنٌ أوتـادُهـا بَعْدَ الوليدِ إلى ابن أُم حكيم

قالوا : فأضرّ هشام بالوليد بن يزيد ، فدخل عليه يوماً فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا أبا العباس كيف حبك للروميات ؟ قال : إني لأُحبُّهن ، وكيف لا نحب من لايزال يأتي بمثلك . فترك الوليد

الرصافة وخرج ، فكان بالأزرق من أرض بلقين وفزارة ، فكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك يكتب إلى الوليد بما أجمعوا عليه من خلعه .

قالوا : وضم هشام إلى ولده : سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي ، وقالوا : ولى هشام مولى له ضيعة فعمرها حتى جاءت بِغَلّةٍ كثيرة ، وعمرها أيضاً فأضعفت غلتها وحمل ما ارتفع من مالها مع ابنه ، فقدم به على هشام فجزىٰ أباه خيراً ، فلما سمع ذلك انبسط فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : زيادة عشرة دنانير في عطائي . قال : ما يظن أحدكم أن زيادة عشرة دنانير في العطاء إلا نَقْدَ الجوز ، لا لعمري لا أفعل .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن ابن جعدبة قال : قال هشام : لو أشاء أن أقول الشعر لقلته ، وما يمنعني منه إلّا قول معاوية ، أو قال عبد الملك : إن الشعر أَسْرَىٰ خلال الدنيء ، وأدنىٰ خلال السريّ ، قال : فقلت له : قال رسول الله ﷺ : «إن من الشعر حكمة» فهل تكون حكمة من دنيء .

حدثني أبو محمد النحوي عن أبي عبيدة قال : حج هشام بن عبد الملك سنة ست ومائة ، فأتى الكوفة فحج منها ، فقال يزيد بن المرقال : كنت في اكرياته ، فلمَ يأمر لنا بشيء ، فقلت لأصحابه : أنا أكلمه . فوضعت غرائر وقمت عليها فقلت : يا أمير المؤمنين نحن أكرياؤك وخدامك . فأمر لنا بصلة .

قالوا : وقال إبراهيم بن هشام المخزومي : ما كان من هشام في حجه شيء أنكرناه ، إلا حادياً حدا بين يديه وهو يسير فقال :

إنَّ عليكَ أيها البَخْتِيُّ   أكرمَ مَن تحملُهُ المِطِيُّ

فقال : صدق فوكَ لعمر الله ، وزوج ابناً له بالكوفة .

حدثني التوزي النحوي عن أبي عبيدة عن الزَعْبِل بن الكلب العنبري قال : خازمت ـ يقول : عارضت ـ إلى هشام حين قدم يريد الحج فأهديت له ناقة فلم يقبلها ، فلما قُوّضت سرادقاته ورفعت حُجَرُهُ واستوى في غرز[1] ناقته ناديتُ فقلت : يا أمير المؤمنين جعلت فداءك إنها مرباع هلواع مقراع حلباة ركباة . فضحك وأمر لي بصلة .

قال : المرباع : التي تربع إلى الصوت ، مرباع : سريعة الحمل . هلواع : حديدة القلب من الهلع . مقراع : تقر للفحل حتى يقرعها . ويقال : ناقة حلباة ركباة وحلبانة ركبانة وحلبوت ركبوت .

حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : قال هشام بن عبد الملك : اثنان يتعجلان النصب ولعلهما لا يظفرا بالبغية : الحريص في حرصه ومعلّم البليد ما لا يبلغه فهمه .

المدائني قال : قال هشام لرجل متصل به سرقتْ له عشرة آلاف درهم : هل حدثت نفسك أن تفعل بها شيئاً من أنواع البر؟ قال : لا . قال : فهل حدثت نفسك أن تنفقها في شيء تتمتع به في الدنيا ؟ قال : لا ، قال : فخذ حجراً يزن عشرة آلاف درهم فضعه موضعها ، فإن الحجر وتلك العشرة الآلاف سواء .

---

١ ـ الغرز : الركاب .

قالوا : وخطب هشام بنت القاسم بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وأم القاسم فاطمة بنت الحسين ، وكان القاسم جلداً من رجال قريش فقال لرسوله : لا أزوجه حتى يقضي ديني ويأمر لي بعشرة آلاف درهم ، ويعطي أخي عبد العزيز عشرة آلاف درهم ، وآمنة أختي عشرة آلاف درهم .

فأدى الرسول قوله إلى هشام ، فغضب هشام وشتمه ، ثم بعث القاسم رسوله الى هشام في حوائج له فقال : لا ولا نعمة عين لا تقضى له حاجة ، فوالذي أكرمني بخلافته ما هممت بظلم مسلم ولا معاهد مذ وليتها ولا ظلم القاسم ، ولم يقض حاجته .

فلما مات القاسم تزوج هشام امرأته ، وزوج ابنه ابنة القاسم ، وحملها إلى الشام ، فبكى أهل المدينة جزعاً على القاسم .

قالوا : وأهدى حسان النبطي لهشام بن عبد الملك هدايا كثيرة من ثياب وجوهر وغير ذلك فاستكثرها هشام ، وقال : بيت المال أحق بهذه الهدايا ، فأمر ببيعها فبلغ ثمنها خمسمائة ألف درهم فابتاعها حسان ممن اشتراها وحملها إلى هشام وقال : قد طابت لك فمر بقبضها . فأمر هشام فنودي : ألا إن حسان سيد موالي أمير المؤمنين .

قالوا : ودخل هشام الكوفة فنزل الحيرة فسمع أصوات المؤذنين بالكوفة للغداة فقال لخليفة خالد بن عبدالله القسري ـ وكان خالد عامل هشام على العراق ، وخليفته بالكوفة العُرْيَان بن الهيثم ـ : ما هذه الأصوات ؟ أتراهم فعلوها ؟ قال : يا أمير المؤمنين هذه أصوات المؤذنين ، فقال هشام :

إن بلداً تبلغ أصوات مؤذنيه ما أسمع لبلد يجب حفظه وحفظ أهله . وكان جباناً .

وحج هشام فدخل على سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وهو مريض فقال له : يا أبا عمر ألك حاجة ؟ قال : اتق الله . قال : أوصني بأهلك . قال : هم في سعة من فضل الله . فمات في سنة ست ومائة وصلى عليه هشام .

حدثنا العمري عن الهيثم عن ابن عياش قال : لما حج هشام فدخل المدينة قال لرجل من أصحابه : انظر من ترى في المسجد ، قال : أرى رجلاً طوالاً أدلم . قال : هذا سالم بن عبدالله بن عمر ، ادعه . فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين . فأرسل من يأتيك بثيابك . قال : ويحك يزور بيت الله زائره في ثوبين ولا أدخل على هشام فيهما . فلما دخلَ على هشام وصله بعشرة آلاف درهم .

ثم قدم المدينة منصرفاً من الحج فقيل له إن سالماً شديد الوجع ، فدخل عليه فسأله عن حاله ، ومات سالم فصلى عليه هشام وقال : ما أدري أي الأمرين أنا أشد به سروراً ، إتمام حجي أم صلاتي على أبي عمر .

حدثني عمر بن بكير عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : حج هشام فلما قدم المدينة دعا سالم بن عبدالله فآنسه ، ودعا له بصلة وقال : هذا بقية الناس وابن الفاروق وخير أهل زمانكم ، ثم انصرف وقد حُمَّ فقال : أترون الأحول لعقني بعينه ، فكان هشام يقول : سروري بالصلاة على أبي عمر كسروري بتمام حجي أو كما قال .

قالوا : وكان مما أُنكر على هشام قوله لأشكونّ سليمان أخي يوم القيامة لاختياره يزيد بن عبد الملك علي .

قالوا : وأراد هشام أن يبايع لمسلمة بن هشام ، ويخلع الوليد بن يزيد ، فكاتب أهل الشام في ذلك فأجابه إلى إرادته خلق كثير ، فكان ممن أجابه : سعيد بن عبد الملك ، ومحمد ، وابراهيم ابنا هشام المخزومي ، والوليد وعبد الملك ابنا القعقاع بن خليد العبسي ، وغيرهم من بني أمية ، فأضرّ بالوليد وأقصاه وكان يشتمه ويسفهه ويعيره بالشراب ، وولى مسلمة بن هشام الموسم وأعطاه مالاً عظيماً أمره أن يقسمه فقسمه فقال مولى من أهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجُرْدِ بأرسانها ليس بزنديقٍ ولا فاجر

يعرض بالوليد ، وقال قوم أن هشاماً عاب الوليد ووبخه في الشراب فقال :

يا أيها الباحث عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشربها صِرْفاً وممزوجةً بالسخن أحياناً وبالفاتر[1]

فقال هشام لمسلمة : يعيرنا الوليد بشربك ، فالزم الأدب ، واحضر الصلوات ، والزم مجلسي غدوة وعشية .

ويقال إن الذي قال هذا الشعر عبد الصمد بن عبد الأعلى أخو عبدالله بن عبد الأعلى الشاعر .

---

١ - شعر الوليد بن يزيد - ط . عمان ١٩٧٩ ص ٦٦ .

قالوا : وكان الخلفاء وأبناء الخلفاء من بني أمية يتبدون ويهربون من الطاعون ، فينزلون البرية خارجاً عن الناس ، فلما أراد هشام أن يترك الرصافة قيل له : لا تخرجن فإن الخلفاء لا يطعنون ولم نر خليفة قط طعن ، فقال : أبي تريدون أن تجربوا ، الرصافة ـ وهي قرية ـ وابتنى قصرين وأقام بها ، والرصافة رومية بناها بعض ملوك الروم ، وهي تنسب إلى هشام . ويقال إنه أراد أن يخرج من الرصافة إلى البادية فراراً من الطاعون ، فقيل إنه لم يطعن بها أحد فقال : أبي تجربون .

قالوا : وأنشد أبو النجم هشاماً أرجوزته اللامية حتى بلغ :

والشمس قد هَمَّت ولما تفعل   فهي على الأفق كعين الأحول

فغضب هشام وأمر به فأخرج ، وروي أيضاً أن خالداً بعث الى هشام بحادٍ فحدا بهذين البيتين فغضب هشام وطرده .

المدائني عن مسلمة أن الفرزدق حج عام حج هشام فوصله ابراهيم بن اسماعيل المخزومي بخمسمائة درهم فقال :

أميركُمُ شرّ الولاة علمتُه   وشرّ ولاة المؤمنين هشام[1]

فأراد ابراهيم أن يضربه فقيل : تضربه ثم تُخْلِي عنه فيهجونا .

المدائني عن أبي عاصم عن رجل من بني ضبة قال : مرّ بي معاوية بن هشام وأنا في مزرعة لي قد اختبزت خبزة ، فوقف علي فقلت : الغداء . فنزل فأخرجتها ووضعتها في لبن فأكل ، ثم جاء الناس فركب وثار بين يديه

---

١ ـ ليس في ديوانه المطبوع .

ثعلب فركب في إثره ، وعثر فرسه فسقط فاحتملوه ميتاً . فقال هشام : أرشحه للخلافة ويتبع كلباً .

وكانت عند معاوية امرأتان : احداهما ابنة اسماعيل بن حربي فأخرج كل واحدة منهما من نصف الثُمن بأربعين ألف درهم .

ورثى الكميت معاوية بقصيدة قال فيها :

سأبكيك للدينا وللدين إنني رأيت يد المعروف بعدك شُلَّتِ

المدائني قال : قال هشام لغيلان أبي مروان : ويحك يا غيلان قد أكثر الناس فيك ، فتنازعنا في أمرك ، فإن كان حقاً اتبعناك ، وإن كان باطلاً نزعت عنه .

وكان غيلان كاتباً من كتّابهم ، وهو مولاهم ، فترك خدمتهم وبسط لسانه فيهم بسوء القول ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه فقال له : يا ميمون سل فأقوى ما تكونون إذا سألتم ، فقال ميمون : أشاء الله أن يعصى ؟ قال : لا . قال : فعصي كارهاً ؟ قال : هو كاره للعصيان الذي نهى عنه وليس هو بالمحمول على أمر يكرهه ، ويقال إنه لم يجب بشيء وقال : أقلني . فقال هشام : لا أقالني الله إن أقلتك ، وأمر بقطع يديه ورجليه وسل لسانه ، وألقي على مزبلة يراه الناس .

وكان من أصحاب الربيع[1]: خطبان، والوضين بن عطاء، وهما من أهل اليمن ، فأما الربيع فرآه المنصور أمير المؤمنين بالبصرة عند عمرو بن

١ ـ لعله الربيع بن صبيح السعدي المتوفي سنة ١٦٠ هـ . انظر : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار . طبعة الدار التونسية ص ٩٣ . وتهذيب التهذيب لابن حجر طبعة حيدر آباد ١٣٠٢ هـ ج ٣ ص ٢٤٧ .

عبيد قبل الخلافة ، فذكر محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن فقال الربيع : ما ندري ما محمد لم نره ، وأما أنت فرجل منا نقول بما تقول به من الحق والتنزيه لله ، قد عرفنا مذهبك وما أحد أحق بالخلافة منك .

فشكر له أبو جعفر ذاك فولاه دار الضرب بدمشق .

وكان عمر بن عبد العزيز ولاه[1] بيع خزائن بني مروان ، فباع متاع عبد الملك ، والوليد فنودي على جورب فبلغ مائة دينار ، فقال غيلان : ماهؤلاء لعنهم الله ، جورب بمائة دينار ؟ فحقد ذلك عليه هشام .

وقال جعفر بن سليمان بن علي : قال لي عبدالله بن علي : جمعت بين دواوين بني مروان فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح من ديوان هشام في أمر الخاصة والعامة والسلطان .

المدائني عن غسان بن عبد الحميد قال : لم يكن أحد من بني مروان أسدّ نظراً في أمر أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عن أموره من هشام .

قال : ودخل نسطاس على هشام ، وعلى نسطاس جبة يسحبها ، فقال له : من أين هذه الجبة لك ؟ قال : بعث بها إليّ فلان . قال : ولم بعث بها إليك ؟ فمازال يبحثه ويفتشه عنها حتى علم أنها مصانعة ، فحجبه أياماً ثم كُلم فيه فأذن له .

وقال الهيثم : خرج الفرزدق مع هشام حين حج في سنة ست ومائة ، فأمر له هشام بخمسمائة درهم فقال :

---

١ ـ الضمير عائد هنا إلى غيلان .

تحبَّسَني بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يَهوى مُنِيْبُها
فقلت كفاكم لم تكن كفُّ سيِّدٍ وعيناً له خَوْصَاء جمّاً عُيُوبُها[1]

قالوا : وكان مع هشام حجر جوهر فقال : من شاء فليسبَّني ويأخذه ، فقال له الأبرش الكلبي : هاته يا أحول . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه .

وقال هشام : أنعم الناس عيشاً رجل له امرأة صالحة قد غضت بصره عمن سواها ، وسداد من عيش يقيمه ، فهو مقبل على أمر معاده ، ولا يعرفنا ولا نعرفه .

وقال هشام بن عمار : كان هشام بناحية من الشام ، فوقع الطاعون هناك فقيل : يا أمير المؤمنين إنه لم يمت ههنا خليفة قط ، قال : أفبي تجربون .

حدثنا محمد بن الأعرابي عن المفضّل الضبيّ قال : دخل قرواش بن حبيب على هشام في غمار الناس فقال : إنا أنضاء سفر ، وفَلّ سنة[2] ، وعندكم أموال فإن تكن لله فبثّوها في عباد الله ، وإن تكن لهم فعلام تمنعونهم إياها ، وإن تكن بينكم وبينهم فقد أسأتم الأثرة وتركتم النِّصْفَة . فقال هشام : نحن أقفال عند الله مفاتيحها ، فإذا أذن في شيء فتحنا له .

المدائني عن عبدالله بن محمد القرشي قال : أتى ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله هشام بن عبد الملك حين حج فمر بالمدينة فقال له :

١ - ديوان الفرزدق ج ١ ص ٤٧ مع فوارق .
٢ - أنضاه جرده وهزله ، والفل : ما ندر عن الشيء كبراده الحديد ، والأرض الجدبة ، والسنة : القحط القاموس .

اعدني يا أمير المؤمنين على نافع بن علقمة فإنه أخذ داري . قال : أفلا رفعت ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : قد فعلت فسلك غير طريق الحق . قال : أفلا رفعت إلى الوليد . قال : قد فعلت فسلك بي طريق أبيه . قال : فعمر بن عبد العزيز . قال : عوجل رحمه الله . فغضب هشام وقال : لا يزال أحدكم يتكلم بما يستحق به أن يُدَقَّ أنفه ويسحب برجله . فقال : إذاً يسة. خيرك شرك ، وتقطع رحمك ، وتكون يد الله فوق يدك ، أما والله إن اسصاء ليتعقّب . فقال هشام : لو كان فيك مضرب لضربتك ، قال : فيّ والله مضرب . فقال هشام : اكتمها علي .

وحدثني أبو عدنان عن الأصمعي قال : دخل أعرابي على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ان يكن المال الذي في أيديكم لله فبثوه في عباد الله ، وإن كان بينكم وبينهم فلقد أسأتم الأثرة عليهم ، وأثمتم في حرمانكم إياهم ، وإن كان لكم دونهم فتصدقوا فإن الله يحب المتصدقين . فقال : والله ما ترك واحدة من ثلاث ، فأعطاه فخرج وهو يقول : ما أكَزَّ يده بالمعروف .

حدثني أبو عدنان عن هشام بن محمد ، والهيثم بن عدي عن عوانة قال : أتى خالد بن صفوان باب هشام ، فطلب له مسلمة الإذن فقيل : قد ركب أمير المؤمنين متنزهاً . قال خالد : وكان العام عاماً قد بَكَرَ وَسْمِيّهُ[1] وتتابع وَلِيُّه[2]، فكأن على الأرض زرابيّ مبثوثة من نورها ووشيها، فأشار إلي

١ ـ الوسمي : مطر الربيع . القاموس .
٢ ـ الولي : المطر بعد المطر . القاموس .

مسلمة أن تكلم ، فنظرتُ إلى الثمار والشجر فوالله ما دريت ما أقول
فقلت : قاتل الله عدي بن زيد حيث يقول :
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وانَ أم أين قَبْلَهُ سابـ
وبنو الأصفر الكرام ملو ك الروم لم يَبْقَ منهم مذ
وأخو الحضر[1] إذْ بَناهُ وإذ دجلة تجبى إليه والخابـ
لم يَهَبْهُ رَيْبُ المنُون فَبَـ ـادَ المُلْكُ عنه فبابُه مهجو
قال هشام : قبح الله رأيك يا مسلمة فليس هذا بأول يوم غممتني
وقام مغضباً وتفرقوا ، قال خالد : فأتاني بعض الشاميين فقال : أين
العراقي الذي أغضب أمير المؤمنين ؟. قلت : خرج . فخرجوا يسـ
فأخذت في ناحية أخرى ، وكان هشام لا يكاد يذكر في مجلسه الموت تـ
منه .

وحدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عدي وهشام ابن الكلبي عن عـ
قال : وفد على هشام بن عبد الملك وفد كلهم من قريش ، وكلهم خطيب
فتكلموا ثم قال اسماعيل بن محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي أو
من ولد أبي الجهم : يا أمير المؤمنين هذه خطباء قريش قد نطقت فأط
وتكلمت فأسهبت ، فوالله ما بلغ متكلمهم قدرك، ولا جاوز أبلغهم فضـ
أفأوجز أم أُطيل ؟. قال : بل أوجز . قال : تولاك الله يا أمير المؤ

---

١ ـ كانت العرب تسمي ملك الحضر باسم الضيزن ، ونشرت في بغداد دراسة جيدة عن ا
وآثارها من اعداد : فؤاد سفر ، ومحمد علي مصطفى ـ بغداد ١٩٧٤ .
٢ ـ ديوان عدي بن زيد ـ ط . البصرة ١٩٦٤ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

بالحسنى ، وزيَّنَكَ بالتقوى ، ويسرك لليسرى ، وجمع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي يا أمير المؤمنين حوائج أفأذكرها ؟. قال : نعم . قال : كبرت سني ، وكثر عيالي فإن رأى أمير المؤمنين أن يصلني بصلة يجبر بها كسري ، وينفي بها فقري فعل . قال : وما صلتك التي تفعل بك هذا الذي ذكرت ؟. قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار . قال : هيهات ، هيهات ، رمت مراماً صعباً ، هذا والله ما لا يحتمله بيت مال المسلمين .

ثم نكس هشام واسماعيل ماثل بين يديه ، فرفع رأسه ثم قال : هَيْه . قال : وما هَيْه يا أمير المؤمنين كأنك آليت إلا تقضي لي حاجة في مقدمي هذا ، أما والله إن الأمر لواحد ، إلا أن الله آثرك بهذا المجلس ، فإن تعطني فحقي أعطيت ، وإن تمنعني فإني أسل الله الذي بيده ما حويت ، فإن الله جعل العطية محبة والمنع مبغضة ، ووالله لأن أحبك أحبُّ إليّ من أن أبغضك . قال : فألف دينار لماذا ؟. قال : أقضي بها ديناً ، فَدَحَني حمله ، وأضرَّ بي أهله . قال : نِعْمَ المسلك أسلكتها تؤدي حقاً وتضع عنك ثقلاً ، أو قال تؤدي عن أمانتك ، وتحط حملاً ثقيلاً عن ظهرك . وألفٌ لماذا ؟ قال : أزوج بها من أدرك من ولدي . قال : تغضّ بصراً ، وتعفّ فَرْجاً ، وترجو نسلاً ، نعم المسلك أسلكتها . وألفٌ لماذا ؟ قال : أشتري بها أرضاً يكون فضلها لنفقتي في حياتي ويبقى عقده لعقبي . قال : فإنّا قد أمرنا لك بما سألت ، قال : المحمود على ذلك الله ، فلما ولى قال هشام : إذا كان القرشي فليكن مثل هذا ، ثم قال هشام : أما والله ما نعطي تبذيراً ، ولا نمنع تقتيراً ، وإنما نحن خُزّان الله على بلاده ، وأمناؤه على عباده ، فإذا شاء

أعطينا ، وإذا منع أبينا ، ولو كان كل قائل يَصْدُق ، وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلاً ، ولا رددنا سائلاً .

حدثني عبد الله بن صالح عن الهيثم ، أخبرني الضحاك بن زمْل قال : بلغ هشام قول الحسن البصري : لا يعدل أحد عن قصد ، ولا يبقى كثير على إسراف ، فقال هشام : صدق لله أبوه .

حدثني محمد بن أنس الأسدي عن ابن كناسة الأسدي قال : قدم رصافة هشام رجل من بني أسد ، ثم من بني فقعس على هشام ، فدخل عليه حين جلس للعامة ، فقال : يا أمير المؤمنين أتت علينا سنونٌ ثلاثٌ أجحفتْ بالأموال ونحبت قلوب الرجال ، فأما الأولى منهنّ فأذابت الشحم ، وأما الثانية فَنَحَضَتِ[1] اللحم ، وأما الثالثة فهاضت العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ، فإن تكن لله فبثوها في عباد الله ، وإن تكن لهم فعلام تحظرونها عنهم وتمنعونها ذوي خلّتهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا فـ ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾[2] قال هشام : هذه حاجتك في خاصتك ، فما حاجتك في عامتك ؟ . قال : مالي حاجة في خاصة دون عامة ، فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله أن أنفق على من أقحمته السنة حتى يأتي الله بالحيا والخصب . وكتب بمثل ذلك إلى ابراهيم بن هشام عامله بالمدينة فأنفقا ، فاحتسب بألفي ألف درهم ، واحتسب إبراهيم بسبعين ألف دينار فسميت السنة سنة خالد .

---

١ ـ نحض : قل لحمه . القاموس .

٢ ـ سورة يوسف ـ الآية : ٨٨ .

ويروى عن الأصمعي أن عراقياً قال لبعضهم ـ هشام أو غيره ـ: إن كان هذا المال لكم فقد بخلتم به ، وإن كان بينكم وبين رعيتكم فقد أسأتم الأَثَرة ومنعتم الحق ، وإن كان لكم أن تعطوا ولكم أن تمنعوا فأنتم كما قال الله : ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾[1] .

المدائني عن أبي محمد القرشي قال : كان يفطر عند هشام قوم في شهر رمضان فسأله رجل منهم حاجة فقال هشام : ألم أنهكُم عن أن يكلمني أحد في حاجة في هذا الشهر ؟ . فقال له رجل يكنى أبا نوح من بني تميم ، ممن كان يفطر معه : والله لقد أمر لي أمير المؤمنين بخصي فما منعني من تنجز ذلك إلّا هذا الشهر . قال هشام : ما أعلمني أمرت لك بشيء ، قال : بلى يا أمير المؤمنين قد أمرت لي به ولكنك نسيت . قال : فمن يعلم ذلك ؟ . قال : إبراهيم بن هشام خالك ، قال : أكذلك يا إبراهيم ؟ . قال : نعم يا أمير المؤمنين وما كنت أرى نسيانك يبلغ هذا ، فأمر له هشام بالخصي . فلما خرج أبو نوح وقف لابراهيم ، فلما خرج ابراهيم قال : جزاك الله خيراً ، قال : لكن لا جزاك الله خيراً ، ويحك ألا أعلمتني أنك تريد هذا قبل أن تقوله ، ثم قال : إياك أن تعود لمثلها .

المدائني قال : استأذن المهاجر بن عبد الله هشاماً في الحج فأذن له ، وحج هشام فشكاه الناس ، فراح إلى رواق هشام ، فقال هشام لجارية له : انظري من في الرواق ، فخرجت ثم رجعت فقالت : فيه أجمل الناس وآدب الناس ، فقال : انطلقي إلى هذا الذي زعمت أنه أجمل الناس فادعيه

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ الآية : ٣٧ .

فخرجت إلى المهاجر فقالت : أجب أمير المؤمنين . قال : انطلقي فإن للأمير حاجباً غيرك ، فأرسل إليه خصياً فدعاه فقال : دونك هذه الجارية فاطلب ولدها فإنها نعمت أم الولد .

قالوا : وكان المهاجر بن عبد الله يمر في مسجد دمشق فيعدل عن القناديل لئلا يكسرها بطوله ، وقد مدحه جرير فقال :

إنّ المهاجرَ حين يبسط كَفّه سَبْطُ البَنَانِ طويلُ عظم الساعدِ
ولقد حكمتَ وكان حكمكَ مقنعاً وجُعلتَ بين مَنَابرٍ ومساجدِ[1]

وقالوا : قدم عمرو بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص على هشام فجفاه فقال :

لَعَمْـرُكَ للرَّبيـعُ أَقَـلُّ دَيْنَـاً وأكـثرُ صـامِتـاً مني مِـرارا
وأكـثر زائـراً مني كثيـراً وأجدرُ بالـرصافـة أن يُزارا

قالوا : وكان هشام يقف على القصاب فيسأله عن سعر اللحم ، ورأى رجلاً من خاصته يبتاع لحماً فغمزه فأتاه فقال : بكم تشتري ؟ . قال : بدرهم ، قال : أحسنت ، وأكثر من هذا سرف ، وقال هشام : لا يلام المرء على إصلاح ماله والقصد فيه .

قال المدائني : دخل هشام بستاناً له فأقبل من معه يأكلون من ثمرته ويقولون : اللهم بارك لأمير المؤمنين ، فقال : كيف يبارك في شيء تأكلون منه هذا الأكل ، فقلع شجر ذلك البستان وجعل مكانه زيتونا .

---

١ ـ ديوان جرير ص ١٠٠ مع فوارق .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : قال هشام : ما ندمت على شيء ندامتي على ما أَهَبُ . إن الخلافة تحتاج إلى الأموال كما يحتاج المريض إلى الدواء .

حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرقة ، حدثني أبي أن رجلاً من قريش دخل على هشام فقال له : ما أقدمك ؟. قال : حاجة جليلة ، وفضل أمير المؤمنين أجلّ منها . قال : وما هي ؟. قال : تصلني بألف دينار وألف دينار وألف دينار . قال : ألف لماذا ؟. قال : أصرفها في قضاء ديني . قال : حسن جميل ، تقضي حقاً ، وتحط ثقلاً ، وتؤدي أمانة . وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوج بها ولدي . قال : حسن جميل . تعف فرجاً ، وتصل سبباً ، وترجو عقباً . وألف لماذا ؟ قال : استعين بها على نوائب الزمان وجفوة الإخوان ، قال : حسن جميل ، تستر بها نفسك ، وتصون وجهك ، وتصلح معاشك . ثم سكت فخرج من عنده .

ثم عاد في اليوم الثاني فقال له : قد أمرنا لك بثلاثة آلاف دينار ، وإنما نحن خزان الله ، فإن أذن لنا في عطاء شيء أمضيناه ، وإذا لم يأذن فيه منعناه .

قالوا : وكتب هشام بخطه : «من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى رياح مولى مسلمة ابن أمير المؤمنينَ ، أما بعد ؛ فقد قرىء على أمير المؤمنين كتابك بما ذكرت من تكلفك من المؤونة في القراطيس ، وسيرى أمير المؤمنين في أمر القراطيس لك ولغيرك رأيه ، إن شاء الله» .

وكتب هشام إلى يوسف بن عمر : أما بعد فقد وليتُ عبد الله بن نافع ما كان سعيد يليه من عمل بعلبك ، وأمرته بقبض العهد الذي كان

لسعيد ، والأخذ بما فيه ، فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وأحسن جوار عبد الله ، وأعنه على ما استعانك عليه فيما وافق الحق ، وما هو له ، ولما تحت يده صلاح ، ولا تجعل له إلى شكيتك سبيلاً إن شاء الله» .

قالوا : بعث خالد بن عبد الله القسري إلى هشام بمال ، وأرسل قوماً يشهدون أنه طيب أُخذ من حِلّهِ ، فصانع رجل بألفي درهم حتى جعل مع الشهود ، وصُيِّر آخرهم ، فقدموا على هشام فقال : أين المزكّون ، فدعا رجلاً رجلاً فحلفوا بالله أنه ما أُخذ شيئاً من ذلك المال إلا من حلال ، ولا حمل إليه خالد إلا الفضل بعد أن أعطى كل ذي حق حقه ، حتى قام ذلك الرجل المصانع بالألفين فحلف بالله لقد شهدوا بزورٍ وفجور . فقال هشام : أراك مستأجراً ؟ فقال : والله لقد صانعتُ بألفي درهم حتى ألحقت بالشهود ، قال : أفأنت خارجي ؟ قال : لا والله ما أنا بخارجي ، ولكني نظرت لك فاتق الله . فقال هشام لمن حضره : ما ترون ؟ فقالوا : نرى أن تقتله فإن له مذهب سوء ، وإلا فلم صانع ليخبث بنفس أمير المؤمنين ، ويجرح شهادات مثل هؤلاء فقتله وصلبه ، ويقال بعث به إلى خالد فقتله وصلبه بواسط .

وقال بعضهم كان خالد بن عبد الله أبلغ عن الكُمَيْت بن زيد تنقصاً له ، وكان متهماً بالرفض عندهم ، وأنشد قصيدته الهاشمية التي يقول فيها .

إلى النفر الغُرّ الذين بِحبِّهم إلى الله فيما نابني أتقربُ
وقالوا تُرابيٌّ هواه ورأيه بذلك أُدعى فيهمُ وأُلقّبُ[1]

---

١ ـ الروضة المختارة ص ٢٦ ـ ٢٨ .

فحبسه خالد فلبس ثياب النساء وخرج فعاذ بمسلمة بن هشام وقال :

خرجت خروج القِدْحِ قدح ابن مُقبلٍ   على الرغم من تلك النوابح والمشلي[١]
عليّ ثياب الغانيات وتحتها   عزيمة رأي شبَّهت سلّة النصل
فأصبحتُ مغبوطاً ومحسودَ أمةٍ   بأبيضَ محسودٌ على مثله مثلي
من النَّفر البيض الذين أكفُّهم   سهام العدى والشافيات من النبل[٢]

وأخبرني عباس بن هشام عن أبيه عن جده قال : بلغ هشام بن عبد الملك أمر عابه به ، وأنشد قصيدته الهاشمية البائية ، فكتب إلى خالد في حبسه ، فحبسه فكان أبان بن الوليد يعده ويمنيه ويضمن له عن خالد ما يحب ، وخالد يومئذ بواسط ، وكان المستهل بن الكميت يعمل في أمره من قبل عبد الرحمن بن عنبسة ، فجاء كتاب هشام بقطع يدي الكميت ورجليه ولسانه ، فأخبر خالد بن عنبسة بذلك ، فأخبر ابن عنبسة المستهل بذلك ليعلمه إياه فيوصي ويعهد ، فأخبر المستهل أمه فلبست درعين وخمارين ونطاقين ، ثم أتت الكميت فأخبرته فلبس أحد درعيها ، وأحد خماريها ، وأحد نطاقيتها ، ثم خرج على البوابين فلم ينكروه ومضى من فوره إلى مسلمة بن هشام فأجاره مسلمة وأخواه . وقال في أبان بن الوليد :

أَخْلِقْ وَابْلِ أبا الوليـ   ـدِ فقد لبستَ ثيابَ غادِر

وكتب خالد إلى هشام بخبره ، فكتب إليه هشام : أما امرأته فخاطرت بنفسها لزوجها فلا سبيل عليها فأطلقها . وأما أنت فقد ضَيَّعْتَ .

وقال الكميت :

١ ـ المشل : الحلب القليل ، ومشل مشولا : قل ، وامتشل السيف : استله . القاموس .
٢ ـ شعر الكميت ج ٢ ص ٥٠ مع فوارق .

خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل . . .

الأبيات .

وقال الكميت يُحَذِّر هشاماً غَدْرَ خالدٍ ـ ويذكر ما تدّعى اليمانية من مصير الأمر إليهم ، فإن ابن الأشعث كان ادعى ذلك لنفسه ، ثم يزيد بن المهلب بعده ، وأن خالداً أطمع نفسه في ذلك ـ قصيدةً ، وقال في ذلك .

أَنُـوَّامـاً يقـول بني لؤيٍّ ... عن الأمر المرشح ذي البزولِ
أرى أمراً سيعْظَمُ أُصغـراهُ ... لِتمٍّ لَقَاحِ مُبْسِقَةٍ[1] حَفُولِ
دَفُـوعُ للفصـال بمنكبيـهـا ... خَبوطٍ عند دَرَّتِهَـا رَكُـولِ
كما لقيتْ ثمودُ ولا يكـونوا ... لكم مثلاً بِراغِيَـةِ الفصيلِ[2]

فيقال إن مسلمة بن هشام دخل على هشام فلم يفارقه حتى عزل خالداً ، وأمسك عن الكميت لأنه كذَّب ما قيل فيه :

وقال الكميت في مسلمة أبي شاكر بن هشام :

إن الخلافة كـائن أوتـادهـا ... بعد الوليد إلى ابن أم حكيم[3]

فقال خالد : أنا اكفر بخليفة يكنى أبا شاكر ، فكأنّ مسلمة قد حقد ذلك عليه .

وقال الكميت في هشام قصيدة يقول فيها :

وكنا متىٰ ما نَدْعُ مروان للتي ... نخافُ نَذُدْ عن حوضنا أن يُفَجَّرا
وأنتم أنـاسٌ يَجْمَع الله دِينَـهُ ... بكم ويقيمُ الله مَنْ كان أُصْوَرَا[4]

١ ـ البسوق : الطويلة الضرع من الشاء ، وأبسقت الناقة : وقع في ضرعها اللبا قبل النتاج . القاموس .

٢ ـ ليست في شعر الكميت المنشور .

٣ ـ ديوان الكميت ج ٢ ص ١٠٥ .

٤ ـ صَوِرَ : مال . القاموس .

وجدنا أبا العاصي أبا أبويكم ... ومجدكم المستقدم المتأخرا
كساه من المجد الهشامان حلةً ... مغيريةً منها ارتدىٰ وتأزَّرا

وقال الكميت :

أبني أمية إنكم ... أهل الوسائل والأياصر
أنتم معادن للخلا ... فة كابراً عن كل كابر
وإلى القيامة لايزا ... ل لشافع منكم وواتر
الأطيبون الأكثرو ... ون من الأطايب والأكابر
الآن صرتُ إلى أميـ ... ـة والأمور إلى المصائر
يا مسلم ابن أبي الوليـ ... ـد لميّت إنْ شئتَ ناشر
علقتْ حبالي من حبا ... لِكَ ذمة الجار والمجاور
والناس قد علموا رجا ... ئي فيك من بادٍ وحاضر
أنت المقابل في أميـ ... ـة في قوادمها الفواقر
الضامنينَ الدهر للحَدَثـ ... ـان والجار المجاور

حدثني عمرو بن أبي عمرو الشيباني الراوية ، قال : لم يزل مسلمة بهشام حتى أمن الكميت وأنشده شعره فيه ، وكان يحب أن يشرف ابنه مسلمة ، ويرفع ذكره ، فأظهر الرضا عنه ، وتشفيع ابنه فيه .

وقال الكيمت لعبد الملك بن هشام :

من عبد شمسٍ لك السَّنا ... م ومن عبد منافٍ لبيتك الطُّنبُ
وأنتَ في البيت ذي الدعا ... ئم من مخزومٍ في بيتٍ عَلَا بِهِ النَّسَبُ
فما لحيٍّ مَجْدٌ ولا مَكْرُ ... مَةٌ إلا لكُمْ فَوْقَ مَجْدِهِ رُتَبُ

وقال في مسلمة بن هشام :

أمسلم إنّ الحلم والحزم والندىٰ ببابك ما يزداد إلا تَجَدُّدَا
وأنتم نجوم الناس والمهتدىٰ بهم وأكرمُ أهل الأرض كهلاً وأمردا

وقال يرثي معاوية بن هشام تقرباً بذلك إلى هشام وولده وقد كان ممن دفع عنه :

أتانا بموت ابن الخليفة حادث به نُهلت منا القلوب وعُلَّتِ
فإن تكْ أرضٌ يا معاويَ غَيَّبَتْ جَدَاكَ وأرض منك أخرى تَجَلَّتِ
فنِعْمَ فتىٰ الهيجا ونعم شهابها إذا البيض تحت المشرفيات صَلَّتِ
ربيع إذا ضنَّ الشتاء بقطرةٍ وليث إذا ما المشرفية سُلَّتِ
سأبكيك للدنيا وللدين إنني رأيت يد المعروف بَعدك شُلَّتِ
وغُلِّقَ أبوابَ الندىٰ وتنغَّصت إلى الناس أخرى عيشهم وتقلَّتِ[1]

المدائني عن زيد بن الحارث قال : كان سعيد بن هشام يركب متنزهاً فإذا برز عن الناس نزع ثيابه حتى يبقى في قميص فيضعه على عاتقه ويعدو فيقول : أرسلتُ كلبي يبتغي ما يأكله ، فلا يلقى امرأة إلا غصبها نفسها ، وكان ماجناً ، وكان يخالف إلى امرأة عمرو بن قيس ، وكان على حمص ، فقال فيه الشاعر وهو من طيء ثم من بني بُحتر :

بلّغ لديكَ أمير المؤمنين فقد خصصتنا بأمير غير عِنِّينْ
طوراً يُخالف عَمْراً في حليلتِهِ وعِنْد تَاجَةَ يبغي البِرَّ في الدين

وقال الكلبي : عمرو بن قيس بن ثور بن حمران السكوني ، وهو أبو عيسىٰ عمرو بن قيس ، وعيسى هو أبو الجمل الحمصي وتاجة بنت عمرو الغنوي امرأة عمرو بن السليل من الرباب .

١ ـ ورد بيت واحد من هذه القصيدة في شعر الكميت ج ١ ص ١٤٧ ، وهو الخامس ، وبالنسبة للشواهد المتقدمة في هذه الصفحة والتي تقدمتها فلم يرد أي منها في شعره المنشور .

وقال يزيد بن الحارث : كنا نعرف شبهه في قوم بحمص نرى أنهم ولده ، قال فخرج مرة متنزهاً فلم أخرج معه ، وخرج معه صفوان بن عمرو الكلاعي ، فلما رجع خرجت أتلقاه . فقال : ما منعك من الخروج معنا ؟ فاعتذرت إليه ، فسايرته ثم نزلنا فقال : أترى هذا الخلق ما فيهم أشبق مني . قلت : إن مثلك لا يقول مثل هذا . قال : اسكت أنا أعلم بنفسي منك .

ورفع عليه عند هشام أنه يزني فعزله وقال : لا تلي لي عملاً أبداً لعنك الله ، أيزني القرشي ، إن مثلك لا يزني ، أتدري ما فسق القرشي وفجوره ، إنما هو أن يأخذ مال هذا فيعطيه هذا : ويقتل هذا ويظلم هذا .

قالوا : وخرج سعيد يوماً بحمص في غبّ مطر يسير ، وقد التحف بطليسانه ، وهو على فرسه : وقد كادت صنعة طليسانة تصيب الأرض ، فمر برجل وهو لا يعرفه ، فقال : يا عبدالله قد أفسدت ثوبك وما يضرك لو رفعته ؟ فقال : وددت أنك وثوبك في النار . فقال : وما ينفعك ؟

وقال أبو محمد السفياني : حُبس سعيد بن هشام معنا ، فكان في بيت على حده فكنت أسمع صوت أوتار عود ، فخرجت يوماً إلى البيت الذي هو فيه ، فإذا هو قد أخذ جفنة فثقبها ، وعلق عليها أوتاراً ، فقلت : ويحك ، على هذه الحال ؟ قال : لا أبا لك لولا هذه لمت غماً .

المدائني عن اسماعيل بن ابراهيم قال : سمعت شيخاً يقول : خطب هشام حين ولي فقال : «الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام» . فأخبرت محمد بن عمرو بن حزم فقال : لكن عمر بن عبد العزيز كان إذا

خطب بكى ثم قال : ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[1] .

حدثني العمري قال : ولى هشام ابنه سعيداً حمص ، فكان يرسل إلى تاجة بنت عمرو الغنوي ، وهي امرأة عمرو بن السليل من بني تيم الرباب ، فشهد بذلك عند أبيه ، فحدَّه أبوه وقال : يا بن الخبيثة أتزني وأنت ابن أمير المؤمنين ، لا جَرَمَ . لا ولّيتك عملاً أبداً ، إنما فجور قريش منع هذا ما يستحق ، وإعطاء ذاك ما لا يستحق ، فيقال إن سعيداً مات من ذلك الضرب ، والثبت أنه بقي بعد موت أبيه .

قالوا : وقدم محمد بن علي بن عبدالله بن العباس على هشام فكره ذلك وأمر بفسطاطه فقوض وقال : قولوا له إلحق بمنزلك ، وانتظر دولتكم التي تتوقعونها . فقال له الأبرش الكلبي : يا أمير المؤمنين إن كان الذي يقال حقاً فقد ينبغي أن تصانعهم ، وإن كان باطلاً فعلام تقطع رحم هذا وقد قصد إليك .

حدثني حفص بن عمر عن الهيثم قال : كتب هشام لابنه محمد بن هشام ، وأراد أن يبعثه على الصائفة كتاباً نسخته : «إني رأيت أن أعهد إليك في أشياء من أمر خاصتك ، أحب أن أحملك فيها على أدبي ، ليكون حجة عليك وتأدية لحق الله عليّ لك ، وأنا أرجو أن يتولى الله حفظك بالتنزيه عن كل قبيح ، والعصمة من كل مكروه ، والتحصين من كل آفة أخشاها عليك في دينك وبدنك ورأيك وعرضك ، وأن يُبليني في جميع ذلك أجمل ما عوّدني

١ ـ سورة النساء ـ الآية : ١٢٣ .

فيك ، فحميدٌ هو على ما يولي ، مشكورٌ على ما يُبلي ، وليس امرؤٌ وإن ظوهرت له العظة ونُخلت له النصيحة بمنتفع بشيء من ذلك حتى يكون له من توفيق الله داعٍ ، ومن نفسه عليه معين يبصره فضل ما يوعظ به على ما يوعظ عليه ، فإنه لا يوفق للخير ويعين عليه إلا الله وحده لا شريك له .

وقد كان مما أحدث الله لي فيك من النعمة ، ما أسأل الله تمامه ، وحسن المزيد فيه ، والعون على أداء شكره عليه ، فإنه قد أراني فيك من معالم الفضل وأمارات الخير ما قذف به في نفسي توجيهك لما وجهتك له من الأمر الذي أرجو أن يجعله الله لك إلى قصوىٰ غايات الفضل سبباً وسبيلاً ، فيما يعرفنا من بصرك بالأمور واستقلالك بالقيام لله بالنصيحة ، وحسن السياسة ، والرفق في مستقبل أمرك ، ومفتاح عملك ، فليكن أول ما تبدأ به إيثار تقوىٰ الله ربك بالاجتهاد في طاعته ، والحيطة لدينه وعباده ليجزيك بذلك جزاء كريم سلفك الماضين ، وصُلحاء أهلك الباقين ، فإنّ به تمام كل نعمة ، وإليه منتهىٰ كل رغبة» .

حدثني الأثرم عن أبي عبيدة قال : دخل أعرابي على هشام في غمار الناس ، فقال هشام لحاجبه : أَكُلٌّ من شاء أن يدخل دخل ؟ فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين إن دخولي عليك لا ينقص من قدرك ، وهو يزيد في قدري . فقال : لا بأس إذاً ، أذكر حاجتك ، فتظلم من واليهم ، فكتب بإنصافه .

ويقال إن هشاماً ـ أو الوليد بن عبد الملك ـ كان يقف على البقال قبل الخلافة فيقول : ناولني تلك الحزمة ، فيناوله حزمة من البقل فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلسين ، فيقول : زد فيها .

وفي هشام يقول الشاعر :

باتصالٍ دَعَوْتَ يا عبد شمسٍ بعدما نابَهُنَّ أو يا مُغِيْرَا
قَمَرَيْ مكةَ المضيء دُجَاهَا يَجْلُوَانِ الدُّجَنَّةَ الدَّيْجُورا

وقال الواقدي : خرج عشرون ألفاً من الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائة فنزلوا على ملطية ، فأغلق أهلها أبوابها . وخرج رسولهم مستغيثاً فلحق بهشام وهو بالرصافة ، فندب هشام الناس إلى ملطية ، وتقلد سيفاً ثغرياً ، وركب يطوف على الناس بالرقة ، وأتاه الخبر بأن الروم قد قفلوا فأخبر الرسول بذلك ، وبعث معه بشراً ليرابطوا بملطية .

حدثني أبو الوليد هشام بن عمار قال : سمعت من يحدث أن هشاماً قال : لسان المرء من خدم عقله وأول واحد يخبر ما عنده .

قال : وبلغني أن هشام بن عبد الملك قال : إن اللسان في حكايته صادق عن عقل صاحبه .

قال المدائني : كان عبد الأعلى بن عبدالله بن عبدالله بن عامر بن كُرَيْز يفد إلى هشام فيتكلم عنده ، فيُعجب مسلمة بن عبد الملك كلامه ويقول : والله إني لأرفع كور العمامة عن أذنيّ لاستفرغ كلام ابن عامر ، وكان مسلمة يقول : إنّ الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فَيُلْحِن فكأنه يُقضِمني حب الرمان الحامض حتى يسكت فأَردّه عنها ، ويكلمني الرجل في الحاجة ما يستوجبها فيُعِرب فأجيبه إليها .

قالوا : وحضر الوليد بن يزيد مجلس هشام : ثم خرج فوثب على فرسه وقال لأبي شاكر بن هشام : أيُحْسِنُ أبوك أن يركب كذا ؟ فقال : لأبي

مائة عبد يفعلون أكثر من هذا . فقال هشام : لله مسلمة ابني ما أظرفه لولا مجونه .

المدائني قال : حج هشام : فأخذ الأبرش قوماً معهم بَرَابِط ، فقال : احبسوهم وبيعوا متاعهم هذا وصيّروا ثمنه في بيت المال ، فإذا صلحوا فردوا الثمن عليهم .

وقال بشر مولى هشام : أُتي هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال : اكسروا الطنبور على رأسه ، وضربه فجعل الشيخ يبكي . قال بشر : فقلت له عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي لضرب أمير المؤمنين إياي ، إنما أبكي لاحتقاره العود حين سماه طنبوراً .

وقال هشام بن محمد الكلبي : دخل الوليد بن يزيد المقتول على هشام بن عبد الملك وعنده ولده ، وفيهم مسلمة بن هشام ، المكنىٰ أبا شاكر ، فقال الوليد لمسلمة ، وكان ظريفاً : ما اسمك ؟ ـ كأنه لا يعرفه ـ فقال : شارزنجي . يُعَرّض بأنه يكثر شرب النبيذ إكثار الزنج ويطرب طربهم ، وقد كتبنا خبر شارزنجي مع أخبار عبد الملك بن مروان .

وقال المدائني : استأذن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وأخوه عبد العزيز معه على هشامِ ، فأذن لمحمد قبل عبد العزيز ، فقال عبد العزيز : يرحم الله حسيناً ـ من غير أن يجري للحسين ذكر ـ فأنكر هشام ذلك وقلب عينه وقال : ما ذاك ؟ قال : ذاك لأني ومحمداً ابناء عبدالله ، وأمي أموية بنت خالد بن عبدالله بن خالد بن أسيد ، وأم محمد فاطمة بنت حسين ، وقد قُدِّمَ عليٌّ وأنا أَسَنُّ منه لأن فاطمة ولدته . فقال هشام لآذنه : قَدِّمْهُ بعد مَرَّتِهِ هذه .

وحضر محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وعبدالله بن الحسن بن الحسن باب هشام فخرج الآذن فقال : محمد بن عبدالله . فلم يَقُم . فدنا الآذن فقال : ادخل ، فقال : عبدالله بن الحسن ههنا . فرجع إلى هشام فأخبره بقوله ، فقال : محمد بن عبدالله ، فلم يقم . ففعل ذلك مرات ، فقال هشام : ائذن لعبدالله ، فخرج الآذن فقال : عبدالله بن حسن . فقام وقام معه محمد بن عبدالله .

المدائني : أن هشاماً قال لمسلمة بن عبد الملك : يا أبا سعيد هل دخلك ذعر لحرب شهدتها ، أو لعدو كادك ؟ قال : ما سلمت من ذعر لايذهلني عن حيلة ولم يَغْشني ذعر يسلبني رأيي ، فقال هشام . هذه البسالة .

قال المدائني : قال ابراهيم بن هشام لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين أقبلَ عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص يوماً ، وعندي ابراهيم بن عبدالله بن مطيع ، وعلى عبد الرحمن بن عنبسة ثياب خضر : الجبة والمطرف والعمامة ، فقال ابراهيم : قد أقبل ابن عنبسة في زينة قارون . فضحكت ، فقال عبد الرحمن : ما أضحكك أيها الأمير؟ قلت : قال ابراهيم حين أقبلت كذا وكذا . فقال عبد الرحمن : لولا أني أخافه علي وعليك وعلى المسلمين إن هو غضب لأجبته . قلت : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغني أن الدّجال يخرج لغضبةٍ يغضبها ، وابراهيم أعور وأنا أظنه الدجال ، فقال ابراهيم : لولا أن له عندي يداً عظيمة لأجبته ، قلت : وما يده ؟ قال : سعى عليه غلام بمدية فأصابه فأشواه ، فلما نظر إلى الدم جعل لا يدخل عليه مملوك إلاّ قال له : أنت حر ، ودخلتُ عليه عائداً له

فقلت له : كيف تجدك ؟ قال : أنت حر ، قلت : أنا ابراهيم بن عبدالله ، قال : أنت حر ، فأعتقني في ظنه فهذه يده .

قالوا : وهرب هشام من الطاعون ، فانتهى إلى دير فأدخله الراهب بستاناً على أربعة أجربة ، وجعل يأتيه بأطايب الفاكهة والبالغ منها ، فقال هشام : أتبيعني بستانك ؟ فسكت . فأعاد عليه القول وهو ساكت فقال : مالك لا تتكلم يا راهب ؟ قال : وددت أن الناس ماتوا غيرك . قال : ولِمَ ؟ قال : حتى تشبع إذا بقي كل شيء في الدنيا لك . فضحك وقال : أما تسمع يا أبرش . قال : ما لقيك حُرٌّ غيره .

المدائني قال : دخل جُدَيْع الكَرماني على هشام فقال له : من أنت ؟ قال : جديع . قال : الكرمانَي ؟ فكأنه كرهها ، فقال هشام : لا تفعل وإذا شهرت بلقب تكرهه فإنه نسب .

قالوا : ووقف هشام يوماً بحائط له فيه زيتون ومعه عثمان بن حيان ، فسمع هشام نفض الزيتون ، فقال لعثمان : انطلق إليهم فقل لهم : القطوه لقطاً ولا تنفضوه نفضاً فتتفقأ عيونه وتتكسر غصونه .

قالوا : وأدخلت على هشام جارية أعجبته ، فاشتط صاحبها في الثمن ، فأعطاه هشام عشرة آلاف فأبى فاشتراها الأبرش بحكم صاحبها وسومه ، وبعث بها إلى هشام .

وأُتي هشام بمال فقسمه على ولده وأهله ، وقال لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، وقد عزل مائة وعشرين ألف درهم : مَنْ أحقّ بهذا المال ؟ قالت : أنا . قال : قد أخذت قسمك .

وقال لعبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية : قولي فإنكم آل أبي سفيان تدّعون الرأي؟ قالت: أحق الناس بهذا المال من جادَ لَكَ بما بخلت به على نفسك ، قال : صدقت ، وأمر بحمل ذلك المال إلى الأبرش ، وقال : هذا الآن في هذا الموضع أحسن منه في ذلك الموضع .

قالوا : وقدم على هشام وفد وفيهم ابن عمار بن ياسر ، فقال له هشام : من أنت ؟ فأخبره . فقال :

ترجو الصغير وقد أعياك والدُهُ   وفي أُرومته ما يُنْبِتُ العُـودُ

لا والله ما نال مني خيراً أبداً ما بقيت .

المدائني عن مسلمة بن محارب قال : قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك في يوم شديد الحر وهو في بركة ماؤها يغمر الكعبين ، وقد وضع له كرسي فجلس عليه ، فلما رآني دعا لي بكرسي ، ثم جلس يسائلني فأقبلتُ أحدثه ، ثم قال : يا خالد لَرُبَّ خالدٍ جلس مجلسك كان أحب إلي منك ـ يعني خالد بن عبدالله القسري ـ قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو تفضَّلتَ عليه بصفحك وتَغَمّدْتَه بحلمك ؟ فقال : إنَّ خالداً أدلَّ فأمِلَّ ، وأَوْجَفَ فأَعْجَفَ ، فسكتُّ .

حدثني العمري عن الهيثم قال : أهدى خالد بن عبدالله وهو على العراق إلى ولد هشام وحشمه هدايا ، وأغفل خادماًله ، فأخذ الخادم ابناً له صغيراً فوقف به حيث يسمع هشام الكلام ، ثم قرصه قرصة أبكته فقال : والله لو كنتَ من ولد خالد بن عبدالله القسري ما عدا ، فسمع هشام قوله فكان ذلك أول ما وقر في قلبه .

قالوا : ولما غضب هشام على خالد آرسل إليه يذكّره حرمته ، فقال : إنّ الإفراط في الدالّة يُفسد الحرمة .

حدثني أبو مسعود الكوفي عن عوانة قال : قال هشام : أرخى الناس بالاً من تـخلّى عن الدنيا ومتاعها فدافع الأيام ، وأصبح أَجَلُه أَحَبّ قادم إليه .

وقال هشام للأحوص : مالنا وللفرزدق ، حَفَرَ لَنَا خالد نهراً . فقال :

أنفقت مال الله في غير حقه على نهرك المشؤوم غير المبارك[1]

فقال الأحوص : ما هذا من كلامه . قال هشام : قاتلهم الله ، اذا جاءت الحقائق نصر بعضهم بعضاً .

المدائني عن سحيم بن حفص قال : مرّ ابن هشام بن عبد الملك على اسماعيل بن يسار وقد اتخذ منزلاً وهو يصوّره[2] ، فقال : يا اسماعيل ما هذا من منازلك ، قال : بلى والله إنه لمن منازلي ومنازل آبائي ولكن منزلك خباء مضروب من شعر أو صوف على عمود من خشب .

قالوا : وتفقد هشام بعض ولده فلم يره يحضر الجمعة فقال له : ما منعك من الصلاة في يوم الجمعة في مسجد الجماعة ؟ فقال : نفقت دابتي فعجزتُ عن المشي إلى الجمعة .

وقال هشام لخالد بن صفوان : عظني وأوجز ، فقال : أنت فوق الخلق وليس فوقك إلا الله ، وأنت صائر إلى الله ، فَاتَّقِ الله .

---

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٥٩ .

٢ ـ صار وجهه يصوره ويصيره : أقبل به ، والشيء قطعة وفصله . القاموس .

المدائني عن حمزة بن ابراهيم قال : قال الحجاج لمعبد الجهني : يا معبد أتتكلم في القَدَر ؟ قال : نعم ، زعم فُسّاق أهل العراق أن الله قضى وقدر أن يُقتل عثمان ، فقلت : كذبتم . فقال : صدقت . فبلغ هشاماً قوله فقال : لقد قَدر الله قتل عثمان لما كتب على قاتليه من الشقاء ، وكذب معبد والحجاج .

قالوا : وقدم راوية الفرزدق وجرير والأخطل على هشام ، فدخل راوية جرير في فروٍ ، ودخل الآخر في خزّ ، فأنشد راوية الفرزدق شعراً :

كأنّ مَفَالق الرّمان فيه ... وجمر غَضىً قَعَدْنَ عليه حامِ[1]

فغضب هشام ولم يصل راوية الفرزدق والأخطل ، ووصل راوية جرير .

المدائني عن عبد الرحمن بن خالد قال : رأيت هشاماً وهو يقول لغلمانه وهم يلقطون زيتوناً في أرض له : القطوا لقطاً ، ولا تخبطوا خبطاً ، فإن الخبط يفقأ عيونه ويكسر غصونه ، وكان معه عثمان بن حيان فوجّهه من وجهه إلى العراق للمسألة عن خالد فقدم عليه فأخبره ، فكان ذلك سبب عزل خالد .

حدثني هشام بن عمار قال : بلغنا أن هشاماً حُدِّث بأن خالداً يعطي من جاءه من قومه ، فازداد غيظاً عليه وغضباً وقال : إني أبخل بهذا المال عن نفسي وأهلي وولدي ، وخالد يفرقه في قومه ، فحدثه بعض حضره أن رجلاً من بجيلة دخل عليه فسأله فمنعه فقال :

---

١ ـ هذا البيت ليس في ديوان الفرزدق المطبوع .

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه أنا السيد المُفْضَى إليه المُعَمَّمُ
ولم يولِهِمْ خيراً أَبَوْا أن يَسُودَهُم وهانَ عليهم رغمه وهو أظلم

فَرَدَّهُ وأ عطاه فقال هشام : والله لأنقضنّ كور عمامته ، ولأدعنّه وهو لا يُفْضَى إليه .

حدثني أبو مسعود عن ابن كناسة قال : اختلف هشام ومسلمة في إعراب حرف أو معنى حرف من الغريب ، فحكما رجلاً فقال : القول قولك يا أمير المؤمنين ، فقال مسلمة : هذا حكم الجهّال وقولهم .

حدثني العمري عن الهيثم بن عدي قال : هدم ابراهيم بن هشام المخزومي دار عبدالله بن عامر بن الزبير بأمر هشام ، فمر به وهو يصلي فقال : اصبر ، فقال : إني أعرضكم على الله في كل يوم خمس مرات ـ يعني الدعاء ـ.

أبو الحسن المدائني عن عبدالله بن محمد عن أبيه عن عامر بن عبدالله قال : أراد هشام الحج فقال : من بقي من رجال قريش في المدينة ممن يتكلم ؟ فقالوا : لم يبق أحد يردّ على السلطان ، فحج فأتاه عبدالله بن عروة بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين أعْدِني على خالك ابراهيم بن هشام ، فإنك وليته ما بين المدينة واليمن فلم يمنعه كثير ما في يديه عن قليل ما في أيدينا ، فأنشدك الله أن تصل رحماً بقطيعة أخرى .

قال : لا أعديك عليه قال : ولِمَ فوالله ما منعنا أن نموت مع عبدالله إلّا هذه الأموال ، وقد أُخذتْ ولأَنْ يموت الرجل عزيزاً خير له من أن يموت ذليلاً ، فقال هشام : هذا واحد .

ثم آتاه ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله فقال : يا أمير المؤمنين أعْدِني على نافع بن علقمة ، فإنه أخذ داري . قال : أفلا رفعت ذلك إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : قد فعلت فسلك بي غير طريق الحق ، قال : أفلا أتيت الوليد ؟ قال : قد فعلت فسلك بي طريق أبيه . قال : أفلا رفعت إلى سليمان ؟ قال : قد فعلت فسلك بي طريق أبيه وأخيه . قال : فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : عوجل رحمه الله ، فغضب هشام وقال : لا يزال الرجل يتكلم عند أمير المؤمنين بما يستحق من يتكلم بمثله أن يُدقَّ أنفه ويسحب على وجهه . قال : إذاً يسبق خيرَك شَرُّكَ ، وتقطع رحمك ، وتكون يد الله فوق يدك ، وأمر الله من ورائك ، أما والله ، ان القضاء ليتعقب وإن الفاسق ليصلح .

فقال هشام : قبح الله من زعم أن قومي قد ذهبوا ، هذا زعم إنَّ قضائي يُردّ ، وابن عروة يتهددني .

ثم قال لابراهيم : لو كان فيك مضرب لضربتك مائة ، قال ابراهيم : فيّ مضرب ألف ، قال هشام : سَوْءَةٌ اكتمها علي . قال : فما اخبرت بها أحداً حتى مات ، فلما مات حدثت بها لأنها مكرمة .

وقال الفرزدق وقد خاف خالداً .

ألم تعلموا يا آل مروان نعمةً لمروانَ عندي مثلها تحقن الدِّمَا
وما كان عني رُدّ مروان إذ طغى عليّ زيادُ بعدما كان أقْسَمَا
ليقتطعنْ حَرْفي لساني الذي به لخندف أرمي عَنْهُمُ مَنْ تكلما

وكنتُ إلى مروانَ أسعى إذا جنى   عليّ لساني بـالمقال وأجـرما
وما تركتْ كفّا هشامٍ مدينةً   بها عِوَجٌ في الدّينِ إلا تقَوَّما[1]

وقال الكميت في خالد بن مسلمة :

الشمس أدتك الا أنها مَرَةٌ   والبـدر أداك إلا أنه رجـل
الغالبُ النفس حِلْماً عند طَيْرَتَهَا   والمستثيب حلوم القوم إن جهلوا
ما أَنتَ في الجُود إذْ عَدَّتْ فواضِلُهُ   ولا ابن مَامَةَ إلّا البحر والوَشَلُ

قال : ولم يقدم جرير على هشام فيمن أتاه من الشعراء عشر سنين ، ثم تهيأ للخروج إليه وقال :

وكيف ولا أشدّ إليك رَحْلي   أروم إلى زيـارتـك المـرامـا[2]

فمات قبل أن يخرج إلى هشام .

قالوا : وقدم عروة بن أذينةالليثي على هشام ، فسأله : ألست القائل :

لقد علمتُ وما الإسراف من خلقي   أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى لـه فيعنيني تَـطَلُّبُــه   ولو صبرتُ أتـاني لا يُعَنِّيني

وإني لأحسبك ممن يفْضُل قوله فِعْلُه ، فقال عروة : فإني استغفر الله وأستقيله ولا أرغب إلا إليه ، فخرج من عنده ولم يبت إلاّ في الطريق منصرفاً إلى أهله .

وتذمم هشام مما استقبله به حين بلغه انصرافه ، فبعث إليه بألف دينار ، فلما أتاه بها رسوله قال : أقرىء أمير المؤمنين السلام وقل له إني

١ ـ ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٨٨ مع فوارق .
٢ ـ ديوان جرير ص ٤٠٩ .

رضيت بالله ورغبت إليه فأتاني برزقي على فراشي ، فقال هشام : صدق . إنما نحن خزان الله ، فإذا أذن في شيء أمضيناه على محبة منا وكرامة .

المدائني قال : قال هشام لسعيد الأبرش : أَوَضَعَتْ أعْنُزَكَ ؟ قال : أي والله قال : لكن أعنزي تأخر ولادُها فاخرج بنا إلى أعنزك نُصِبْ من ألبانها ، قال : نعم . وقَدّمَ خباءً فضُرب وغدا هشام والأبرش وغدا الناس فقعد هشام والأبرش على كرسيين ، فقدموا الى كل واحد منهما شاة فحلب هشام الشاة بيده ثم قال : يا أبرش إني لم أنس الحلب .

ثم أُتي بخبزة أمر الأبرش بها فعُمِلَتْ بين يدي هشام ، فأوقد هشام النار بيده وفحصها ، وألقى الخبزة فيها وجعل يقلبها في النار بالمحراث ويقول : يا أبرش كيف ترى رفقي ، حتى نضجت، ثم أخرجها فجعل يضربها بالمحراث ويقول : جنبيك ، جنبيك والأبرش يقول : لبيك لبيك ، وهذا شيء كان يقوله الصبيان إذا خُبزت لهم الخبز ، ثم تغدى وتغدى الناس وانصرف هشام .

المدائني قال : قال رجل من أهل المدينة : انتُقِص الناس بعد هشام ، ما كان أحد يشد رحله إلى رجل إلاّ وجد عنده رأياً وعقلاً وسخاء ، فلما مات هشام انتقص ذلك .

وسئل هشام يوماً عن مكحول ، فذمه فقال مسلمة : مَهْ يا أمير المؤمنين فقد سمعته يقول : اللهم لا تبقني بعد هشام .

المدائني عن شيخ من جَرْم أنه قال : إني لبالقريتين ، وبينها وبين دمشق مرحلتان على الإبل ، إذ نزلت قافلة جاءت من أرمينية فيها خلق ، فجاء رجل من كلب من قبل هشام ، ورجل آخر معه فقالا : أيتها النازلة

أفيكم غيلان بن مسلم ؟ فقام رجل أحمر عليه قباء نصيبي مجلد الأزرار فقال : أنا غيلان أبو مروان . فقالا : أين صالح ، فقام رجل ربعة حسن الوجه فقال : أنا صالح أبو عبدالسلام فشداهما في الحديد وحملاهما إلى هشام ، فقال هشام لغيلان : ويلك ما هذا الذي يبلغني عنك من القول ؟ فسبقه صالح فقال : ﴿لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها﴾ [1] ، فقال له هشام : أتركت أن تتلو كتاب الله مُحْكَمَهُ ، وتلوتَ مُتَشَابِهَهُ، إن هذا ليحقق ما قيل فيكما ، قال : أو هذا متشابه ؟ قال : أخرجوهما فاضربوهما سبعين سبعين ، فضربا ، وجاء قوم فشهدوا عليهما بأنهما قالا : ما ولّى الله هشاماً شيئاً قط ، وإن الناس يتغالبون على الأرزاق ، وتأتيهم بالإتفاقات . فقال : لعلكم شهدتم لأمر وجدتم عليهما فيه ، أو لعداوة واجبة ؟ فقالوا : لا ، ولكنك إمام وقد خرجنا إليك مما في أعناقنا ، فقطع أيديهما وأرجلهما ، فمر عليهما عثمان بن حيّان المرّي فقال : يا غيلان ، كان هذا بقضاء الله وقدره ؟ فقال : كان في علم الله .

ثم أمر هشام باخراج ألسنتهما من أقفيتهما أو قطعـها فلم يلبثا أن ماتا .

وقيل إن غيلان وصاحبه كانا بأرمينية يتكلمان في هشام ، فلما شخصا عنها ، وكان قد وضع عليهما عيوناً فأُخبر بنزولهما حيث نزلا ، فدس شهوداً شهدوا عليهما ، فصنع بهما ما صنع ثم صلبهما .

قالوا : وعمل هشام منجنوناً [2] وكتب إلى صاحب الرقة يأمره أن يبتاع

---

١ ـ سورة البقرة ـ الآية : ٢٨٦ .

٢ ـ المنجنون : الدولاب يستقى عليه ، أو المحاله يسنى عليها . القاموس .

له ثور المنجنون فاشتراه بثلاثين درهماً ، وبعث به إليه مع بعض الشرط ، فلما رأى هشام الثور أعجبه وقال : بارك الله فيك وفيمن وَجَّهَ بك ، أعطوا الرسول عشرة دراهم . فقال : يا أمير المؤمنين زدني في عطائي خمسة دنانير فقال : جئت بثور اشتُري بثلاثين درهماً وإنما بيننا وبين الرقة ثلاثون ميلاً ، وأنت تنال خمسة دنانير في عطائك ، أنت أحمق . إذهب بارك الله فيك .

المدائني قال : قال عمرو بن عتبة المخزومي : أذن هشام يوماً إذناً عاماً ، فدخل أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين قد كبرت سني ، ورقّ عظمي فأعنيّ بالفرض لابنيّ فانهما كما يحب أمير المؤمنين في طاعتهما وجلدهما قال : ما ذاك لك عندنا ، قال : فأقطعني داراً إلى جانب داري كانت ليهودي هلك ، ولا وارث له أوسّع بها منزلي . قال : بيت المال أحقّ بها ، قال : فأزرعني مزرعة إلى جانبي تخفف من خراجها عني . قال : لا . فولّى الرجل وهو يقول : ما رأيت كاليوم قطّ رجلاً أفحش بخلاً ولا أسوأ ردّاً ، وسمع هشام كلامه فنكس ، ورفع الشرط عليه العمد ، قال عمرو : فضممت إلي ثوبي مخافة أن يُقتل فيصيبني دمه ، أو يشدخ فينتضح علي من دماغه ، فقال الأعرابي : ما ينبغي أن ألومك وإني لأعلم أنك عبد من عبيدالله لا تعطي ولا تمسك إلا بإذنه ، قال هشام : ردوه ، كيف قلت ؟ فأعاد قوله فقال : صدقت ، أعِدْ عليّ حوائجك ، فقضاها .

قالوا : وأهدى إلى هشام حسان النبطي هدايا كثيرة ، وركب هشام فعرضها عليه وأرضى حسان كل من يطيف بهشام غير خادمين له صغيرين احتقرهما ، فدخل هشام المتوضأ وجاء الوصيفان بالماء ، فقال أحدهما أما تُعْلِم أمير المؤمنين أن حسان لم يَهْدِ ما أهدى حتى أخذ لنفسه مثله ؟ قال

الآخر : بل لنفسه عشرة أمثاله ، أفمن بيت أمه أهدى هذا ؟ وسمعهما هشام ، فلما دخل عليه حسان قال : وهبتَ لهذين شيئاً ؟ . قال : لا ولقد أغفلتهما . قال : فأحسِن إليهما . فبعث إلى كل واحد منهما بألفي درهم .

وخلا به هشام وهما على باب البيت ، فقال أحدهما : نحن نتكلم في أمر هذا الرجل بما لا نعلم ، وأمير المؤمنين أعلم بنصيحته وتوفيره ، وقال الآخر : ما صارت له عند أمير المؤمنين هذه المنزلة إلا بفضل نصيحته وما فعل أحد مثل فعله ، عماله يأكلون الدنيا ولا يهدون شيئاً . فقال هشام لحسان : أرضيتهما؟ قال : نعم . فضحك هشام وقال : ما أخبثهما قد رأينا أثر ذلك .

المدائني قال : لما اشتد وجع هشام بكى نساؤه وولده ، فقال جَادَ لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء ، فترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما كسب ، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له ، ثم فاظت نفسه .

المدائني قال : أتى هشاماً محمد بن يزيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فسأله فقال : لستُ معطيك شيئاً ، فإياك أن يغرك الناس فيقولون إن أمير المؤمنين لم يعرفك ، قد عرفتك ، أنت محمد بن يزيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، فلا تقم فينفق ما معك ، والحق بأهلك .

حدثني على الأثرم عن الأصمعي قال : حج هشام فأراد سالم بن عبدالله الدخول عليه بالمدينة فقال له بنوه : لو اعتممت فاستعاروا له عمامة ، ولما دخل على هشام قال له : يا أبا عمر العمامة لا تشبه الثياب . قال : انا استعرناها . قال : ما طعامك ؟ قال : الخل والزيت . قال : أما تأجمها ؟ قال : إذا أجمتها تركتها حتى أشتهيها . ثم قام فخرج فقال

هشام : ما رأيت قط ابن سبعين أقوى كَدْنَة[1] منه . فما وصل إلى بيته إلا محموماً ، فقال : أترون الأحول لعقني بعينه . ولم يبرح هشام المدينة حتى صلى عليه ، وقد كتبنا خبره من جهة أخرى .

المدائني عن عبدالله بن سلم الفهري قال : دخل زيد بن علي بن الحسين على هشام ، فلما مثل بين يديه لم ير لنفسه موضعاً يجلس فيه ، فعلم أنه إنما فعل ذلك به على عمد ، فقال : يا أمير المؤمنين إنه ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ، ولا أحد دون أن يأمر بها . قال : اسكت لا أم لك . قال : أمٌّ لم تلدني ؟ قال : أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة وأنت ابن أمة ؟ . قال : يا أمير المؤمنين إن لك جواباً ، قال : هاته فما أنت وجوابك . قال : إن الأمهات لا يقعدن بالرجل دون بلوغ الغايات ، كانت أم اسماعيل أمة ، فلم يمنعه ذلك أن ابتعثه الله نبياً ، وجعله أبا العرب وأخرج من صلبه محمداً ﷺ ، أفتقول هذا لي وأنا ابن فاطمة وجدي علي ؟ . قال : صدقت ، ثم خرج فقال هشام لمن بقي عنده من أهل بيته : زعمتم أن أهل هذا البيت قد بادوا . لا لعمري ما انقرض قوم هذا خلفهم .

قالوا : وخرج زيد على هشام بالكوفة ، وقتل ودفن ليلاً ، فدل على قبره عامل الكوفة فنبش وصلب ، وكان فيمن نبشه خداش بن حَوْشَب أخو العوام بن حوشب المحدث .

---

١ ـ الكدن : الشحم ، واللحم ، والقوة . القاموس .

وكتب هشام إلى عامله بالعراق : إنّ زيداً قدم عليّ فرأيت حُوّلاً قُلّبا خليقاً لصوغ الكلام وتنميقه ، وقد كتبت خبر زيد ومقتله في نسب آل أبي طالب وأخبارهم .

حدثني هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم قال : قال هشام : إني لأرى الرجل فأعرف عقله من حسن سماعه ، وكان يقول : أنا أعرف الجاهل الأحمق بسرعة جوابه بالخطأ ، وكثرة تلفّته ، وتدويمه نظره إلى جليسه بغير علة يُصَوّب ويُصعّد فيه .

حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن اسماعيل بن عبد الملك بن نافع عن أبي عبيدة بن محمد قال : شرق ما بين ربيعة الرأي وأبي الزناد وكانا قديماً يجالسان القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فلما ولي خالد بن عبد الله بن الحارث بن الحكم المدينة من قبل هشام ، ولى أبا الزناد الخراج وما وراء بابه ، وكان خالد قد علم الذي بينهما ، فأرسل إلى ربيعة ، وخثيم بن عراك ، ومحمد بن عطاء الليثي ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، فوجد عبد الرحمن قد تغيب فضرب هؤلاء وحلقهم ، وقال : إنهم يطعنون على الأئمة ويرون رأي الخوارج .

وكتب خالد إلى هشام يعلمه ضربُ هؤلاء النفر ، وأنه طلب عبد الرحمن فوجده قد تغيب ، وتوجه إلى ابن شُريح بخراسان يدعو إليه ، فجاء الكتاب إلى هشام وهو يومئذٍ بالرصافة فقال : أي رجل عبد الرحمن بن القاسم ؟ . فقال ابراهيم بن هشام : يا أمير المؤمنين ، من أهل السنّة والجماعة ، فرمى بالكتاب فقرأه فقال : باطل والله يا أمير المؤمنين ، وما خرج ابن القاسم إلا إليك . فأفرخ روع هشام ، فقال : أرى ذلك ، ووكل

ابراهيم غلاماً له يتفقد عبد الرحمن عند مسلحة عليها طريق مَنْ قَدِمَ من المدينة إلى هشام ، فكان مقيماً عندها أياماً ، ثم طلع عليه عبد الرحمن على بغلة له وهو معتمّ فسلّم فقالوا : من الرجل ؟. قال : رجل من قريش . قالوا : من أي قريش أنت ؟ فأخبرهم ، فأتى عبد الرحمن ابراهيم بن هشام ، فأتى به إبراهيم هشاماً ، فأدخله إليه فقال : السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك السلام ، كيف أنت يا عبد الرحمن ، كيف أهل بيتك ؟. قال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أحب أن يكونوا بخير ، فما أقدمك يا عبد الرحمن ؟. قال : ظلامتي ، خاصمت إلى خالد : ابن أبي عتيق ، فمال علي ميلاً بيناً ، فرحلتُ إلى أمير المؤمنين مستغيثاً به لينصرني .

فكتب إلى خالد : «أما بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فأحضر رجالاً من أهل الفضل والستر والصدق والعفاف ممن يخيرهم عبد الرحمن بن القاسم ، ثم اجمع بينه وبين خصمه ، ثم مرهم أن يجزموا القضاء على أحدهما ، ولا تعرض لعبد الرحمن في خصومة ولا غيرها ، فإن لعبد الرحمن فضلاً ، ومكان أبي بكر في الاسلام مكانه» .

ثم ختم الكتاب ودفعه إلى عبد الرحمن فقال عبد الرحمن : قد بررتَ وقضيت الحاجة وأعفيتني من الظلم وعليّ أربعمائة دينار . فقال : يا عبد الرحمن ، لو جمعنا لأحد أن نرد ظلامته ونقضي دينه لفعلنا ذلك بك ، ولكنا لا نفعله بأحد فامض لشأنك .

قال عبد الرحمن : فلحقني حسان النبطي فقال : قد سمعت كلامك في دينك ، وهذه أربعمائة دينار من مالي فخذها واقض بها دينك . فقال عبد

الرحمن : ما أستجيز أخذها منك وأنا استجيزه من الخليفة ، وأنا أقبلها على أن تكون قرضاً ، فأخذها على هذه الجهة فقضاه إياها ورثة عبد الرحمن بعد ذلك .

قال ابن شوذب يمدح أبا الزناد نصر بن ربيعة وأصحابه :

حتى إذا ما دخيلُ الهمّ أرَّقني فوق الفراش وكاد النوم يمتنع
وقلتُ حين أناجي النفس مَنْ رجلٌ والرأي مشترك والهم مُلتفع[1]
فصرتُ نحوك من أرضي لتنفعني إذا بَلَغْتُكَ والمعروف متبع
أبا الزناد فلا تقعد بحاجتنا إن الكريم إذا ماهُزّ ينخدع
تحوي من العلم ما يشقي السقيم به ويجبر العظم منه حين ينصدع
ما زلت بالحق إذ ضلت عقولهم حتى ردعت أُلي الأهواء فارتدعوا

١ ـ اللفاع : الملحفة أو الكساء أو النطع ، أو الرداء ، ولفع الشيب رأسه : شمله . القاموس .

المحتوى

